سورة الأنبياء

سورة الأنبـياء مكيّة
وآياتها اثنتا عشرة ومائة
بِسمِ اللّهِ الرحمَن الرّحِيـمِ

الآية : 1

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {اقْتَـرَبَ لِلنّـاسِ حِسَـابُهُمْ وَهُـمْ فِـي غَفْلَـةٍ مّعْرِضُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: دنا حساب الناس علـى أعمالهم التـي عملوهـا فـي دنـياهم ونعمهـم التـي أنعمهـا علـيهم فـيها فـي أبـدانهم, أجسـامهم, ومطاعمهم, ومشاربهم, وملابسهم وغير ذلك مـن نعمـه عنـدهم, ومسـئلته إياهم ماذا عملوا فـيها وهل أطاعوه فـيها, فـانتهوا إلـى أمـره ونهيـه فـي جميعها, أم عصوه فخالفوا أمره فـيها؟ وَهُمْ فـي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ يقول: وهم فـي الدنـيا عما الله فـاعل بهم من ذلك يوم القـيامة, وعـن دنـوّ مـحاسبته إياهم منهم, واقترابه لهم فـي سهو وغفلة, وقد أعرضـوا عـن ذلـك, فـتركوا الفكر فـيه والاستعداد له والتأهب, جهلاً منهم بـما هم لاقـوه عنـد ذلـك مـن عظيـم البلاء وشديد الأهوال.

وبنـحو الذي قلنا فـي تأويـل قـوله وَهُـمْ فِـي غَفْلَـةٍ مُعْرِضُـونَ قـال أهـل التأويـل, وجاء الأثر عن رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم. ذكـر مـن قـال ذلك:

18467ـ حدثنا مـحمد بن الـمثنى, قال: حدثنا أبو الوليد, قال: ثنـي أبـو معاوية, قال: أخبرنا الأعمش, عن أبـي صالـح, عن أبـي هريرة, عـن النبـيّ صلى الله عليه وسلم وَهُمْ فِـي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ قال: «فـي الدنـيا»

الآية : 2

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {مَـا يَـأْتِيهِمْ مّـن ذِكْـرٍ مّـن رّبّهِـمْ مّحْـدَثٍ إِلاّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: ما يحدث الله من تنزيـل شيء من هذا القرآن للناس ويذكرهم به ويعظهم, إلا استـمعوه وهم يـلعبون لاهية قلوبهم.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

18468ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قوله: ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبّهِمْ مُـحْدَثٍ... الآيـة, يقـول: مـا ينـزل علـيهم مـن شيء من القرآن إلا استـمعوه وهم يـلعبون.

الآية : 3

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {لاَهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرّواْ النّجْوَى الّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَـذَآ إِلاّ بَشَرٌ مّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: لاهيَةً قُلُوبُهُمْ غافلة, يقول: ما يستـمع هـؤلاء القـوم الذين وصـف صـفتهم هـذا القـرآن إلا وهـم يـلعبون غافلـة عنـه قلـوبهم, لا يتدبرون حكمه ولا يتفكرون فـيـما أودعه الله من الـحجج علـيهم. كما:

18469ـ حدثنا بِشر قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ يقول: غافلة قلوبهم.

وقوله: وأَسَرّوا النّـجْوَى الّذِينَ ظَلَـمُوا يقول: وأسرّ هؤلاء النـاس الـذين اقتربت الساعة منهم وهـم فـي غفلـة معرضـون, لاهيـة قلـوبهم, النـجوى بـينهم, يقول: وأظهروا الـمناجاة بـينهم فقـالوا: هـل هـذا الـذي يزعـم أنـه رسول من الله أرسله إلـيكم إلاّ بَشَـرٌ مِثْلُكُـمْ؟ يقولـون: هـل هـو إلا إنسـان مثلكم فـي صوركم وخـلقكم؟ يعنون بذلك مـحمدا صـلى اللـه عليـه وسـلم. وقال الذين ظلـموا فوصفهم بـالظلـم بفعلهم وقـيـلهم الذي أخـبر بـه عنهـم فـي هذه الآيات إنهم يفعلون ويقولون من الإعراض عن ذكر اللـه والتكـذيب برسـوله. ول «الّـذين» مـن قـوله: وأسَـرّوا النّـجْوَى الّـذِينَ ظَلَـمُوا فـي الإعراب وجهان: الـخفض علـى أنه تـابع للنـاس فـي قـوله: اقْتَـرَبَ للنّـاسِ حِسابُهُمْ والرفع علـى الردّ علـى الأسماء الذين فـي قوله: وأسَرّوا النّـجْوَى من ذكر الناس, كما قـيـل: ثمّ عَمُـوا وَصَـمّوا كثِـيـرٌ مِنْهُـمْ. وقـد يحتـمل أن يكون رفعا علـى الابتداء, ويكون معناه: وأسرّوا النـجوى, ثم قال: هم الذين ظلـموا.

وقوله: أفَتَأتُونَ السّحْرَ وأنْتُـمْ تُبْصِرُونَ يقول: وأظهروا هذا القول بـينهم, وهي النـجوى التـي أسرّوها بـينهم, فقـال بعضـهم لبعـض: أتقبلـون السـحر وتصدّقون به وأنتـم تعلـمون أنه سحر؟ يعنون بذلك القرآن كما:

18470ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فـي قوله: أفَتَأتُونَ السّحْرَ وأنْتُـمْ تُبْصِرُونَ قال: قاله أهل الكفر لنبـيهم لـما جـاء به من عند الله, زعموا أنه ساحر, وأن ما جاء به سحر, قالوا: أتأتون السحر وأنتـم تبصرون؟

الآية : 4

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {قَالَ رَبّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِـي السّـمَآءِ وَالأرْضِ وَهُوَ السّمِيعُ الْعَلِيمُ }.

اختلفت القرّاء فـي قراءة قوله: «قُلْ رَبّـي» فقرأ ذلك عامة قـرّاء أهـل الـمدينة والبصرة وبعض الكوفـيـين: «قُلْ رَبْـي» علـى وجـه الأمـر. وقـرأه بعض قرّاء مكة وعامة قرّاء الكوفة: قالَ رَبّـي علـى وجه الـخبر.

وكأن الذين قـرؤوه علـى وجـه الأمـر أرادوا مـن تأويـله: قـل يـا مـحمد للقائلـين أتأتُونَ السّحْرَ وأنْتُـمْ تُبْصِـرُونَ: ربـي يعلـم قـول كـلّ قائـل فـي السماء والأرض, لا يخفـى عليـه منـه شـيء وهـو السـميع لـذلك كلـه ولِـما يقولون من الكذب, العلـيـم بصدقـي وحقـيقة ما أدعـوكم إلـيه وبـاطل مـا تقولون وغير ذلك من الأشياء كلها. وكأن الذين قرءوا ذلك قـال علـى وجـه الـخبر أرادوا: قال مـحمد: ربـي يعلـم القول خبرا من الله عـن جـواب نبـيه إياهم.

والقول فـي ذلك أنهما قراءتان مشهورتان فـي قَرَأة الأمصار, قد قرأ بكل واحدة منهما علـماء من القرّاء, وجاءت بهمـا مصـاحف الـمسلـمين متفقتـا الـمعنى وذلك أن الله إذا أمر مـحمدا بقـيـل ذلك قـاله, وإذا قـاله فعـن أمـر الله قاله, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب الصواب فـي قراءته.

الآية : 5

القول فـي تأويـل قوله تعالـى:{بَلْ قَالُوَاْ أَضْـغَاثُ أَحْلاَمٍ بَـلِ افْتَـرَاهُ بَـلْ هُـوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ الأوّلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ما صدّقوا بحكمة هذا القرآن ولا أنه من عند الله, ولا أقرّوا بأنه وحي أوْحَى الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم بل قال بعضهم: هو أهاويل رؤيا رآها في النوم, وقال بعضهم: هو فرْية واختلاق افتراه واختلقه من قِبَل نفسه, وقال بعضهم: بل محمد شاعر, وهذا الذي جاءكم به شعر. فَلْيَأْتِنا يقول: قالوا فليجئنا محمد إن كان صادقا في قوله إن الله بعثه رسولاً إلينا وإن هذا الذي يتلوه علينا وحي من الله أوحاه إلينا, بآية يقول: بحجة ودلالة على حقيقة ما يقول ويدّعي, كمَا أُرْسِلَ الأوّلُونَ يقول: كما جاءت به الرسل الأوّلون من قبْله من إحياء الموَتى وإبراء الأكمه والأبرص وكناقة صالح, وما أشبه ذلك من المعجزات التي لا يقدر عليها إلا الله ولا يأتي بهاإلا الأنبياء والرسل.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18471ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: أضْغاثُ أحْلامٍ أي فعل حالم, إنما هي رؤيا رآها. بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شاعِرٌ كل هذا قد كان منهم. وقوله» فَلْيَأْتِنا بآيَةٍ كمَا أُرْسِل الأوّلُونَ يقول: كما جاء عيسى بالبيّنات وموسى بالبينات, والرسل.

18472ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: أضْغاثُ أحْلامٍ قال: مشتبهة.

18473ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: أضْغاثُ أحْلامٍ قال أهاويلها.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

وقال تعالى ذكره: بَلْ قَالُوا ولا جحد في الكلام ظاهر فيحقق ب «بَلْ», لأن الخبر عن أهل الجحود والتكذيب, فاجتُزِي بمعرفة السامعين بما دلّ عليه قوله «بل» من ذكر الخبر عنهم على ما قد بينا.

الآية : 6

القول في تأويل قوله تعالى: {مَآ آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ما آمن من قبل هؤلاء المكذّبين محمدا من مشركي قومه الذين قالوا فليأتنا محمد بآية كما جاءت به الرسل قبله من أهل قرية عذّبناهم بالهلاك في الدنيا, إذ جاءهم رسولنا إليهم بآية معجزة. أفَهُمْ يُؤْمِنُونَ يقول: أفهؤلاء المكذّبون محمدا السائلوه الآية يؤمنون به إن جاءتهم آية ولم تؤمن قبلهمْ أسلافهم من الأمم الخالية التي أهلكناها برسلها مع مجيئها؟

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18474ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: أهْلَكْناها أفَهُمْ يُؤْمِنُونَ يصدّقون بذلك.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

18475ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: ما آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ أي الرسل كانوا إذا جاءوا قومهم بالبينات فلم يؤمنوا لم يُنْظَروا.

الآية : 7

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاّ رِجَالاً نّوحِيَ إِلَيْهِمْ فَاسْئَلُواْ أَهْلَ الذّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه: وما أرسلنا يا محمد قبلك رسولاً إلى أمة من الأمم التي خلت قبل أمتك إلا رجالاً مثلهم نوحي إليهم ما نريد أن نوحيه إليهم من أمرنا ونهينا, لا ملائكة فماذا أنكروا من إرسالنا لك إليهم, وأنت رجل كسائر الرسل الذين قبلك إلى أممهم؟ وقوله: فاسألُوا أَهْلَ الذّكْرِ إنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ يقول للقائلين لمحمد صلى الله عليه وسلم في تناجيهم بينهم «هل هذا إلا بشر مثلكم»: فإن أنكرتم وجهلتم أمر الرسل الذين كانوا من قبل محمد, فلم تعلموا أيها القوم أمرهم إنسا كانوا أم ملائكة, فاسألوا أهل الكتب من التوراة والإنجيل ما كانوا يخبروكم عنهم كما»:

18476ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله: فاسْأَلُوا أَهْلَ الذّكْرِ إنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ يقول: فاسألوا أهل التوراة والإنجيل قال أبو جعفر: أراه أنا قال: يخبروكم أن الرسل كانوا رجالاً يأكلون الطعام, ويمشون في الأسواق.

وقيل: أهلُ الذكر: أهلُ القرآن. ذكر من قال ذلك:

18477ـ حدثني أحمد بن محمد الطوسيّ, قال: ثني عبد الرحمن بن صالح, قال: ثني موسى بن عثمان, عن جابر الجعفيّ, قال: لما نزلت: فاسْأَلُوا أَهْلَ الذّكْرِ إنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ قال عليّ: نحن أهل الذّكر.

18478ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فاسْأَلُوا أَهْلَ الذّكْرِ إنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ قال: أهل القرآن, والذكر: القرآن. وقرأ: إنّا نَحْنُ نَزّلْنا الذّكْرَ وَإنّا لَهُ لحَافِظُونَ

الآية : 8

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لاّ يَأْكُلُونَ الطّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَالِدِينَ }.

يقول تعالى ذكره: وما جعلنا الرسل الذين أرسلناهم من قبلك يا محمد إلى الأمم الماضية قبل أمتك, جَسَدا لا يَأْكُلُونَ الطّعامَ يقول: لم نجعلهم ملائكة لا يأكلون الطعام, ولكن جعلناهم أجسادا مثلك يأكلون الطعام. كما:

18479ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله: وَما جَعَلْناهُمْ جَسَدا لا يَأْكُلُونَ الطّعام يقول: ما جعلناهم جسدا إلا ليأكلوا الطعام.

18480ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ومَا جَعَلْناهُمْ جَسَدا لا يَأْكُلُونَ الطّعامَ يقول: لم أجعلهم جسدا ليس فيهم أرواح لا يأكلون الطعام, ولكن جعلناهم جسدا فيها أرواح يأكلون الطعام.

قال أبو جعفر: وقال وما جَعَلْنَاهُمْ جَسَدا فوحّد «الجسد» وجعله موحدا, وهو من صفة الجماعة, وإنما جاز ذلك لأن الجسد بمعنى المصدر, كما يقال في الكلام: وما جعلناهم خَلْقا لا يأكلون.

وقوله: ومَا كانُوا خالِدِينَ يقول: ولا كـانوا أربـابــا لا يــموتون ولا يفنـون, ولكنهم كانوا بشرا أجسادا فماتوا وذلك أنهم قـالوا لرسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم, كما قد أخبر الله عنهم: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حتـى تَفْجُرَ لَنـا مِـنَ الأرْضِ يَنْبُوعا... إلـى قوله: أوْ تَأْتِـيَ بـاللّهِ وَالـمَلائِكَةِ قَبِـيلاً قال الله تبـارك وتعالــى لهم: ما فعلنا ذلك بأحد قبلكم فنفعل بكـم, وإنــما كنـا نرسـل إلــيهم رجـالاً نوحي إلـيهم كما أرسلنا إلـيكم رسولاً نوحي إلـيه أمرنا ونهينا.
وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
18481ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: ومَا كانُوا خالِدِينَ: أي لا بد لهم من الـموت أن يـموتوا.

الآية : 9

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {ثُمّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَـاهُمْ وَمَـن نّشَـآءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ }.
يقول تعالـى ذكره: ثم صدقنا رسلنا الذين كذبتهم أمـمهم وسألتهم الآيات, فأتـيناهم ما سألوه من ذلك ثم أقاموا علــى تكـذيبهم إياهـا, وأصـرّوا علــى جحودهم نبوّتها بعد الذي أتتهم به من آيات ربها, وعـدَنا الـذي وعـدناهم مـن الهلاك علـى إقامتهم علـى الكفر بربهم بعد مـجيء الآية التـي سألوا. وذلـك كقوله جلّ ثناؤه: فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فإنّي أُعَذّبُهُ عَذَابـا لا أُعَذّبُهُ أحَـدا مِـنَ العالَـمِينَ وكقوله: وَلا تَـمَسّوها بِسُوءٍ فَـيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ونـحو ذلك مـن الـمواعيد التـي وعد الأمــم مـع مــجيء الآيـات. وقـوله: فَأَنْــجَيْناهُمْ يقـول تعالـى ذكره: فأنـجينا الرسل عند إصرار أمــمها علــى تكـذيبها بعـد الآيـات, وَمَـنْ نَشـاءُ وهـم أتبــاعها الـذين صـدّقوها وآمنـوا بهـا. وقـوله»: وأهْلَكنـا الـمسْرِفِـينَ يقـول تعالــى ذكـره»: وأهلكنـا الـذين أسـرفوا علــى أنفسـهم بكفرهم بربهم, كما:
18482ـ حدثنا بِشر, قال: حـدثنا يزيـد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتـادة: وأهلَكْنا الـمُسْرِفِـين والـمسرفون: هم الـمشركون.

الآية : 10

القول فـي تأويـل قـوله تعالــى: {لَقَـدْ أَنزَلْنَـآ إِلَيْكُـمْ كِتَابـاً فِيـهِ ذِكْرُكُـمْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ }.
اختلف أهل التأويـل فـي معنى ذلك, فقـال بعضـهم: معنـاه, لقـد أنزلنـا إلـيكم كتابـا فـيه ذكركم, فـيه حديثكم. ذكر من قال ذلك:
18483ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, ق ال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الــحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء جميعـا, عن ابن أبـي نـجيح عن مـجاهد, قوله: فِـيهِ ذِكْرُكُمْ قال: حديثكم.
18484ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, ع ن اب ن جريج, عن مـجاهد: لَقَدْ أنْزَلْنا إلَـيْكُمْ كَتابـا فــيه ذِكْرُكُـمْ قـال: حـديثكم: أفَلا تَعْقِلونَ قال: «قد أفلـح» بَلْ أتَـيْناهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ.
18485ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: حدثنا سفــيان: نـزل القرآن بـمكارم الأخلاق, ألـم تسـمعه يقـول: لَقَـدْ أنْزَلْنـا إلَــيْكُمْ كِتابــا فِــيهِ ذِكْرُكُمْ أفَلا تَعْقِلُونَ؟
وقال آخرون: بل عُنـي بـالذكر فـي هذا الـموضع: الشرفُ, وقالوا: معنى الكلام: لقد أنزلنا إلـيكم كتابـا فـيه شرفكم.

قال أبو جعفر: وهذا القول الثاني أشبه بمعنى الكلمة, وهو نحو مما قال سفيان الذي حكينا عنه, وذلك أنه شرفٌ لمن اتبعه وعمل بما فيه.

الآية : 11 -12

القول في تأويل قوله تعالى: {وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ * فَلَمّآ أَحَسّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُمْ مّنْهَا يَرْكُضُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وكثيرا قصمنا من قرية. والقصم: أصله الكسر, يقال منه: قصمت ظهر فلان إذا كسرته, وانْقَصَمَتْ سِنّه: إذا انكسرت. وهو ههنا معنيّ به «أهلكنا», وكذلك تأوّله أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18486ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وكَمْ قَصَمْنا قال: أهلكنا.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قوله: وكَمْ قَصَمْنا مِنْ قَرْيَةٍ قال: أهلكناها.

قال ابن جُرَيج: قصمنا من قرية, قال: باليمن, قصمنا, بالسيف أُهلكوا.

18487ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قول الله: قَصَمْنا مِنْ قَرْيَةٍ قال: قصمها أهلكها.

وقوله: مِنْ قَرْيَةٍ كانَتْ ظالِمَةً أجرى الكلام على القرية, والمراد بها أهلها لمعرفة السامعين بمعناه. وكأن ظُلْمَها كُفْرُها بالله وتكذيبُها رسله. وقوله: وأنْشأنا بَعْدَهَا قَوْما آخَرِينَ يقول تعالى ذكره: وأحدثنا بعد ما أهلكنا هؤلاء الظلمة من أهل هذه القرية التي قصمناها بظلمها قوما آخرين سواهم.

وقوله: فَلَمّا أحَسّوا بأْسَنا يقول: فلما عاينوا عذابنا قد حلّ بهم ورأوه قد وجدوا مَسّه, يقال منه: قد أحْسَسْتُ من فلان ضعفا, وأحَسْتُه منه. إذَا هُمْ مِنْها يَرْكُضُونَ يقول: إذا هم مما أحَسّوا بأسنا النازل بهم يهربون سراعا عَجْلَى يَعْدُون منهزمين, يقال منه: ركض فلان فَرَسَهُ: إذا كَدّه بسياقته.

الآية : 13

القول في تأويل قوله تعالى: {لاَ تَرْكُضُواْ وَارْجِعُواْ إِلَىَ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلّكُمْ تُسْأَلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: لا تهربوا وارجعوا إلى ما أُترفتم فيه: يقول: إلى ما أُنعمتم فيه من عيشتكم ومساكنكم كما:

18488ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قوله: لا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إلى ما أُتْرِفْتُمْ فِيهِ ومَسَاكِنِكُمْ تُسْئَلُونَ يعني من نزل به العذاب في الدنيا ممن كان يعصي الله من الأمم.

18489ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: لا تَرْكُضُوا: لا تفرّوا.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

18490ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة: وَارْجِعُوا إلى ما أُتْرِفْتُمْ فِيهِ يقول: ارجعوا إلى دنياكم التي أُترفتم فيها.

18491ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور عن معمر, عن قتادة: وَارْجِعُوا إلى ما أُتْرِفْتُمْ فِيهِ قال: إلى ما أُترفتم فيه من دنياكم.
واختلف أهل التأويل في معنى قوله: لَعَلّكُمْ تُسْئَلُونَ فقال بعضهم: معناه: لعلكم تفقهون وتفهمون بالمسألة. ذكر من قال ذلك:
18492ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قوله: لَعَلّكُمْ تُسْئَلُونَ قال: تفقهون.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد: لَعَلّكُمْ تُسْئَلُونَ قال: تفقهون.
وقال آخرون: بل معناه لعلكم تُسئلون من دنياكم شيئا على وجه السخرية والاستهزاء. ذكر من قال ذلك:
18493ـ حدثني بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة: لَعَلّكُمْ تُسْئَلُونَ استهزاء بهم.
حدثني محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: لَعَلّكُمْ تُسْئَلُونَ من دنياكم شيئا, استهزاء بهم.

الآية : 14 - 15

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالُواْ يَوَيْلَنَآ إِنّا كُنّا ظَالِمِينَ * فَمَا زَالَت تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتّىَ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً خَامِدِينَ }.
يقول تعالى ذكره: قال هؤلاء الذين أحلّ الله بهم بأسه بظلمهم لما نزل بهم بأس الله: يا ويلنا إنا كنا ظالمين بكفرنا بربنا فما زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ يقول: فلم تزل دعواهم, حين أتاهم بأس الله, بظلمهم أنفسهم: يا وَيْلَنا إنّا كُنّا ظالِمِينَ حتى قتلهم الله, فحصدهم بالسيف كما يُحْصَد الزرع ويستأصل قَطْعا بالمناجل. وقوله: خامِدِينَ يقول: هالكين قد انطفأت شرارتهم, وسكنت حركتهم, فصاروا هُمودا كما تخمد النار فتطفأ.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
18494ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ... الآية. فلما رأوا العذاب وعاينوه لم يكن لَهُمْ هِجّيرَي إلا قولهم: يا وَيْلَنا إنّا كُنّا ظالِمِينَ حتى دمّر الله عليهم وأهلكهم.
حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: قالُوا يا وَيْلَنا إنّا كُنّا ظالِمِينَ فمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حتى جَعَلْناهُمْ حَصِيدا خامِدِينَ يقول: حتى هلكوا.
18495ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال ابن عباس: حَصِيدا الحصاد. خامدين خمود النار إذا طفئت.
18496ـ حدثنا سعيد بن الربيع, قال: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: إنهم كانوا أهل حصون, وإن الله بعث عليهم بختنصر, فبعث إليهم جيشا فقتلهم بالسيف, وقتلوا نبيّا لهم فحُصِدوا بالسيف وذلك قوله: فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حتى جَعَلْناهُمْ حَصِيدا خامِدِينَ بالسيف.

الآية : 16

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَا خَلَقْنَا السّمَآءَ وَالأرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِينَ }.

يقول تعالى ذكره: ومَا خَـلَقْنَا السّماءَ والأرْض ومَا بَـيْنَهُما إلا حجة علـيكم أيها الناس, ولتعتبروا بذلك كلـه, فتعلــموا أن الـذي دبـره وخــلقه لا يشـبهه شيء, وأنه لا تكون الألوهـة إلا لـه, ولا تصلــح العبــادة لشـيء غيـره, ولــم يَخْـلق ذلك عبثا ولعبـا. كما:

18497ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَما خَـلَقْنا السّماءَ والأرْضَ ومَا بَـيْنَهُما لاعِبِـينِ يقول: مـا خــلقناهما عَبَثـا ولا بـاطلاً.

الآية : 17

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {لَوْ أَرَدْنَآ أَن نّتّخِذَ لَهْواً لاّتّخَذْنَاهُ مِـن لّـدُنّآ إِن كُنّا فَاعِلِينَ }.

يقول تعالـى ذكره: لو أردنا أن نتـخذ زوجة وولدا لاتـخذنا ذلك من عندنا, ولكنا لا نفعل ذلك, ولا يصلـح لنا فعله ولا ينبغـي لأنـه لا ينبغـي أن يكـون للـه ولد ولا صاحبة.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

18498ـ حدثنـي مـحمد بن سلـيـمان بن عبـيد الله الغيدانـي, قال: حدثنا أبو قُتـيبة, قال: حدثنا سلام بن مسكين, قال: حدثنا عقبـة بـن أبــي حمـزة, قال: شهدت الـحسن بـمكة, قال: وجاءه طاوس وعطاء ومـجاهد, فسـألوه عن قول الله تبـارك وتعالـى: لَوْ أرَدْنا أنْ نَتّـخِذَ لَهْوا لاتّـخَذْناهُ قال الــحسن: اللهو: الـمرأة.

18499ـ حدثنـي سعيد بن عمرو السكونـي, قال: حدثنا بقـية بن الوليـد, عن علـيّ بن هارون, عن مـحمد, عن لـيث, عن مـجاهد فـي قوله: لَوْ أرَدْنـا أنْ نَتّـخِذَ لَهْوا قال: زوجة.

18500ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله: لَوْ أرَدْنا أنْ نَتّـخِذَ لَهْوا... الآية, أي أن ذلك لا يكون ولا ينبغي. واللهو بلغة أهل الـيـمن: الـمرأة.

حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قَتادة: لَوْ أرَدْنا أنْ نَتّـخِذَ لَهْوا قال: اللهو فـي بعض لغة أهل الـيـمن: الـمرأة. لاتّـخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنّا. وقوله: إنْ كنّا فـاعِلِـينَ.

18501ـ حدثنا ابن عبد الأعلـى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة, قوله: إنْ كُنّا فـاعِلِـينَ يقول: ما كنا فـاعلـين.

18502ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جُرَيج, قال: قالوا مريـم صاحبته, وعيسى ولده, فقـال تبــارك وتعالــى: لَـوْ أرَدْنا أن نَتّـخِذَ لَهْوا نساء وولدا, لاتـخَذْناهُ مِنْ لَدُنّا إنْ كُنّا فـاعِلِـينَ قـال: مـن عندنا, ولا خـلقنا جنة ولا نارا ولا موتا ولا بعثا ولا حسابـا.

18503ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الــحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء جميعـا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قوله: لاتّــخَذْناهُ مِـنْ لَـدُنّا مـن عنـدنا, وما خـلقنا جنة ولا نارا ولا موتا ولا بعثا.

الآية : 18

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَــإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمّا تَصِفُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ولكن ننزل الحقّ من عندنا, وهو كتاب الله وتنزيله على الكفر به وأهله, فَيَدْمَغُهُ يقول: فيهلكه كما يدمغ الرجل الرجل بأن يشجّه على رأسه شجة تبلغ الدماغ, وإذا بلغت الشجة ذلك من المشجوج لم يكن له بعدها حياة.

وقوله فإذَا هُوَ زَاهِقٌ يقول: فإذا هو هالك مضمحلّ كما:

18504ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة: فإذَا هَوَ زَاهِقٌ قال: هالك.

حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: فإذَا هُوَ زَاهِقٌ قال: ذاهب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18505ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: بَلْ نَقْذِفُ بالحَقّ عَلى الباطِلِ فَيَدْمَغُهُ فإذَا هُوَ زَاهِقٌ والحقّ كتاب الله القرآن, والباطل: إبليس, فَيدْمَغُهُ فإذَا هُوَ زَاهِقٌ أي ذاهب.

وقوله: وَلَكُمُ الوَيْلُ مِمّا تَصِفُونَ يقول: ولكم الويل من وصفكم ربكم بغير صفته, وقِيلكم إنه اتخذ زوجة وولدا, وفِريتكم عليه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل, إلا أن بعضهم قال: معنى تصفون تكذبون. وقال آخرون: معنى ذلك: تشركون. وذلك وإن اختلفت به الألفاظ فمتفقة معانيه لأن من وصف الله بأن له صاحبة فقد كذب في وصفه إياه بذلك, وأشرك به, ووصفه بغير صفته. غير أن أولى العبارات أن يُعَبر بها عن معاني القرآن أقربها إلى فهم سامعيه. ذكر من قال ما قلنا في ذلك:

18506ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَلَكُمْ الوَيْلُ مِمّا تَصِفُونَ أي تكذبون.

18507ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج: وَلَكُمُ الوَيْلُ مِمّا تَصِفونَ قال: تشركون وقوله عَمّا يَصِفُونَ قال: يشركون قال: وقال مجاهد: سيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ قال: قولَهم الكذب في ذلك.

الآية : 19

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَهُ مَن فِي السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وكيف يجوز أن يتخذ الله لهوا, وله مُلك جميع من في السموات والأرض, والذين عنده من خلقه لا يستنكفون عن عبادتهم إياه ولا يَعْيَون من طول خدمتهم له, وقد علمتم أنه لا يستعبد والد ولده ولا صاحبته, وكل من في السموات والأرض عبيده, فأنى يكون له صاحبة وولد يقول: أولا تتفكرون فيما تفترون من الكذب على ربكم؟

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18508ـ حدثنا عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَلا يَسْتَحْسِرُونَ لا يرجعون.

18509ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَلا يَسْتَحْسِرُونَ لا يحسَرون.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

18510ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله: وَلا يَسْتَـحْسِرُونَ قال: لا يُعيون.
حدثنا الـحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, قوله: وَلا يَسْتَـحْسِرُونَ قال: لا يعيون.
حدثنا ابن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتـادة مثله.
18511ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فـي قوله: لا يَسْتَكْبِرونَ عَـنْ عِبـادَتِهِ وَلا يَسْتَـحْسِرُونَ قـال: لا يستـحسرون, لا يـملّون ذلك الاستـحسار, قال: ولا يفترون, ولا يسأمون.
هذا كله معناه واحد والكلام مختلف, وهو من قولهم: بعير حَسِير: إذا أعيا وقام ومنه قول علقمة بن عبدة:
بِها جِيَفُ الـحَسْرَى فأمّا عِظامُها فَبِـيضٌ, وأمّا جِلْدُها فَصَلِـيبُ

الآية : 20 و 21

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {يُسَـبّحُونَ اللّيْـلَ وَالنّهَـارَ لاَ يَفْتُـرُونَ * أَمِ اتّخَذُوَاْ آلِهَةً مّنَ الأرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ }.
يقول تعالـى ذكره: يسبح هؤلاء الذين عنده من ملائكة ربهم اللـيـل والنهار لا يفترون من تسبـيحهم إياه. كما:
18512ـ حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَـية, قال: أخبرنـا حميـد, عـن إسحاق بن عبد الله بن الـحارث, عن أبـيه أن ابـن عبـاس سـأل كعبـا عـن قـوله: يُسَـبّحُون اللّيْـلَ وَالنّهَـارَ لاَ يَفْتُـرُونَ و «يسـبحون اللـيـل والنهـار لا يسأمون» فقال: هل يَنُودك طرفك؟ هل يَنُودك نَفَسُك؟ قال: لا قال: فـإنهم أُلهموا التسبـيح كما أُلهمتـم الطّرْف والنّفَس.
18513ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي أبو معاوية, عـن أبـي إسحاق الشيبـانـي, عن حسان بن مخارق, عن عبـد اللـه بـن الـحرث, قال: قلت: لكعب الأحبـار: يُسَبّحُونَ اللّيْـلَ والنّهـارَ لا يَفْتُـرونَ أمـا يشـغلهم رسالة أو عمل؟ قال: يا ابن أخي إنهـم جُعـل لهـم التسبـيح كمـا جُعـل لكـم النفس, ألست تأكل وتشرب وتقوم وتقعـد وتـجيء وتـذهب وأنـت تنفّـس؟ قلت: بلـى قال: فكذلك جُعل لهم التسبـيح.
18514ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن وأبو داود, قـالا: حـدثنا عمران القطان, عن قتادة, عن سالـم بن أبـي الـجعد, عن معدان بـن أبـي طلـحة, عن عمرو البكالـي, عـن عبـد اللـه بـن عمـر, قـال: إن اللـه خـلق عشرة أجزاء, فجعـل تسـعة أجـزاء الـملائكة وجـزءا سـائر الـخـلق. وجَـزّأ الـملائكة عشـرة أجـزاء, فجعـل تسـعة أجـزاء يسـبحون اللـيـل والنهـار لا يفترون وجزءا لرسالته. وجَزّأ الـخـلق عشـرة أجـزاء, فجعـل تسـعة أجـزاء الـجنّ وجزءا سائر بنـي آدم. وجَـزّأ بنـي آدم عشـرة أجـزاء, فجعـل يـأجوج ومأجوج تسعة أجزاء وجزءا سائر بنـي آدم.
18515ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله: يُسَبّحُونَ اللّيْـلَ والنّهارَ لا يَفْتُرُون يقول: الـملائكة الذين هم عنـد الرحمـن لا يستكبرون عن عبـادته ولا يسأمون فـيها. وذُكر لنا أن نبـيّ اللـه صـلى اللـه عليه وسلم بـينـما هو جالس مع أصـحابه, إذ قـال: «تَسْـمَعُونَ مـا أسْـمَعُ؟»

قالوا: ما نسمع من شيء يا نبـيّ الله قال: «إنّـي لأسْمَعُ أطِيطَ السّماءِ, ومَا تُلامُ أنْ تَئِطّ وَلَـيْسَ فِـيها مَوْضِعُ رَاحَةٍ إلاّ وَفِـيهِ مَلَكٌ ساجِدٌ أو قَائمٌ».

وقوله: أم اتـخَذُوا آلِهَةً مِنَ الأرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ يقول تعالـى ذكره: أتـخذ هؤلاء الـمشركون آلهة من الأرض هم ينشرون يعنـي بقـوله «هـم»: الآلهـة. يقول: هذه الآلهـة التــي اتــخذوها تنشـر الأمـوات يقـول: يحيـون الأمـوات, وينشرون الـخـلق, فإن الله هو الذي يحيـي ويـميت. كما:

18516ـ حدثنـي مـحمد بن عمـرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: ثنــي عيسى «ح» وحدثنـي الــحارث, قـال: حـدثنا الــحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء جميعا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: يُنْشِرُونَ يقول: يُحيون.

18517ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله: أمِ اتّـخَذُوا آلِهَةً مِنَ الأرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ يقول: أفـي آلهتـم أحد يحيــي ذلك يُنْشِرُون؟ وقرأ قول الله: قُلْ مَنْ يَرْزقُكمْ مِنَ السّـماءِ والأرْضِ... إلــى قوله: ما لَكُمْ كَيْفَ تَـحْكُمُونَ.

الآية : 22

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَآ آلِهَةٌ إِلاّ اللّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللّهِ رَبّ الْعَرْشِ عَمّا يَصِفُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: لو كان فـي السموات والأرض آلهة تصلـح لهم العبـادة سوى الله الذي هو خالق الأشياء, وله العبـادة والألوهة التـي لا تصلـح إلا لــه لَفَسَدَتا يقول: لفسد أهل السموات والأرض. فَسُبْحانَ اللّهِ رَبّ العَرْشِ عَمّـا يَصِفُونَ يقول جلّ ثناؤه: فتنزيه لله وتبرئـة لـه مــما يفـتري بـه علــيه هـؤلاء الـمشركون به من الكذب. كما:

18518ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله: لَوْ كانَ فِـيهِما آلِهَةٌ إلاّ اللّهُ لَفَسَدَتا فَسُـبْحانَ اللّـهِ رَبّ العَـرْشِ عَمّـا يَصِـفُونَ يسبح نفسه إذْ قـيـل علـيه البهتان.

الآية : 23

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {لاَ يُسْأَلُ عَمّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: لا سائل يسأل ربّ العرش عن الذي يفعل بخـلقه من تصريفهم فـيـما شاء من حياة وموت وإعـزاز وإذلال وغيـر ذلـك مـن حكمـه فـيهم لأنهم خـلقه وعبـيده, وجميعهم فـي ملكه وسلطانه, والــحكم حكمـه, والقضاء قضاؤه, لا شيء فوقه يسأله عما يفعل فـيقول له لـم فعلت؟ ولــمَ لـم تفعل؟ وَهُمْ يُسْئَلُونَ يقول جلّ ثناؤه: وجميع من فـي السـموات والأرض من عبـاده مسؤولون عن أفعالهم, ومـحاسبون علــى أعمـالهم, وهـو الـذي يسألهم عن ذلك ويحاسبهم علـيه لأنه فوقهم ومالكهم, وهم فـي سلطانه.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

18519ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: لا يُسْئَلُ عَمّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـئَلُونَ يقـول: لا يسـئل عمـا يفعـل بعبــاده, وهـم يُسئلون عن أعمالهم.

18520ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جريج, قال: قوله: لا يُسْئَلُ عَمّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـئَلُونَ قـال: لا يسـئل الــخالق عن قضائه فـي خـلقه, وهو يسأل الـخـلق عن عملهم.

18521ـ حدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: لا يُسْئَلُ عَمّا يَفْعَل وَهُمْ يُسْـئَلُونَقال: لا يسئل الخالق عما يقضي في خلقه, والخلق مسؤولون عن أعمالهم.

الآية : 24

القول في تأويل قوله تعالى: {أَمِ اتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ هَـذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ الْحَقّ فَهُمْ مّعْرِضُونَ }.

يقول تعالى ذكره: أتخذ هؤلاء المشركون من دون الله آلهة تنفع وتضرّ وتخلق وتحيي وتميت؟ قل يا محمد لهم: هاتوا برهانكم يعني حجتكم يقول: هاتوا إن كنتم تزعمون أنكم محقون في قيلكم ذلك حجة ودليلاً على صدقكم. كما:

18522ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله: قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ يقول: هاتوا بينتكم على ما تقولون.

وقوله: هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ يقول: هذا الذي جئتكم به من عند الله من القرآن والتنزيل, ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ يقول: خبر من معي مما لهم من ثواب الله على إيمانهم به وطاعتهم إياه وما عليهم من عقاب الله على معصيتهم إياه وكفرهم به. وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي يقول: وخبر من قبلي من الأمم التي سلفت قبلي, وما فعل الله بهم في الدنيا وهو فاعل بهم في الآخرة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18523ـ حدثني بِشْر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله: هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ يقول: هذا القرآن فيه ذكر الجلال والحرام. وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي يقول: ذكر أعمال الأمم السالفة وما صنع الله بهم وإلى ما صاروا.

18524ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج» هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ قال: حديث من معي, وحديث من قبلي.

وقوله: بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الحَقّ يقول: بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون الصواب فيما يقولون ولا فيما يأتون ويذرون, فهم معرضون عن الحقّ جهلاً منهم به وقلّة فهم.

وكان قَتادة يقول في ذلك ما:

18525ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة: بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الحَقّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ عن كتاب الله.

الآية : 25

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رّسُولٍ إِلاّ نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنّهُ لآ إِلَـَهَ إِلاّ أَنَاْ فَاعْبُدُونِ }.

يقول تعالى ذكره: وما أرسلنا يا محمد من قبلك من رسول إلى أمة من الأمم إلا نوحي إليه أنه لا معبود في السموات والأرض تصلح العبادة له سواي فاعْبُدُونِ يقول: فأخلصوا لي العبادة, وأفردوا لي الألوهة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18526ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَمَا أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسولٍ إلاّ نُوحِي إلَيْهِ أنّه لا إلَهَ إلاّ أنا فاعْبُدُونِ قال: أرسلت الرسل بالإخلاص والتوحيد, لا يقبل منهم قال أبو جعفر: أظنه

أنا قال عمل حتى يقولوه ويقرّوا به والشرائع مختلفةٌ, في التوراة شريعة وفي الإنجيل شريعة وفي القرآن شريعة حلال وحرام. وهذا كله في الإخلاص لله والتوحيد له.

الآية : 26 و 27

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَالُواْ اتّخَذَ الرّحْمَـنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مّكْرَمُونَ * لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء الكافرون بربهم: اتخذ الرحمن ولدا من ملائكته فقال جلّ ثناؤه استعظاما مما قالوا وتبرّيا مما وصفوه به سبحانه, يقول تنزيها له عن ذلك: ما ذلك من صفته بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ يقول: ما الملائكة كما وصفهم به هؤلاء الكافرون من بني آدم, ولكنهم عباد مكرمون يقول: أكرمهم الله. كما:

18527ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَقالُوا اتّـخَذَ الرّحْمَنُ وَلَدا سُبْحانَهُ بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ قال: قالت اليهود: إن الله تبارك وتعالى صاهر الجنّ, فكانت منهم الملائكة. قال الله تبارك وتعالى تكذيبا لهم وردّا عليهم: بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ وإن الملائكة ليس كما قالوا, إنما هم عباد أكرمهم بعبادته.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة. وحدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة: وقَالُوا اتّـخَذَ الرّحْمَنُ وَلَدا قالت اليهود وطوائف من الناس: إن الله تبارك وتعالى خاتن إلى الجنّ والملائكة من الجنّ قال الله تبارك وتعالى: سُبْحانَهُ بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ.

وقوله: لا يَسْبِقُونَهُ بِالقَوْلِ يقول جلّ ثناؤه: لا يتكلمون إلا بما يأمرهم به ربهم, ولا يعملون عملاً إلا به.

18528ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: قال الله: لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ يُثْني عليهم» وَهُمْ بأمْرِهِ يَعْمَلُونَ.

الآية : 28

القول في تأويل قوله تعالى: {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاّ لِمَنِ ارْتَضَىَ وَهُمْ مّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ }.

يقول تعالى ذكره: يعلم ما بين أيدي ملائكته ما لم يبلغوه ما هو وما هم فيه قائلون وعاملون, وَمَا خَلْفَهُمْ يقول: وما مضى من قبل اليوم مما خلفوه وراءهم من الأزمان والدهور ما عملوا فيه, قالوا: ذلك كله مُحْصًى لهم وعليهم, لا يخفى عليه من ذلك شيء.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18529ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: يَعْلَمُ ما بينَ أيْدِيهمْ ومَا خَلْفَهُمْ يقول: يعلم ما قدّموا وما أضاعوا من أعمالهم.

وَلا يَشْفَعُونَ إلاّ لِمَنِ ارْتَضَى يقول: ولا تشفع الملائكة إلا لمن رضي الله عنه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18530ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَلا يَشْفَعُونَ إلاّ لِمَنِ ارْتَضَى يقول: الذين ارتضى لهم شهادة أن لا إله إلا الله.

18531ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: إلاّ لِمَنِ ارْتَضَى قال: لمن رضي عنه.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

18532ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله: وَلا يَشْفَعُونَ إلاّ لِمَنِ ارْتَضَى يوم القيامة, وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال أخبرنا معمر, عن قتادة يقول: ولا يشفعون يوم القيامة.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, مثله.

وقوله: وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ يقول: وهم من خوف الله وحذار عقابه أن يحلّ بهم مشفقون, يقول: حذرون أن يعصوه ويخالفوا أمره ونهيه.

الآية : 29

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنّيَ إِلَـهٌ مّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظّالِمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: ومن يقل من الملائكة إني إله من دون الله, فَذَلِكَ الذي يقول ذلك منهم نَجْزِيهِ جَهَنّمَ يقول: نثيبه على قيله ذلك جهنم. كَذَلِكَ نَجْزِي الظّالِمينَ يقول: كما نجزي من قال من الملائكة إني إله من دون الله جهنم, كذلك نجزي ذلك كل من ظلم نفسه فكفر بالله وعبد غيره. وقيل: عني بهذه الآية إبليس. وقال قائلو ذلك: إنما قلنا ذلك, لأنه لا أحد من الملائكة قال إني إله من دون الله سواه ذكر من قال ذلك:

18533ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج: وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ قال: قال ابن جُرَيج: من يقل من الملائكة إني إله من دونه فلم يقله إلا إبليس دعا إلى عبادة نفسه, فنزلت هذه في إبليس.

18534ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة: وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إنّي إلَهٌ منْ دُونِهِ فَذَلكَ نَجْزِيهِ جَهَنّمَ كَذلكَ نَجْزِي الظّالِمينَ وإنما كانت هذه الآية خاصة لعدوّ الله إبليس لما قال ما قال لعنه الله وجعله رجيما, فقال: فَذلكَ نَجْزِيهِ جَهَنّمَ كَذلكَ نَجزِي الظّالِمينَ.

18535ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة: وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إنّي إلَهٌ منْ دُونِهِ فَذلكَ نَجْزِيهِ جَهَنّمَ قال: هي خاصة لإبليس.

الآية : 30

القول في تأويل قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَ الّذِينَ كَفَرُوَاْ أَنّ السّمَاوَاتِ وَالأرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَآءِ كُلّ شَيْءٍ حَيّ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ }.

يقول تعالى ذكره: أو لم ينظر هؤلاء الذي كفروا بالله بأبصار قلوبهم, فيروا بها, ويعلموا أن السموات والأرض كانتا رَتْقا: يقول: ليس فيهما ثقب, بل كانتا ملتصقتين يقال منه: رتق فلان الفتق: إذا شدّه, فهو يرتقه

رَتْقا ورتوقا ومن ذلك قيل للمرأة التي فرجها ملتحم: رتقاء. ووحد الرّتقْ, وهو من صفة السماء والأرض, وقد جاء بعد قوله: كانَتا لأنه مصدر, مثل قول الزّور والصوم والفطر.

وقوله: فَفَتَقْناهُما يقول: فصدعناهما وفرجناهما.

ثم اختلف أهل التأويل في معنى وصف الله السموات والأرض بالرتق, وكيف كان الرتق, وبأيّ معنى فتق؟ فقال بعضهم: عَنَى بذلك أن السموات والأرض كانتا ملتصقتين ففصل الله بينهما بالهواء. ذكر من قال ذلك:

18536ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: أوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أنّ السَمَوَاتِ والأرْضَ كانَتا رَتْقا يقول: ملتصقتين.

18537ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: أوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أنّ السّمَوَاتِ والأرْضَ كانَتا رتْقا فَفَتَقْناهما... الآية, يقول: كانتا ملتصقتين, فرفع السماء ووضع الأرض.

18538ـ حدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: أنّ السّمَوَاتِ والأرْضَ كانتا رَتْقا فَفَتَقْناهُما كان ابن عباس يقول: كانتا ملتزقتين, ففتقهما الله.

18539ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: أنّ السّمَوَاتِ والأرْضَ كانَتا رَتْقا فَفَتَقْناهُما قال: كان الحسن وقَتادة يقولان: كانتا جميعا, ففصل الله بينهما بهذا الهواء.

وقال آخرون: بل معنى ذلك أن السموات كانت مرتتقة طبقة, ففتقها الله فجعلها سبع سموات. وكذلك الأرض كانت كذلك مرتتقة, ففتقها فجعلها سبع أرضين ذكر من قال ذلك:

18540ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله تبارك وتعالى: رَتْقا فَفَتَقْناهُما من الأرض ستّ أرضين معها فتلك سبع أرضين معها, ومن السماء ستّ سموات معها فتلك سبع سموات معها. قال: ولم تكن الأرض والسماء متماسّتين.

18541ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: رَتْقا فَفَتَقْناهُما قال: فتقهنّ سبع سموات بعضهنّ فوق بعض, وسبع أرضين بعضهنّ تحت بعض.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد نحو حديث محمد بن عمرو, عن أبي عاصم.

18542ـ حدثنا عبد الحميد بن بيان, قال: أخبرنا محمد بن يزيد, عن إسماعيل, قال: سألت أبا صالح عن قوله: كانَتا رَتْقا فَفَتَقْناهُما قال: كانت الأرض رتقا والسموات رتقا, ففتق من السماء سبع سموات, ومن الأرض سبع أرضين.

18543ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: كانت سماء واحدة ثم فتقها, فجعلها سبع سموات في يومين, في الخميس والجمعة, وإنما سُمي يوم الجمعة لأنه جمع فيه

خـلق السموات والأرض, فذلك حين يقـول: خَــلَقَ السّـمَوَاتِ وَالأرْضِ فــي سِتّةِ أيّامٍ يقول: كانَتا رَتْقا فَفَتَقْناهُما.

وقال آخرون: بل عُنـي بذلك أن السـموات كـانت رتقـا لا تــمطر والأرض كذلك رتقا لا تنبت, ففتق السماء بـالـمطر والأرض بـالنبـات. ذكـر مـن قـال ذلك:

18544ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن سماك, عن عكرمة: أوَ لَـمْ يَرَ الّذِينَ كَفَرُوا أنّ السّمَوَاتِ والأرْضَ كانَتا رَتْقا فَفَتَقْناهُما قال: كانتا رتقا لا يخرج منهما شيء, ففتق السماء بـالــمطر وفتـق الأرض بـالنبــات. قـال: وهو قوله: والسّماءِ ذَاتِ الرّجْعِ والأرْضِ ذَاتِ الصّدْعِ.

18545ـ حدثنـي الـحسين بـن علــيّ الصـدائي, قـال: حـدثنا أبــي, عـن الفضيـل بـن مـرزوق, عـن عطيـة, فــي قـوله: أوَ لَــمْ يَـرَ الّـذِينَ كَفَـرُوا أنّ السّمَوَاتِ والأرْضَ كانَتا رَتْقا فَفَتَقْناهُمـا قـال: كـانت السـماء رتقـا لا تــمطر والأرض رتقا لا تنبت, ففتق السماء بـالـمطر وفتـق الأرض بـالنبــات وجعـل من الـماء كلّ شيء حيّ, أفلا يؤمنون؟

18546ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد فــي قوله: أوَ لَـمْ يَرَ الّذِينَ كَفَرُوا أن السّمَوَاتِ والأرْضَ كانَتا رَتْقا فَفَتَقْناهُما قـال: كانت السموات رتقا لا ينزل منهـا مطـر, وكـانت الأرض رتقـا لا يخـرج منهـا نبـات, ففتقهما الله, فأنزل مطر السماء, وشقّ الأرض فأخرج نبـاتها. وقرأ: فَفَتَقْناهُما وَجَعَلْنا مِنَ الـماء كلّ شَيْءٍ حَيّ أفَلا يُؤْمِنُونَ.

وقال آخرون: إنـما قـيـل فَفَتَقْناهُمـا لأن اللـيــل كـان قبـل النهـار, ففتـق النهار. ذكر من قال ذلك:

18547ـ حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا الثوري, عن أبـيه, عن عكرِمة, عن ابن عبـاس, قال: خـلق اللـيـل قبل النهـار. ثـم قـال: كانَتا رَتْقا فَفَتَقْنَاهُما.

قال أبو جعفر: وأولـى الأقوال فـي ذلك بـالصواب قول مـن قـال: معنـى ذلك: أو لـم يـر الـذي كفـروا أن السـموات والأرض كانتـا رتقـا مـن الــمطر والنبـات, ففتقنا السماء بـالغيث والأرض بـالنبـات.

وإنـما قلنا ذلك أولـى بـالصواب فـي ذلك لدلالة قوله: وجَعَلْنا مِنَ الـماءِ كُلّ شَيْءٍ حَيّ علـى ذلك, وأنه جـلّ ثنـاؤه لــم يعقـب ذلـك بوصـف الــماء بهـذه الصفة إلا والذي تقدمه من ذكر أسبـابه.

فإن قال قائل: فإن كان ذلك كذلك, فكيف قـيـل: أو لـم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا, والغيث إنـما ينزل من السـماء الدنــيا؟ قـيــل: إن ذلك مختلف فـيه, قد قال قوم: إنـما ينـزل مـن السـماء السـابعة, وقـال آخرون: من السماء الرابعة, ولو كان ذلك أيضا كما ذكرت من أنه ينـزل مـن السماء الدنـيا, لـم يكن فـي قوله: أنّ السّمَوَاتِ والأرْضَ دلـيـل علـى خلاف ما قلنا, لأنه لا يـمتنع أن يقال «السموات» والـمراد منها واحدة فتـجمع, لأن كل قطعة منها سماء, كما يقال: ثوب أخلاق, وقميص أسمال.

فإن قال قائل: وكيف قـيـل إن السموات والأرض كانتا, فـالسموات جمع, وحكم جمع الإناث أن يقال فـي قلـيـلة كنّ, وفـي كثـيره كانت؟ قـيـل: إنـما قـيـل ذلك كذلك لأنهما صنفـان, فـالسموات نوع, والأرض آخر وذلـك نظيـر قول الأسود بن يعفر:

إنّ الـمَنِـيّةَ والـحتُوفَ كِلاهُمـاتُوفِـي الـمَخارِمَ يَرْقُبـانِ سَوَادِي

فقال: «كلاهما», وقد ذكر المنية والحتوف لِما وصفت من أنه عنى النوعين. وقد أُخبرت عن أبي عبيدة معمر بن المثني, قال: أنشدني غالب النفيلي للقطامي:

أَلَمْ يحْزُنْكَ أنّ حِبالَ قَيْسٍوَتَغْلِبَ قَدْ تَبايَنَتا انْقِطاعَا

فجعل حبال قيس وهي جمع وحبال تغلب وهي جمع اثنين.

وقوله: وَجَعَلْنا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيّ يقول تعالى ذكره: وأحيينا بالماء الذي ننزله من السماء كلّ شيء. كما:

18548ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: وَجَعَلْنا مِنَ المَاء كُلّ شَيْءٍ حَيّ قال: كلّ شيء حيّ خُلق من الماء.

فإن قال قائل: وكيف خصّ كل شيء حيّ بأنه جعل من الماء دون سائر الأشياء غيره, فقد علمت أنه يحيا بالماء الزروع والنبات والأشجار وغير ذلك مما لا حياة له, ولا يقال له حيّ ولا ميت؟ قيل: لأنه لا شيء من ذلك إلا وله حياة وموت, وإن خالف معناه في ذلك معنى ذوات الأرواح في أنه لا أرواح فيهنّ وأن في ذوات الأرواح أرواحا فلذلك قيل: وَجَعَلْنا مِنَ المَاءِ كُلّ شَيْءٍ حَيّ.

وقوله: أفَلا يُؤْمِنُون يقول: أفلا يصدّقون بذلك, ويقرّون بألوهة من فعل ذلك ويفردونه بالعبادة؟

الآية : 31

القول في تأويل قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا فِ ي الأرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ }.

يقول تعالى ذكره: أو لم ير هؤلاء الكفار أيضا من حججنا عليهم وعلى جميع خلقنا, أنا جعلنا في الأرض جبالاً راسية؟ والرواسي: جم ع راسية, وهي الثابتة كما:

18549ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله: وَجَعَلْنا فِي الأرْضِ رَوَاسِيَ أي جبالاً.

وقوله: أنْ تَمِيدَ بِهِمْ يقول: أن لا تتكفأ بهم. يقول جلّ ثناؤه: فجعلنا في هذه الأرض هذه الرواسي من الجبال, فثبتناها لئلا تتكفأ بالناس, وليقدروا بالثبات على ظهرها. كما:

18550ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: كانوا على الأرض تمور بهم لا تستقرّ, فأصبحوا وقد جعل الله الجبال وهي الرواسي أوتادا للأرض وجَعَلْنَا فيها فِجَاجا سُبُلاً يعني مسالك, واحدها فجّ. كما:

18551ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَجَعَلْنا فِيها فِجاجا: أي أعلاما. وقوله: سُبُلاً أي طرقا, وهي جمع السبيل.

وكان ابن عباس فيما ذَكر عنه يقول: إنما عنى بقوله: وَجَعَلْنا فِيها فِجاجا وجعلنا في الرواسي, فالهاء والألف في قوله: وَجَعَلْنا فِيها من ذكر الرواسي.

18552ـ حدثنا بذلك القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قال ابن عباس, قوله: وَجَعَلْنا فِيها فِجاجا سبلاً, قال: بين الجبال.

وإنـما اخترنا القول الآخر فـي ذلك وجعلنا الهاء والألـف مـن ذكـر الأرض, لأنها إذا كانت من ذكرها دخـل فـي ذلك السهل والـجبل وذلـك أن ذلـك كلـه من الأرض, وقد جعل الله لـخـلقه فـي ذلك كله فجاجا سـبلاً. ولا دلالـة تـدلّ علـى أنه عنى بذلك فجاج بعض الأرض التــي جعلهـا لهـم سـبلاً دون بعـض, فـالعموم بها أولـى.

وقوله: لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ يقول تعالـى ذكره: جعلنا هذه الفجاج فــي الأرض لـيهتدوا إلـى السير فـيها.

الآية : 32 و 33

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَجَعَلْنَا السّمَآءَ سَـقْفاً مّحْفُوظـاً وَهُـمْ عَـنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ * وَهُوَ الّذِي خَلَقَ اللّيْلَ وَالنّهَـارَ وَالشّـمْسَ وَالْقَمَـرَ كُـلّ فِـي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ }.

يقول تعالــى ذكـره: وَجَعَلْنـا السّـمَاءَ سَقْـفــا للأرض مسـموكا. وقـوله: مَـحْفُوظا يقول: حفظناها من كلّ شيطان رجيـم.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

18553ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الــحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء جميعـا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قوله: سَقْـفـا مَـحْفُوظا قال: مرفوعا.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد, مثله.

18554ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله: وَجَعَلْنا السّماءَ سَقْـفـا مَـحْفُوظا... الآية: سقـفـا مرفوعا, وموجا مكفوفـا.

وقوله: وَهُمْ عَنْ آياتِهـا مُعْرِضُـونَ يقـول: هـؤلاء الــمشركون عـن آيـات السماء, ويعنـي بآياتها: شمسها وقمرها ونـجومها. مُعْرِضُونَ يقـول: وهـؤلاء الـمشركون عن آيات السماء, ويعنــي بآياتهـا: شمسـها وقمرهـا ونــجومها. مُعْرِضُونَ: يقول: يعرضون عن التفكر فـيها وتـدبر مـا فــيها مـن حجـج اللـه علـيهم ودلالتها علـى وحدانــية خالقهَـا, وأنـه لا ينبغـي أن تكـون العبــادة إلا لـمن دبرها وسوّاها, ولا تصلـح إلا له.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

18555ـ حدثنا مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقـاء جميعـا, عـن ابـن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: وَهُمْ عـن آياتِهـا مُعْرِضُـونَ قـال: الشـمس والقمـر والنـجوم آيات السماء.

حدثنا القاسم قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد, مثله. وقوله: وَهُوَ الّذِي خَـلَقَ اللّـيْـلَ والنّهارَ والشّمْسَ والقَمَـرَ كُـلّ فِـي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ يقول تعالـى ذكـره: واللـه الـذي خــلق لكـم أيهـا النـاس اللـيـل والنهار, نعمة منه علـيكم وحجـة ودلالـة علــى عظيــم سـلطانه وأن الألوهة له دون كلّ ما سواه فهما يختلفـان علـيكم لصـلاح معايشـكم وأمـور دنـياكم وآخرتكم, وخـلق الشمس والقمر أيضا كلّ فـي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ يقول: كلّ ذلك فـي فلك يسبحون.

واختلف أهل التأويـل فـي معنى الفلك الذي ذكـره اللـه فــي هـذه الآيـة, فقال بعضهم: هو كهيئة حديدة الرّحَى. ذكر من قال ذلك:

18556ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: كُلّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ قال: فلك كهيئة حديدة الرحى.
18557ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جريج: كُلّ فِي فَلَكٍ قال: فلك كهيئة حديدة الرحى.
18558ـ حدثنا ابن حميد, قال: ثني جرير, عن قابوس بن أبي ظَبيان, عن أبيه, عن ابن عباس: كُلّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ قال: فلك السماء.
وقال آخرون: بل الفلك الذي ذكره الله في هذا الموضع سرعة جري الشمس والقمر والنجوم وغيرها. ذكر من قال ذلك:
18559ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ, قال: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: كُلّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ الفلك: الجري والسرعة.
وقال آخرون: الفلك موج مكفوف تجري الشمس والقمر والنجوم فيه.
وقال آخرون: بل هو القطب الذي تدور به النجوم. واستشهد قائل هذا القول له هذا بقول الراجز:
باتَتْ تُناجِي الفَلَكَ الدّوّارَاحتى الصّباحِ تعمَل الأَقْتارَا
وقال آخرون في ذلك, ما:
18560ـ حدثنا به بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: كُلّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ: أي في فلك السماء.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: كُلّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ قال: يجري في فلك السماء كما رأيت.
18561ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد, في قوله: كُلّ فِي فَلَكٍ يسْبَحُونَ قال: الفلك الذي بين السماء والأرض من مجاري النجوم والشمس والقمر. وقرأ: تَبارَكَ الّذِي جَعَلَ فِي السّماءِ بُرُوجا وَجَعَلَ فِيها سِرَاجا وَقَمَرا مُنِيرا وقال: تلك البروج بين السماء والأرض وليست في الأرض. كلّ في فَلَكٍ يَسْبَحُونَ قال: فيما بين السماء والأرض: النجوم والشمس والقمر.
وذُكر عن الحسن أنه كان يقول: الفلك طاحونة كهيئة فَلْكَة المِغزل.
والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله عزّ وجلّ: كُلّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ وجائز أن يكون ذلك الفلك كما قال مجاهد كحديدة الرّحَى, وكما ذُكر عن الحسن كطاحونة الرّحَى, وجائز أن يكون موجا مكفوفا, وأن يكون قطب السماء. وذلك أن الفلك في كلام العرب هو كل شيء دائر, فجمعه أفلاك, وقد ذكرت قول الراجز:
باتَتْ تُناجِي الفُلْكَ الدّوّارَا
وإذ كان كل ما دار في كلامها, ولم يكن في كتاب الله ولا في خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عمن يُقطع بقوله العذُر, دليلٌ يدل على أيّ ذلك هو من أيّ كان الواجب أن نقول فيه ما قال ونسكت عما لا علم لنا به.
فإذا كان الصواب في ذلك من القول عندنا ما ذكرنا, فتأويل الكلام: والشمس والقمر, كلّ ذلك في دائر يسبحون.
وأما قوله: يَسْبَحُونَ فإن معناه: يَجْرُون. ذكر من قال ذلك:

18562ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: كُلّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ قال: يجرون.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

18563ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: يَسْبَحُونَ قال: يجرون. وقيل: كُلّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ فأخرج الخبر عن الشمس والقمر مخرج الخبر عن بني آدم بالواو والنون, ولم يقل: «يسبحن» أو «تسبح», كما قيل: والشّمْسَ والقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لي ساجِدِينَ لأن السجود من أفعال بني آدم, فلما وصفت الشمس والقمر بمثل أفعالهم أجرى الخبر عنهما مجرى الخبر عنهم.

الآية : 34 و 35

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مّتّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ * كُلّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشّرّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وما خَلّدنا أحدا من بني آدم يا محمد قبلك في الدنيا فنخلدك فيها, ولا بد لك من أن تموت كما مات من قبلك رُسُلُنا. أفإنْ مِتّ فَهُمُ الخالِدُونَ يقول: فهؤلاء المشركون بربهم هم الخالدون في الدنيا بعدك؟ لا, ما ذلك كذلك, بل هم ميتون بكلّ حال عشت أو متّ فأدخلت الفاء في «إن» وهي جزاء, وفي جوابه لأن الجزاء متصل بكلام قبله, ودخلت أيضا في قوله «فهم» لأنه جواب للجزاء, ولو لم يكن في قوله «فهم» الفاء جاز على وجهين: أحدهما: أن تكون محذوفة وهي مرادة, والآخر أن يكون مرادا تقديمها إلى الجزاء, فكأنه قال: أفهم الخالدون إن متّ.

وقوله: كُلّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ يقول تعالى ذكره: كل نفس منفوسة من خلقه, معالجة غصص الموت ومتجرّعة كأسها.

وقوله: وَنَبْلُوكُمْ بالشّرّ والخَيْرِ فِتْنَةً يقول تعالى ذكره: ونختبركم أيها الناس بالشرّ وهو الشدّة نبتليكم بها, وبالخير وهو الرخاء والسعة العافية فنفتنكم به.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18564ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين: قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قال ابن عباس, قوله: وَنَبْلُوكُمْ بالشّرّ والخَيْرِ فِتْنَةً قال: بالرخاء والشدة, وكلاهما بلاء.

18565ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَنَبْلُوكُمْ بالشّرّ والخَيْرِ فِتْنَةً يقول: نبلوكم بالشرّ بلاء, والخير فتنة وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ.

18566ـ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَنَبْلُوكُمْ بالشّرّ والخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنا تُرْجَعُونَ قال: نبلوهم بما يحبون وبما يكرهون نختبرهم بذلك لننظر كيف شكرهم فيما يحبون, وكيف صبرهم فيما يكرهون.

18567ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـ يّ, عن ابـ ن عباس, قوله: وَنَبْلُوكمْ بـ الشّرّ والخَيْرِ يقول: نبتليكم بالشدة والرخاء, والصحة والسقم, والغنى والفقر, والحلال والحرام, والطاعة والمعصية, والهدى والضلالة.

وقوله: وَإِلَيْنا تُرْجَعُونَ يقول: وإلينا يردّون فيجازون بأعمالهم, حسنها وسيّئها.

الآية : 36

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذَا رَآكَ الّذِينَ كَفَرُوَاْ إِن يَتّخِذُونَكَ إِلاّ هُزُواً أَهَـَذَا الّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرّحْمَـنِ هُمْ كَافِرُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وَإِذَا رآكَ يا محمد الّذِينَ كَفَرُوا بالله, إنْ يَتّخِذُونَكَ إلاّ هُزُوا يقول: ما يتخذونك إلا سخرّيا يقول بعضهم لبعض: أَهَذَا الّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ يعني بقوله: يذكر آلهتكم بسوء ويعيبها, تعجبا منهم من ذلك. يقول الله تعالى ذكره: فيعجبون من ذكرك يا محمد آلهتهم التي لا تضرّ ولا تنفع بسوء. وَهُمْ بِذِكْرِ الرّحْمَنِ الذي خلقهم وأنعم عليهم, ومنه نَفْعُهم, وبيده ضرّهم, وإليه مرجعهم بما هو أهله منهم أن يذكروه به كَافِرُونَ والعرب تضع الذكر موضع المدح والذمّ, فيقولون: سمعنا فلانا يذكر فلانا, وهم يريدون سمعناه يذكره بقبيح ويعيبه ومن ذلك قول عنترة:

لا تَذْكُرِي مُهْرِي وَما أطْعَمْتُهُفيَكُونَ جِلْدُكِ مِثلَ جِلْدِ الأجْرَبِ

يعني بذلك: لا تعيبي مُهْري. وسمعناه يُذكر بخير.

الآية : 37 و 38

القول في تأويل قوله تعالى: {خُلِقَ الإنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ آيَاتِي فَلاَ تَسْتَعْجِلُونِ * وَيَقُولُونَ مَتَىَ هَـَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ }.

يقول تعالى ذكره: خُلِقَ الإنْسانُ يعني آدم مِنْ عَجَلٍ.

واختلف أهل التأويل في تأويله, فقال بعضهم: معناه: من عَجَل في بنيته وخلقته كان من العجلة, وعلى العجلة. ذكر من قال ذلك:

18568ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن أشعث, عن جعفر, عن سعيد في قوله: خُلِقَ الإنْسانُ مِنْ عَجَلٍ قال: لما نفخ فيه الروح في ركبتيه ذهب لينهض, فقال الله: خُلِقَ الإنْسانُ مِنْ عَجَلٍ.

18569ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: لما نُفخ فيه يعني في آدم الروح, فدخل في رأسه عطس, فقالت الملائكة: قل الحمد لله فقال: الحمد لله. فقال الله له: رحمك ربك فلما دخل الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة, فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام, فوثب قبل أن تبلغ الروح رجليه عجلان إلى ثمار الجنة فذلك حين يقول: خُلِقَ الإنْسانُ مِنْ عَجَلٍ يقول: خلق الإنسان عجولاً.

18570ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة: خُلِقَ الإنْسانُ مِنْ عَجَلٍ قال: خلق عجولاً.

وقال آخرون: معناه: خلق الإنسان من عجل, أي من تعجيل في خلق الله إياه ومن سرعة فيه وعلى عجل. وقالوا: خلقه الله في آخر النهار

يوم الجمعة قبل غروب الشمس على عجل في خلقه إياه قبل مغيبها. ذكر من قال ذلك:

18571ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: خُلِقَ الإنْسانُ مِنْ عَجَلٍ قال: قول آدم حين خُلق بعد كلّ شيء آخر النهار من يوم خلق الخلق, فلما أحيا الروح عينيه ولسانه ورأسه ولم تبلغ أسفله, قال: يا ربّ استعجل بخلقي قبل غروب بالشمس.

حدثني الحارث, قال حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قال مجاهد: خُلِقَ الإنْسانُ مِنْ عَجَلٍ قال آدم حين خُلق بعد كلّ شيء ثم ذكر نحوه, غير أنه قال في حديثه: استعجلْ بخلقي فقد غربت الشمس.

18572ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: خُلِقَ الإنْسانُ مِنْ عَجَلٍ قال: على عجل آدم آخر ذلك اليوم من ذينك اليومين, يريد يوم الجمعة, وخلقه على عجل, وجعله عجولاً.

وقال بعض أهل العربية من أهل البصرة ممن قال نحو هذه المقالة: إنما قال: خُلِقَ الإنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ وهو يعني أنه خلقه من تعجيل من الأمر, لأنه قال: إنّمَا قَوْلُنا لِشَيْءٍ إذَا أرَدْناهُ أنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ قال: فهذا العجل. وقوله: فَلا تَسْتَعْجِلُونِ إنّي سأرِيكُمْ آياتي.

وعلى قول صاحب هذه المقالة, يجب أن يكون كلّ خلق الله خُلق على عجل, لأن كل ذلك خلق بأن قيل له كن فكان.

فإذا كان ذلك كذلك, فما وجه خصوص الإنسان إذا بذكر أنه خُلق من عجل دون الأشياء كلها وكلها مخلوق من عجل؟ وفي خصوص الله تعالى ذكره الإنسان بذلك الدليل الواضح, على أن القول في ذلك غير الذي قاله صاحب هذه المقالة.

وقال آخرون منهم: هذا من المقلوب, وإنما خُلق العَجَل من الإنسان, وخُلقت العجلة من الإنسان. وقالوا: ذلك مثل قوله: ما إنّ مَفاتِحَهُ لَتَنُوءُ بالعُصْبَةِ أُولي القُوّةِ إنما هو: لَتنوء العصبة بها متثاقلة. وقالوا: هذا وما أشبهه في كلام العرب كثير مشهور. قالوا: وإنما كلم القوم بما يعقلون. قالوا: وذلك مثل قولهم: عرَضتُ الناقة, وكقولهم: إذا طلعت الشعرى واستوت العود على الحِرْباء أي استوت الحرباء على العود, كقول الشاعر:

وتَرْكَبُ خَيْلاً لا هَوَادَة بَيْنَهاوَتَشْقَى الرماحُ بالضياطِرَةِ الحُمْرِ

وكقول ابن مقبل:

حَسَرْتُ كَفّي عَنِ السّرْبالِ آخُذُهُفَرْدا يُجَرّ عَلى أيْدِي المُفَدّينا

يريد: حسرت السربال عن كفّي, ونحو ذلك من المقلوب. وفي إجماع أهل التأويل على خلاف هذا القول, الكفاية المغنية عن الاستشهاد على فساده بغيره.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في تأويل ذلك عندنا الذي ذكرناه عمن قال معناه: خُلق الإنسان من عجل في خلقه أيْ على عجل وسرعة

في ذلك. وإنما قيل ذلك كذلك, لأنه بُودر بخلقه مغيب الشمس في آخر ساعة من نهار يوم الجمعة, وفي ذلك الوقت نفخ فيه الروح.

وإنما قلنا أولى الأقوال التي ذكرناها في ذلك بالصواب, لدلالة قوله تعالى: سأُرِيكُمْ آياتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونَ عليّ ذلك, وأن أبا كريب:

18573ـ حدثنا قال: حدثنا ابن إدريس, قال: أخبرنا محمد بن عمرو, عن أبي سلمة, عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ فِي الجُمُعَةِ لَساعَةً» يُقَلّلُها, قال: «لا يَوَافِقُها عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسأَلُ اللّهَ فِيها خَيْرا إلاّ آتاهُ اللّهُ إيّاهُ» فقال عبد الله بن سلام: قد علمت أيّ ساعة هي, هي آخر ساعات النهار من يوم الجمعة. قال الله: خُلِقَ الإنْسانُ مِنْ عَجَلٍ سأُرِيكُمْ آياتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونَ.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا المحاربي وعبدة بن سليمان وأسير بن عمرو, عن محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو سلمة, عن أبي هريرة, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم بنحوه, وذكر كلام عبد الله بن سلام بنحوه.

فتأويل الكلام إذا كان الصواب في تأويل ذلك ما قلنا بما به استشهدنا خُلِقَ الإنْسانُ مِنْ عَجَلٍ, ولذلك يستعجل ربه بالعذاب. سأُرِيكُمْ آياتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ أيها المستعجلون ربهم بالآيات القائلون لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم: بل هو شاعر, فليأتنا بآية كما أرسل الأوّلون آياتي, كما أريتها من قبلكم من الأمم التي أهلكناها بتكذيبها الرسل, إذا أتتها الآيات: فلا تَسْتَعْجِلُونِ يقول: فلا تستعجلوا ربكم, فإنا سنأتيكم بها ونريكموها.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: خُلِقَ الإنْسانُ مِنْ عَجَلٍ فقرأته عامة قرّاء الأمصار: خُلِقَ الإنْسانُ مِنْ عَجَلٍ بضمّ الخاء على مذهب ما لم يسمّ فاعله. وقرأه حُميد الأعرج: «خَلَقَ» بفتحها, بمعنى: خلق الله الإنسان. والقراءة التي عليها قرّاء الأمصار, هي القراءة التي لا أستجيز خلافها.

وقوله: وَيَقُولُونَ مَتى هَذَا الوَعْدُ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ يقول تعالى ذكره: ويقول هؤلاء المستعجلون ربهم بالآيات والعذاب لمحمد صلى الله عليه وسلم: متى هذا الوعد؟ يقول: متى يجيئنا هذا الذي تعدنا من العذاب إن كنتم صادقين فيما تعدوننا به من ذلك؟ وقيل: هَذَا الوَعْدُ والمعنى الموعود لمعرفة السامعين معناه. وقيل: إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ كأنهم قالوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين به. و«متى» في موضع نصب, لأن معناه: أي وقت هذا الوعد وأيّ يوم هو فهو نصب على الظرف لأنه وقت.

الآية : 39

القول في تأويل قوله تعالى: {لَوْ يَعْلَمُ الّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لاَ يَكُفّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النّارَ وَلاَ عَن ظُهُورِهِمْ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: لو يعلم هؤلاء الكفار المستعجلون عذاب ربهم ماذا لهم من البلاء حين تلفح وجوههم النار, وهم فيها كالحون, فلا يكفّون عن وجوههم النار التي تلفحها, ولا عن ظهورهم فيدفعونها عنها بأنفسهم وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ يقول: ولا لهم ناصر ينصرهم, فيستنقذهم حينئذ من عذاب الله لما أقاموا على ما هم عليه مقيمون من الكفر بالله, ولسارعوا إلى التوبة منه والإيمان بالله, ولما استعجلوا لأنفسهم البلاء.

الآية : 40

القول في تأويل قوله تعالى: {بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ رَدّهَا وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: لا تأتي هذه النار التي تلفح وجوه هؤلاء الكفار الذين وصف أمرهم في هذه السورة حين تأتيهم عن علم منهم بوقتها, ولكنها تأتيهم مفاجأة لا يشعرون بمجيئها فتَبْهَتُهُمْ يقول: فتغشاهم فجأة, وتلفح وجوههم معاينة كالرجل يبهت الرجل في وجهه بالشيء, حتى يبقى المبهوت كالحيران منه. فلاَ يَسْتَطِيعُونَ رَدّها يقول: فلا يطيقون حين تبغتهم فتبهتهم دفعها عن أنفسهم. وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ يقول: ولا هم وإن لم يطيقوا دفعها عن أنفسهم يؤخرون بالعذاب بها لتوبة يحدثونها وإنابة ينيبون, لأنها ليست حين عمل وساعة توبة وإنابة, بل هي ساعة مجازاة وإثابة.

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدِ اسْتُهْزِىءَ بِرُسُلٍ مّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُمْ مّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إن يتخذك يا محمد هؤلاء القائلون لك: هل هذا إلا بشر مثلكم, أفتأتون السحر وأنتم تبصرون, إذ رأوك هُزُوا ويقولون: هذا الذي يذكر آلهتكم كفرا منهم بالله, واجتراء عليه. فلقد استهزىء برسل من رسلنا الذين أرسلناهم من قبلك إلى أممهم, يقول: فوجب ونزل بالذين استهزءوا بهم, وسخروا منهم من أممهم ما كَانُوا به يَسْتَهْزِءُونَ يقول جلّ ثناؤه: حلّ بهم الذي كانوا به يستهزءون من البلاء والعذاب الذي كانت رسلهم تخوّفهم نزوله بهم, يستهزءون: يقول جلّ ثناؤه, فلن يعدو هؤلاء المستهزءون بك من هؤلاء الكفرة أن يكونوا كأسلافهم من الأمم المكذّبة رسلها, فينزل بهم من عذاب الله وسخطه باستهزائهم بك نظير الذي نزل بهم.

الآية : 41

القول في تأويل قوله تعالى: {بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ رَدّهَا وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: لا تأتي هذه النار التي تلفح وجوه هؤلاء الكفار الذين وصف أمرهم في هذه السورة حين تأتيهم عن علم منهم بوقتها, ولكنها تأتيهم مفاجأة لا يشعرون بمجيئها فتَبْهَتُهُمْ يقول: فتغشاهم فجأة, وتلفح وجوههم معاينة كالرجل يبهت الرجل في وجهه بالشيء, حتى يبقى المبهوت كالحيران منه. فلاَ يَسْتَطِيعُونَ رَدّها يقول: فلا يطيقون حين تبغتهم فتبهتهم دفعها عن أنفسهم. وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ يقول: ولا هم وإن لم يطيقوا دفعها عن أنفسهم يؤخرون بالعذاب بها لتوبة يحدثونها وإنابة ينيبون, لأنها ليست حين عمل وساعة توبة وإنابة, بل هي ساعة مجازاة وإثابة.

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدِ اسْتُهْزِىءَ بِرُسُلٍ مّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُمْ مّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إن يتخذك يا محمد هؤلاء القائلون لك: هل هذا إلا بشر مثلكم, أفتأتون السحر وأنتم تبصرون, إذ رأوك هُزُوا ويقولون: هذا الذي يذكر آلهتكم كفرا منهم بالله, واجتراء عليه. فلقد استهزىء برسل من رسلنا الذين أرسلناهم من قبلك إلى أممهم, يقول: فوجب ونزل بالذين استهزءوا بهم, وسخروا منهم من

أمـمهم ما كَانُوا بـه يَسْـتْهزءُونَ يقـول جـلّ ثنـاؤه: حـلّ بهـم الـذي كـانوا بـه يسـتهزءون مـن البلاء والعـذاب الـذي كـانت رسـلهم تـخوّفهم نزولـه بهـم, يستهزءون: يقول جلّ ثناؤه, فلن يعدو هـؤلاء الـمستهزءون بـك مـن هـؤلاء الكفرة أن يكونوا كأسلافهم مـن الأمـم الـمكذّبة رسـلها, فـينزل بهـم م ن عذاب الله وسخطه بـاستهزائهم بك نظير الذي نزل بهم.

الآية : 42

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللّيْلِ وَالنّهَارِ مِنَ الرّحْمَـنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبّهِمْ مّعْرِضُونَ }.

يقول تعالـى ذكره لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: قل يا مـحمد لهؤلاء الـمستعجلـيك بـالعذاب, القائلـين: متـى هذا الوعد إن كنتـم صادقـين: مَـنْ يَكْلَؤُكُمْ أيّهـا القَـوْمُ, يقـول: مـن يحفظكـم ويحرسـكم بـاللـيـل إذا نـمتـم, وبـالنهار إذا تصرّفتـم من الرحمن؟ يقـول: مـن أمـر الرحم ن إن نـزل بكـم, ومن عذابه إن حلّ بكم. وترك ذكر «الأمر» وقـيـل «مـن الرحمـن» اجـتزاء بـمعرفة السامعين لـمعناه من ذكره.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

18574ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, ع ن اب ن جريج, قال: قال ابن عبـاس, فـي قوله: قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بـاللّـيْـلِ والنّهارِ مِنَ الرّحْمَن قال: يحرسكم.

18575ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتـادة: قُـلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بـاللّـيْـلِ والنّهارِ مِنَ الرّحْمَنِ قل من يحفظكـم بـاللـيـل والنهـار من الرحمن.

يقال منه: كلأت القوم: إذا حرستهم, أكلؤهم كما قال ابن هَرْمة:

إنّ سُلَـيْـمَى وَاللّهُ يَكْلَؤُهاضَنّتْ بِشَيْءٍ ما كانَ يَرْزَؤُها

قوله: بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبّهِمْ مُعْرِضُونَ وقوله بل: تـحقـيق لـجحد قد عرفه الـمخاطبون بهذا الكلام, وإن لـم يكـن مـذكورا فـي هـذا الـموضع ظـاهرا. ومعنى الكلام: وما لهم أن لا يعلـموا أنه لا كالـىء لهـم مـن أمـر اللـه إذا هـو حلّ بهم لـيلاً أو نهارا, بل هم عن ذكر مواعظ ربهم وحججه التـي احتـجّ بهـا علـيهم معرضون لا يتدبرون ذلك فلا يعتبرون به, جهلاً منهم وسفها.

الآية : 43

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مّن دُونِنَا لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلاَ هُمْ مّنّا يُصْحَبُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: ألهؤلاء الـمستعجلـي ربهم بـالعذاب آلهة تـمنعهم, إن نـحن أحللنا بهم عذابنا, وأنزلنا بهم بأسنا من دوننا؟ ومعناه: أم لهم آلهة مـن دوننا تـمنعهم منا؟ ثم وصف جلّ ثناؤه الآلهة بـالضعف والـمهانة, وما هي بـه من صفتها, فقال: وكيف تستطيع آلهتهم التـي يدعونها من دوننا أن تـمنعهم منا وهي لا تستطيع نصر أنفسها. وقوله: وَلا هُـمْ مِنّـا يُصْـحَبُونَ اختلـف أهـل التأويـل فـي الـمعنـيّ بذلك, وفـي معنى «يُصْحَبُون», فقال بعضـهم: عنـي بذلك الآلهة, وأنها لا تصحب من الله بخير. ذكر من قال ذلك:

18576ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: أمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَـمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنا لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أنْفُسِـهِمْ يعنـي الآلهـة. وَلا هُمْ مِنّا يُصْحَبُونَ يقول: لا يُصحبون من الله بخير.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولا هم منا ينصرون. ذكر من قال ذلك:

18577ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا أبو ثور, عن معمر, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَلا هُمْ مِنّا يُصْحَبُونَ قال: لا ينصرون.
18578ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عباس, قوله: أمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنا إلى قوله: يُصْحَبُونَ قال: ينصرون. قال: قال مجاهد: ولا هم يُحْفظون.
18579ـ حدثنا عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَلا هُمْ مِنّا يُصْحَبُونَ يُجَارُون...
ذكر من قال ذلك:
18580ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَلا هُمْ مِنّا يُصْحَبُونَ يقول: ولا هم منا يجارون, وهو قوله: وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجارُ عَلَيْهِ يعني الصاحب, وهو الإنسان يكون له خفير مما يخاف, فهو قوله يصحبون.
قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال هذا القول الذي حكيناه عن ابن عباس, وأن هُمْ من قوله: وَلا هُمْ من ذكر الكفار, وأن قوله: يُصْحَبُونَ بمعنى: يُجارون يُصْحبون بالجوار لأن العرب محكيّ عنها: أنا لك جار من فلان وصاحب, بمعنى: أجيرك وأمنعك, وهم إذا لم يصحبوا بالجوار, ولم يكن لهم مانع من عذاب الله مع سخط الله عليهم, فلم يصحبوا بخير ولم ينصروا.

الآية : 44

القول في تأويل قوله تعالى: {بَلْ مَتّعْنَا هَؤُلاَءِ وَآبَآءَهُمْ حَتّىَ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلاَ يَرَوْنَ أَنّا نَأْتِي الأرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ }.
يقول تعالى ذكره: ما لهؤلاء المشركين من آلهة تمنعهم من دوننا, ولا جار يجيرهم من عذابنا, إذا نحن أردنا عذابهم, فاتكلوا على ذلك, وعصوا رسلنا اتكالاً منهم على ذلك ولكنا متّعناهم بهذه الحياة الدنيا وآباءهم من قبلهم حتى طال عليهم العمر, وهم على كفرهم مقيمون, لا تأتيهم منا واعظة من عذاب ولا زاجرة من عقاب على كفرهم وخلافهم أمرنا وعبادتهم الأوثان والأصنام, فنسوا عهدنا وجهلوا موقع نعمتنا عليهم, ولم يعرفوا موضع الشكر. وقوله: أفَلا يَرَوْنَ أنّا نَأتِي الأرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أطْرَافِها يقول تعالى ذكره: أفلا يرى هؤلاء المشركون بالله السائلو محمد صلى الله عليه وسلم الآيات المستعجلو بالعذاب, أنا نأتي الأرض نخرّبها من نواحيها بقهرنا أهلها, وغَلَبَتِنَاهم, وإجلائهم عنها, وقتلهم بالسيوف, فيعتبروا بذلك ويتعظوا به, ويحذروا منا أن ننزل من بأسنا بهم نحو الذي قد أنزلنا بمن فعلنا ذلك به من أهل الأطراف؟ وقد تقدم ذكر القائلين بقولنا هذا ومخالفيه بالروايات عنهم في سورة الرعد بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.
وقوله: أفَهُمُ الغالِبُونَ يقول تبارك وتعالى: أفهؤلاء المشركون المستعجلو محمد بالعذاب الغالبونا, وقد رأوا قهرنا من أحللنا بساحته بأسنا في أطراف الأرضين؟ ليس ذلك كذلك, بل نحن الغالبون. وإنما هذا تقريع من الله تعالى لهؤلاء المشركين به بجهلهم, يقول: أفيظنون أنهم يغلبون محمدا ويقهرونه, وقد قهر من ناواه من أهل أطراف الأرض غيرهم؟ كما:

18581ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: أَفَهُمُ الغالِبُونَ يقول: ليسوا بغالبين, ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الغالب.

الآية : 45

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ إِنّمَآ أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلاَ يَسْمَعُ الصّمّ الدّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء القائلين فليأتنا بآية كما أرسل الأولون: إنما أنذركم أيها القوم بتنزيل الله الذي يوحيه إلى من عنده, وأخوّفكم به بأسه. كما:

18582ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله: قُلْ إنّمَا أُنْذِرُكُمْ بالوَحْيِ أي بهذا القرآن.

وقوله: وَلا يَسْمَعُ الصّمّ الدّعاءَ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الأمصار: ولا يَسْمَعُ بفتح الياء من «يَسْمَعُ» بمعنى أنه فعل للصمّ, و«الصمّ» حينئذ مرفوعون. ورُوي عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه كان يقرأ: «وَلا تُسْمعُ» بالتاء وضمها, فالصمّ على هذه القراءة مرفوعة, لأن قوله: «وَلا تُسْمِعُ» لم يسمّ فاعله, ومعناه على هذه القراءة: ولا يسمع الله الصمّ الدعاء.

قال أبو جعفر: والصواب من القراءة عندنا في ذلك ما عليه قرّاء الأمصار لإجماع الحجة من القرّاء عليه. ومعنى ذلك: ولا يصغي الكافر بالله بسمع قلبه إلى تذكر ما في وحي الله من المواعظ والذكر, فيتذكر به ويعتبر, فينزجر عما هو عليه مقيم من ضلاله إذا تُلى عليه وأُريد به ولكنه يعرض عن الاعتبار به والتفكر فيه, فعل الأصمّ الذي لا يسمع ما يقال له فيعمل به.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18583ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَلا يَسْمَعُ الصّمّ الدّعاءَ إذَا ما يُنْذَرُونَ يقول: إن الكافر قد صمّ عن كتاب الله لا يسمعه, ولا ينتفع به ولا يعقله, كما يسمعه المؤمن وأهل الإيمان.

الآية : 46

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَئِن مّسّتْهُمْ نَفْحَةٌ مّنْ عَذَابِ رَبّكَ لَيَقُولُنّ يَوْيْلَنَآ إِنّا كُنّا ظَالِمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: ولئن مست هؤلاء المستعجلين بالعذاب يا محمد نفحة من عذاب ربك, يعني بالنفحة النصيب والحظّ, من قولهم: نفح فلان لفلان من عطائه: إذا أعطاه قسما أو نصيبا من المال. كما:

18584ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَلَئِنْ مَسّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبّكَ... الآية, يقول: لئن أصابتهم عقوبة.

وقوله: لَيَقُولُنّ يا وَيْلَنا إنّا كُنّا ظالِمِينَ يقول: لئن أصابتهم هذه النفحة من عقوبة ربك يا محمد بتكذيبهم بك وكفرهم, ليعلمنّ حينئذ غبّ تكذيبهم بك, وليعترفن على أنفسهم بنعمة الله وإحسانه إليهم وكفرانهم أياديه عندهم, وليقولنّ يا ويلنا إنا كان ظالمين في عبادتنا الآلهة والأنداد, وتركنا عبادة الله الذي خلقنا وأنعم علينا, ووضعنا العبادة غير موضعها.

الآية : 47

القول في تأويل قوله تعالى: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبّةٍ مّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىَ بِنَا حَاسِبِينَ}.

يقول تعالى ذكره: وَنَضَعُ المَوَازِينَ العدل وهو القِسْطَ. وجعل القسط وهو موحد من نعت الموازين, وهو جمع لأنه في مذهب عدل ورضا ونظر. وقوله: لِيَوْمِ القِيامَةِ يقول: لأهل يوم القيامة, ومن ورد على الله في ذلك اليوم من خلقه. وقد كان بعض أهل العربية يوجه معنى ذلك إلى «في» كأن معناه عنده: ونضع الموازين القسط في يوم القيامة. وقوله: فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئا يقول: فلا يظلم الله نفسا ممن ورد عليه منهم شيئا بأن يعاقبه بذنب لم يعمله أو يبخسه ثواب عمل عمله وطاعة أطاعه بها ولكن يجازي المحسن بإحسانه, ولا يعاقب مسيئا إلا بإساءته.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18585ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيامَةِ... إلى آخر الآية, وهو كقوله: وَالوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحَقّ يعني بالوزن: القِسط بينهم بالحقّ في الأعمال الحسنات والسيئات فمن أحاطت حسناته بسيئاته ثقلت موازينه, يقول: أذهبت حسناته سيئاته, ومن أحاطت سيئاته بحسناته فقد خفّت موازينه وأمه هاوية, يقول: أذهبت سيئاته حسناته.

18586ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا الثوري, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قول الله: وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيامَةِ قال: إنما هو مثل, كما يجوز الوزن كذلك يجوز الحقّ. قال الثوري: قال ليث عن مجاهد: وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ قال: العدل.

وقوله: وَإِنْ كانَ مِثْقالَ حَبّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أتَيْنا بِها يقول: وإن كان الذي له من عمل الحسنات أو عليه من السيئات وزن حبة من خردل أتَيْنَا بِهَا يقول: جئنا بها فأحضرناها إياه. كما:

18587ـ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَإِنْ كانَ مِثْقالَ حَبّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أتَيْنا بِها قال: كتبناها وأحصيناها له وعليه.

18588ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: وَإِنْ كانَ مِثْقالَ حَبّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أتَيْنا بِها قال: يؤتي بها لك وعليك, ثم يعفو إن شاء أو يأخذ, ويجزي بما عمل له من طاعة.

وكان مجاهد يقول في ذلك ما:

18589ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: وَإِنْ كانَ مِثْقالَ حَبّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أتَيْنا بِها قال: جازينا بها.

حدثنا عمرو بن عبد الحميد, قال: حدثنا سفيان, عن ليث, عن مجاهد أنه كان يقول: وَإِنْ كانَ مِثْقالَ حَبّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أتَيْنا بِها قال: جازينا بها.

وقال: أتَيْنَا بِهَا فأخرج قوله بها مخرج كناية المؤنث, وإن كان الذي تقدم ذلك قوله مثقال حبة, لأنه عني بقوله بها الحبة دون المثقال, ولو عني به

المثقال لقيل «به». وقد ذكر أن مجاهدا إنما تأوّل قوله: أتَيْنا بِهِا على ما ذكرنا عنه, لأنه كان يقرأ ذلك: «آتَيْنا بِها» بمدّ الألف. وقوله: وكَفَى بِنا حاسِبِينَ يقول: وحسب من شهد ذلك الموقف بنا حاسبين, لأنه لا أحد أعلم بأعمالهم وما سلف في الدّنا من صالح أو سيىء منا.

الآية : 48

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىَ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْراً لّلْمُتّقِينَ }.

يقول تعالى ذكره: ولقد آتينا موسى بن عمران وأخاه هارون الفرقان, يعني به الكتاب الذي يفرق بين الحقّ والباطل. وذلك هو التوراة في قول بعضهم ذكر من قال ذلك:

18590ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: الفُرْقان قال: الكتاب.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.

18591ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله: وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى وَهارُونَ الفُرْقانَ الفرقان: التوراة حلالها وحرامها, وما فرق الله به بين الحق والباطل.

وكان ابن زيد يقول في ذلك ما:

18592ـ حدثني به يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى وَهارُونَ الفُرْقانَ قال: الفرقان: الحق آتاه الله موسى وهارون, فرق بينهما وبين فرعون, فقضى بينهم بالحقّ. وقرأ: وَما أنْزَلْنا عَلى عَبْدِنا يَوْمَ الفُرْقانِ قال: يوم بدر.

قال أبو جعفر: وهذا القول الذي قاله ابن زيد في ذلك أشبه بظاهر التنزيل, وذلك لدخول الواو في الضياء, ولو كان الفرقان هو التوراة كما قال من قال ذلك, لكان التنزيل: ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ضياء لأن الضياء الذي آتى الله موسى وهارون هو التوراة التي أضاءت لهما ولمن اتبعهما أمر دينهم فبصرّهم الحلال والحرام, ولم يقصد بذلك في هذا الموضع ضياء الإبصار. وفي دخول الواو في ذلك دليل على أن الفرقان غير التوراة التي هي ضياء.

فإن قال قائل: وما ينكر أن يكون الضياء من نعت الفرقان, وإن كانت فيه واو فيكون معناه: وضياء آتيناه ذلك, كما قال بِزِينَةٍ الكَوَاكِبِ وَحِفْظا؟ قيل له: إن ذلك وإن كان الكلام يحتمله, فإن الأغلب من معانيه ما قلنا. والواجب أن يوجه معاني كلام الله إلى الأغلب الأشهر من وجوهها المعروفة عند العرب ما لم يكن بخلاف ذلك ما يجب التسليم له من حجة خبر أو عقل.

وقوله: وَذِكْرا للْمُتّقِينَ يقول: وتذكيرا لمن اتقى الله بطاعته وأداء فرائضه واجتناب معاصيه, ذكّرهم بما آتى موسى وهارون من التوراة .

الآية : 49

القول في تأويل قوله تعالى: {الّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مّنَ السّاعَةِ مُشْفِقُونَ }.

يقول تعالى ذكره: آتينا موسى وهارون الفرقان الذّكْر الذي آتيناهما للمتقين الذين يخافون ربهم بالغيب, يعني في الدنيا أن يعاقبهم في الآخرة إذا قدموا عليه بتضييعهم ما ألزمهم من فرائضه فهم من خشيته يحافظون على حدوده وفرائضه, وهم من الساعة التي تقوم فيها القيامة مشفقون, حذرون أن تقوم عليهم, فيردوا على ربهم قد فرّطوا في الواجب عليهم لله, فيعاقبهم من العقوبة بما لا قِبَل لهم به.

الآية : 50

القول في تأويل قوله تعالى: {وَهَـذَا ذِكْرٌ مّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ}.

يقول جلّ ثناؤه: وهذا القرآن الذي أنزلناه إلى محمد صلى الله عليه وسلم ذِكْرٌ لمن تذكر به, وموعظة لمن اتعظ به. مباركٌ أنزلناهُ كما أنزلنا التوراة إلى موسى وهارون ذكرا للمتقين. أفأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ يقول تعالى ذكره: أفأنتم أيها القوم لهذا الكتاب الذي أنزلناه إلى محمد منكرون وتقولون هُوَ أَضْغاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شاعِرٌ فَلْيَأْتِنا بآيَةٍ كمَا أُرْسِلَ الأوّلُونَ وإنما الذي آتيناه من ذلك ذكر للمتقين, كالذي آتينا موسى وهارون ذكرا للمتقين.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18593ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَهَذَا ذِكْرٌ مُبارَكٌ... إلى قوله: أفأنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ: أي هذا القرآن.

الآية : 51 و 52

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَآ إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنّا بِهِ عَالِمِينَ * إِذْ قَالَ لأبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَـذِهِ التّمَاثِيلُ الّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ}.

يقول تعالى ذكره: وَلَقَدْ آتَيْنا إبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ موسى وهارون, ووفّقناه للحقّ, وأنقذناه من بين قومه وأهل بيته من عبادة الأوثان, كما فعلنا ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم وعلى إبراهيم, فأنقذنا من قومه وعشيرته من عبادة الأوثان, وهديناه إلى سبيل الرشاد توفيقا منّا له.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18594ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى «ح» وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَلَقَدْ آتَيْنا إبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ قال: هديناه صغيرا.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد: وَلَقَدْ آتَيْنا إبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ قال: هداه صغيرا.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: آتَيْنا إبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ قال: هداه صغيرا.

18595ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله: وَلَقَدْ آتَيْنا إبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ يقول: آتيناه هداه.

وقوله: وكُنّا بِهِ عالِمِينَ يقول: وكنا عالمين به أنه ذو يقين وإيمان بالله وتوحيد له, لا يشرك به شيئا. إذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ يعني في وقت قيله وحين قيله لهم: ما هذهِ التماثِيلُ الّتِي أنتمْ لَهَا عَاكِفُونَ يقول: قال لهم: أيّ شيء هذه الصور التي أنتم عليها مقيمون؟ وكانت تلك التماثيل أصنامهم التي كانوا يعبدونها كما:

18596ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: ما هَذِهِ التّماثِيلُ الّتِي أَنْتُمْ لَهَا عاكِفُونَ قال: الأصنام.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

وقد بيّنا فيما مضى من كتابنا هذا أن العاكف على الشيء المقيم عليه بشواهد ذلك, وذكرنا الرواية عن أهل التأويل.

الآية : 53 -55

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالُواْ وَجَدْنَآ آبَآءَنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَآؤُكُمْ فِي ضَلاَلٍ مّبِينٍ * قَالُوَاْ أَجِئْتَنَا بِالْحَقّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللاّعِبِينَ }.

يقول تعالى ذكره: قال أبو إبراهيم وقومه لإبراهيم: وجدنا آباءنا لهذه الأوثان عابدين, فنحن على ملة آبائنا نعبدها كما كانوا يعبدون. قالَ إبراهيم: لَقَدْ كُنْتُمْ أيها القوم أنْتُمْ وَآباؤُكُمْ بعبادتكم إياها فِي ضَلالٍ مُبِينٍ يقول: في ذهاب عن سبيل الحقّ, وجور عن قصد السبيل مبين يقول: بَيّنٌ لمن تأمله بعقل أنكم كذلك في جور عن الحقّ. قالُوا أجِئْتَنا بالحَقّ؟ يقول: قال أبوه وقومه له: أجئتنا بالحقّ فيما تقول أمْ أنْتَ هازل لاعب مِنَ اللاّعِبِينَ.

الآية : 56

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ بَل رّبّكُمْ رَبّ السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ الّذِي فطَرَهُنّ وَأَنَاْ عَلَىَ ذَلِكُمْ مّنَ الشّاهِدِينَ }.

يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لهم: بل جئتكم بالحقّ لا اللعب, ربكم ربّ السموات والأرض الذي خلقهنّ, وأنا على ذلكم من أن ربكم هو ربّ السموات والأرض الذي فطرهنّ دون التماثيل التي أنتم لها عاكفون ودون كلّ أحد سواه شاهد من الشاهدين, يقول: فإياه فاعبدوا لا هذه التماثيل التي هي خلقه التي لا تضرّ ولا تنفع.

الآية : 57 - 58

القول في تأويل قوله تعالى: {وَتَاللّهِ لأكِيدَنّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَن تُوَلّواْ مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً إِلاّ كَبِيراً لّهُمْ لَعَلّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ }.

ذكر أن إبراهيم صلوات الله عليه حلف بهذه اليمين في سرّ من قومه وخفاء, وأنه لم يسمع ذلك منه إلا الذي أفشاه عليه حين قالوا: من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين, فقالوا: سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم. ذكر من قال ذلك:

18597ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: وَتاللّهِ لأكِيدَنّ أصْنامَكُمْ قال: قول إبراهيم حين استتبعه قومه إلى عيد لهم فأبى وقال: إني سقيم, فسمع منه وعيد أصنامهم رجل منهم استأخر, وهو الذي يقول: سَمِعْنا فَتى يَذْكُرُهُمْ يُقالُ لهُ إبْرَاهِيمُ.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.

18598ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله: وَتاللّهِ لأَكِيدَنّ أصْنامَكُمْ قال: نرى أنه قال ذلك حيث لم يسمعوه بعد أن تولّوا مدبرين.

وقوله: فَجَعَلَهُمْ جُذَاذا إلاّ كَبِيرا لَهُمْ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الأمصار سوى يحيى بن وثاب والأعمش والكسائي: «فَجَعَلَهُمْ جِذَاذا» بمعنى جمع جذيذ, كأنهم أرادوا به جمع جذيذ وجِذاذ, كما يجمع الخفيف خِفاف, والكريم كِرام.

وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب قراءة من قرأه: جُذَاذا بضمّ الجيم, لإجماع قرّاء الأمصار عليه, وأن ما أجمعت عليه فهو الصواب وهو إذا قرىء كذلك مصدرٌ مثل الرّفات, والفُتات, والدّقاق لا واحد له, وأما من كسر الجيم فإنه جمع للجذيذ, والجذيذ: هو فعيل صُرِف من مجذوذ إليه, مثل كسير وهشيم, والمجذوذة: المكسورة قِطَعا.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18599ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: فجَعَلَهُمْ جُذَاذا يقول: حُطاما.

18600ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: جُذَاذا كالصّريم.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

18601ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله: فَجَعَلَهُمْ جُذَاذا: أي قطعا.

وكان سبب فعل إبراهيم صلوات الله عليه بآلهة قومه ذلك, كما:

18602ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط عن السديّ: أن إبراهيم قال له أبوه: يا إبراهيم إن لنا عيدا لو قد خرجت معنا إليه قد أعجبك ديننا فلما كان يوم العيد, فخرجوا إليه, خرج معهم إبراهيم, فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال: إني سقيم, يقول: أشتكى رجلي. فتواطئوا رجليه وهو صريع فلما مضوا نادى في آخرهم, وقد بقي ضَعْفَي الناس: وَتاللّهِ لأَكِيدَنّ أصْنامَكُمْ بَعْدَ أنْ تُوَلّوْا مُدْبِرِينَ فسمعوها منه. ثم رجع إبراهيم إلى بيت الآلهة, فإذا هنّ في بهو عظيم, مستقبل باب البهو صنم عظيم إلى جنبه أصغر منه بعضها إلى بعض, كل صنم يليه أصغر منه, حتى بلغوا باب البهو, وإذا هم قد جعلوا طعاما, فوضعوه بين أيدي الآلهة, قالوا: إذا كان حين نرجع رجعنا وقد باركت الآلهة في طعامنا فأكَلْنا. فلما نظر إليهم إبراهيم وإلى ما بين أيديهم من الطعام قالَ ألا تَأكُلُونَ؟ فلما لم تجبه, قال: ما لَكُمْ لا تَنْطِقُونَ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبا بالْيَمِينِ فأخذ فأس حديد, فنقر كلّ صنم في حافتيه, ثم علقّ الفأس في عنق الصنم الأكبر, ثم خرج. فلما جاء القوم إلى طعامهم نظروا إلى آلهتهم قالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنا إنّهُ لِمِنَ الظّالِمِينَ قالُوا سَمِعْنا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقالُ لَهُ إبْرَاهِيمُ.

وقوله: إلاّ كَبِيرا لَهُمْ يقول: إلا عظيما للآلهة, فإن إبراهيم لم يكسره, ولكنه فيما ذكر علق الفأس في عنقه.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
18603ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج: إلاّ كَبِيرا لَهُمْ قال: قال ابن عباس: إلا عظيما لهم عظيم آلهتهم. قال ابن جُرَيْج, وقال مجاهد: وجعل إبراهيم الفأس التي أهلك بها أصنامهم مُسْندة إلى صدر كبيرهم الذي تَرَك.
18604ـ حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: جعل إبراهيم الفأس التي أهلك بها أصنامهم مسندة إلى صدر كبيرهم الذي ترك.
18605ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: أقبل عليهنّ كما قال الله تبارك وتعالى ضَرْبا باليَمِينِ ثم جعل يكسرهنّ بفأس في يده, حتى إذا بقي أعظم صنم منها ربط الفأس بيده, ثم تركهنّ. فلما رجع قومه, رأوا ما صنع بأصنامهم, فراعهم ذلك وأعظموه وقالوا: من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين.
وقوله لَعَلّهُمْ إلَيْهِ يَرْجِعُونَ يقول: فعل ذلك إبراهيم بآلهتهم لعيتبروا ويعلموا أنها إذا لم تدفع عن نفسها ما فعل بها إبراهيم, فهي من أن تدفع عن غيرها من أراده بسوء أبعد, فيرجعوا عما هم عليه مقيمون من عبادتها إلى ما هو عليه من دينه وتوحيد الله والبراءة من الأوثان.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
18606ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة: لَعَلّهُمْ إلَيْهِ يَرْجِعُونَ قال: كادهم بذلك لعلهم يتذكرون أو يبصرون.

الآية : 59 - 61

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالُواْ مَن فَعَلَ هَـَذَا بِآلِهَتِنَآ إِنّهُ لَمِنَ الظّالِمِينَ * قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ * قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِ عَلَىَ أَعْيُنِ النّاسِ لَعَلّهُمْ يَشْهَدُونَ }.
يقول تعالى ذكره: قال قوم إبراهيم لما رأوا آلهتهم قد جُذّت, إلا الذي رَبَط به الفأسَ إبراهيم: من فعل هذا بآلهتنا؟ إن الذي فعل هذا بآلهتنا لمن الظالمين أي لمن الفاعلين بها ما لم يكن له فعله. قالُوا سَمِعْنا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقالُ لَهُ إبْرَاهِيمُ يقول: قال الذين سمعوه يقول وَتاللّهِ لأَكِيدَنّ أصْنامَكُمْ بَعْدَ أنْ تُوَلّوا مُدْبِرِينَ سمعنا فتى يذكرهم بعيب يقال له إبراهيم. كما:
18607ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج: قالُوا سَمِعْنا فَتًى يَذْكُرُهُمْ قال ابن جُرَيج: يذكرهم يعيبهم.
18608ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قوله: سَمَعْنا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقالُ لَهُ إبْرَاهِيمُ سمعناه يسبّها ويعيبها ويستهزىء بها, لم نسمع أحدا يقول ذلك غيره, وهو الذي نظن صنع هذا بها.
وقوله: فَأْتُوا بِهِ عَلى أعْيُنِ النّاسِ لَعَلّهُمْ يَشْهَدُونَ يقول تعالى ذكره: قال قوم إبراهيم بعضهم لبعض: فأتوا بالذي فعل هذا بآلهتنا الذي سمعتموه يذكرها بعيب ويسبّها ويذمها على أعين الناس فقيل: معنى ذلك: على

رؤس الناس, وقال بعضهم: معناه: بأعين الناس ومرأى منهم, وقالوا: إنما أريد بذلك أظهروا الذي فعل ذلك للناس كما تقول العرب إذا ظهر الأمر وشهر: كان ذلك على أعين الناس, يراد به كان بأيدي الناس.

واختلف أهل التأويل قوله: لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ فقال بعضهم: لعلّ الناس يشهدون عليه أنه الذي فعل ذلك, فتكون شهادتهم عليه حجة لنا عليه. وقالوا: إنما فعلوا ذلك لأنهم كرهوا أن يأخذوه بغير بينة. ذكر من قال ذلك:

18609ـ حدثني موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النّاسِ لَعَلّهُمْ يَشْهَدونَ عليه أنه فعل ذلك.

18610ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النّاسِ لَعَلّهُمْ يَشْهَدونَ قال: كرهوا أن يأخذوه بغير بيّنة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: لعلهم يشهدون ما يعاقبونه به, فيعاينونه ويرونه. ذكر من قال ذلك:

18611ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: بلغ ما فعل إبراهيم بآلهة قومه نمرود, وأشراف قومه, فقالوا: فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النّاسِ لَعَلّهُمْ يَشْهَدونَ: أي ما يُصْنع به.

وأظهرُ معنى ذلك أنهم قالوا: فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون عقوبتنا إياه, لأنه لو أريد بذلك ليشهدوا عليه بفعله كان يقال: انظروا من شهده يفعل ذلك, ولم يقل: أحضروه بمجمع من الناس.

الآية : 62 - 63

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالُوَاْ أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَـَذَا بِآلِهَتِنَا يَـإِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَـَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُواْ يِنْطِقُونَ }.

يقول تعالى ذكره: فأتوا بإبراهيم, فلما أتوا به قالوا له: أأنت فعلت هذا بآلهتنا من الكسر بها يا إبراهيم؟ فأجابهم إبراهيم: بل فعله كبيرهم هذا وعظيمهم, فاسألوا الآلهة من فعل بها ذلك وكسرها إن كانت تنطق أو تعبر عن نفسها

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18612ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: لما أُتِي به واجتمع له قومه عند ملكهم نمرود قالُوا أأنْتَ فَعَلْتَ هَـذَا بآلِهَتِنا يا إبْراهِيمُ قالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فاسْئَلُوهُمْ إنْ كانُوا يَنْطِقُونَ غضب من أن يعبدوا معه هذه الصغار وهو أكبر منها, فكسرهن.

18613ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهِمْ هَذَا... الآية, وهي هذه الخصلة التي كادهم بها.

وقد زعم بعض من لا يصدّق بالآثار ولا يقبل من الأخبار إلا ما استفاض به النقل من العوامّ, أن معنى قوله: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهِمْ هَذَا إنما هو: بل فعله كبيرهم هذا إن كانوا ينطقون فاسألوهم, أي إن كانت الآلهة المكسورة تنطق فإن كبيرهم هو الذي كسرهم. وهذا قول خلاف ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن إبراهيم لم يكذب إلا ثلاث كَذَبات كلها في الله, قوله: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهِمْ هَذَا, وقوله: إنّي سَقِيمٌ, وقوله لسارة: هي أختي. وغير مستحيل أن يكون الله ذكره أذِن لخليله في ذلك, ليقرّع قومه به, ويحتجّ به عليهم, ويعرّفهم موضع خطئهم,

وسوء نظرهم لأنفسهم, كما قال مؤذّن يوسف لإخوته: أيّتُها العيرُ إنّكُمْ لَسارِقُونَ ولم يكونوا سرقوا شيئا.

الآية : 64 -65

القول في تأويل قوله تعالى: {فَرَجَعُوَاْ إِلَىَ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوَاْ إِنّكُمْ أَنتُمُ الظّالِمُونَ * ثُمّ نُكِسُواْ عَلَىَ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـَؤُلآءِ يَنطِقُونَ }.

يقول تعالى ذكره: فذكروا حين قال لهم إبراهيم صلوات الله عليه: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهِمْ هَذَا فاسْئَلُوهُمْ إنْ كانُوا يَنْطِقُونَ في أنفسهم, ورجعوا إلى عقولهم, ونظر بعضهم إلى بعض, فقالوا: إنكم معشر القوم الظالمون هذا الرجل في مسألتكم إياه وقيلكم له من فعل هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟ وهذه آلهتكم التي فعل بها ما فعل حاضرتكم فاسألوها

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18614ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: فَرَجَعُوا إلى أنْفُسِهِمْ فَقالُوا إنّكُمْ أنْتُمْ الظّالِمُونَ قال: ارعَوَوْا ورجعوا عنه يعني عن إبراهيم, فيما ادّعوا عليه من كسرهنّ إلى أنفسهم فيما بينهم, فقالوا: لقد ظلمناه, وما نراه إلا كما قال.

18615ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج: فَرَجَعُوا إلى أنْفُسِهِمْ قال: نظر بعضهم إلى بعض فَقالُوا إنّكُمْ أنْتُمْ الظّالِمُونَ.

وقوله: ثُمّ نُكِسُوا على رُءُوسِهِمْ يقول جلّ ثناؤه: ثم غُلِبوا في الحجة, فاحتجوا على إبراهيم بما هو حجة لإبراهيم عليهم, فقالوا: لقد علمت ما هؤلاء الأصنام ينطقون. كما:

18616ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: ثم قالوا: يعني قوم إبراهيم, وعرفوا أنها, يعني آلهُتهم لا تضرّ ولا تنفع ولا تبطِش: لَقَدْ عَلِمْتَ ما هَؤُلاءِ يَنْطِقُونَ: أي لا تتكلم فتخبرنا من صنع هذا بها, وما تبطش بالأيدي فنصدّقك, يقول الله: ثُمّ نُكِسُوا عَلى رُءُوسِهِمْ في الحجة عليهم لإبراهيم حين جادلهم, فقال عند ذلك إبراهيم حين ظَهرت الحجة عليهم بقولهم: لَقَدْ عَلِمْتَ ما هَؤُلاءِ يَنْطِقُونَ.

18617ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة قال الله: ثُمّ نُكِسُوا عَلى رُءُوسِهِمْ أدركت الناسَ حَيرة سَوْء.

وقال آخرون: معنى ذلك: ثم نُكسوا في الفتنة. ذكر من قال ذلك:

18618ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: ثُمّ نُكِسُوا عَلى رُءُوسِهِمْ قال: نكسوا في الفتنة على رءوسهم, فقالوا: لقد علمت ما هؤلاء ينطقون.

وقال بعض أهل العربية: معنى ذلك: ثم رجعوا عما عرفوا من حجة إبراهيم, فقالوا: لقد علمت ما هؤلاء ينطقون.

وإنما اخترنا القول الذي قلنا في معنى ذلك, لأن نَكْسَ الشيء على رأسه: قَلْبُه على رأسه وتَصْيِيرُ أعلاه أسفله ومعلوم أن القوم لم يُقْلبوا على رءوس أنفسهم, وأنهم إنما نُكست حجتهم, فأقيم الخبر عنهم مقام الخبر عن حجتهم. وإذ كان ذلك كذلك, فنَكْس الحجة لا شك إنما هو احتجاج المحتجّ على خصمه بما هو حجة لخصمه. وأما قول السديّ: ثم نكسوا في الفتنة, فإنهم لم يكونوا خرجوا من الفتنة قبل ذلك فنكسوا فيها. وأما قول من قال من أهل العربية ما ذكرنا عنه, فقول بعيد من

الفهوم لأنهم لو كانوا رجعوا عما عرفوا من حجة إبراهيم, ما احتجوا عليه بما هو حجة له, بل كانوا يقولون له: لا تسألهم, ولكن نسألك فأخبرنا مَنْ فعل ذلك بها, وقد سمعنا أنك فعلت ذلك ولكن صدقوا القول فَقالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ ما هَؤُلاءِ يَنْطِقُونَ وليس ذلك رجوعا عما كانوا عرفوا, بل هو إقرار به.

الآية : 66 -67

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُكُمْ شَيْئاً وَلاَ يَضُرّكُمْ * أُفّ لّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لقومه: أفتعبدون أيها القوم ما لا ينفعكم شيئا ولا يضرّكم, وأنتم قد علمتم أنها لم تمنع نفسها ممن أرادها بسوء, ولا هي تقدر أن تنطق إن سئلت عمن يأتيها بسوء فتخبر به, أفلا تستَحْيون من عبادة ما كان هكذا؟ كما:

18619ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: قالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ ما لا ينْفَعُكمْ شَيْئا وَلا يَضُرّكُمْ... الآية, يقول يرحمه الله: ألا ترون أنهم لم يدفعوا عن أنفسهم الضرّ الذي أصابهم, وأنهم لا ينطقون فيخبرونكم من صَنع ذلك بهم, فكيف ينفعونكم أو يضرّون

وقوله: أُفّ لَكُمْ يقول: قُبحا لكم وللآلهة التي تعبدون من دون الله, أفلا تعقلون قبح ما تفعلون من عبادتكم ما لا يضرّ ولا ينفع, فتتركوا عبادته, وتعبدوا الله الذي فطر السموات والأرض, والذي بيده النفع والضرّ؟

الآية : 68 -70

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالُواْ حَرّقُوهُ وَانصُرُوَاْ آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاَمَا عَلَىَ إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُواْ بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ }.

يقول تعالى ذكره: قال بعض قوم إبراهيم لبعض: حرّقوا إبراهيم بالنار وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ يقول: إن كنتم ناصريها ولم تريدوا ترك عبادتها.

وقيل: إن الذي قال ذلك رجل من أكراد فارس. ذكر من قال ذلك:

18620ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن ليث, عن مجاهد, في قوله: حَرّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ قال: قالها رجل من أعراب فارس, يعني الأكراد.

18621ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: أخبرني وهب بن سليمان, عن شعيب الجبئي, قال: إن الذي قال حرّقوه «هيزن» فخسف الله به الأرض, فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة.

18622ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: أجمع نمرود وقومه في إبراهيم فقالوا: حَرّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ أي لا تنصروها منه إلا بالتحريق بالنار إن كنتم ناصريها.

18623ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: ثني محمد بن إسحاق, عن الحسن بن دينار, عن ليث بن أبي سليم, عن مجاهد, قال: تلوت هذه الآية على عبد الله بن عمر, فقال: أتدري يا مجاهد من الذي

أشار بتحريق إبراهيم بالنار؟ قال: قلت لا. قال: رجل من أعراب فارس. قلت: يا أبا عبد الرحمن, أوَ هل للفرس أعراب؟ قال: نعم الكرد هم أعراب فارس, فرجل منهم هو الذي أشار بتحريق إبراهيم بالنار.

وقوله: قُلْنا يا نارُ كُونِي بَرْدا وَسَلاما عَلى إبْرَاهِيمَ في الكلام متروك اجتزىء بدلالة ما ذكر عليه منه, وهو: فأوقدوا له نارا ليحرّقوه ثم ألقوه فيها, فقلنا للنار: يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم وذُكر أنهم لما أرادوا إحراقه بنوا له بنيانا كما:

18624ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيانا فألْقُوهُ في الجَحِيمِ قال: فحبسوه في بيت, وجمعوا له حطبا, حتى إن كانتِ المرأة لَتمرضُ فتقول: لئن عافاني الله لأجمعنّ حطبا لإبراهيم فلما جمعوا له, وأكثروا من الحطب حتى إن الطير لتمرّ بها فتحترق من شدّة وهجها, فعمدوا إليه فرفعوه على رأس البنيان, فرفع إبراهيم صلى الله عليه وسلم رأسه إلى السماء, فقالت السماء والأرض والجبال والملائكة: ربنا, إبراهيم يحرق فيك فقال: أنا أعلم به, وإن دعاكم فأغيثوه وقال إبراهيم حين رفع رأسه إلى السماء: اللهمّ أنت الواحد في السماء وأنا الواحد في الأرض ليس في الأرض أحد يعبدك غيري, حسبي الله ونعم الوكيل فقذفوه في النار, فناداها فقال: يا نارُ كُونِي بَرْدا وَسَلاما على إبْرَاهِيمَ فكان جبريل عليه السلام هو الذي ناداها. وقال ابن عباس: لو لم يُتبع بردها سلاما لما مات إبراهيم من شدّة بردها, فلم يبق يومئذ نار في الأرض إلا طفئت, ظنت أنها هي تُعْنَى. فلما طُفئت النار نظروا إلى إبراهيم, فإذا هو رجل آخر معه, وإذا رأس إبراهيم في حجره يمسح عن وجهه العرق وذكر أن ذلك الرجل هو ملك الظلّ. وأنزل الله نارا فأنتفع بها بنو آدم, وأخرجوا إبراهيم, فأدخلوه على الملك, ولم يكن قبل ذلك دخل عليه.

18625ـ حدثني إبراهيم بن المقدام أبو الأشعث, قال: حدثنا المعتمر, قال: سمعت أبي, قال: حدثنا قَتادة, عن أبي سليمان, عن كعب, قال: ما أحرقت النار من إبراهيم إلا وثاقه.

18626ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله: قُلْنا يا نارُ كُونِي بَرْدا وَسَلاما عَلى إبْرَاهِيمَ قال: ذُكر لنا أن كعبا كان يقول: ما انتفع بها يومئذ أحد من الناس. وكان كعب يقول: ما أحرقت النار يومئذ إلا وثاقه.

18627ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن شيخ, عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله: يا نارُ كُونِي بَرْدا وَسَلاما عَلى إبْرَاهِيمَ قال: بردت عليه حتى كادت تقتله, حتى قيل: «وسلاما», قال: لا تضرّيه.

18628ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا جابر بن نوح, قال: أخبرنا إسماعيل, عن المنهال بن عمرو, قال: قال إبراهيم خليل الله: ما كنت أياما قطُّ أنعم مني من الأيام التي كنت فيها في النار.

18629ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن جعفر, عن سعيد, قال: لمّا ألقي إبراهيم خليل الله صلى الله عليه وسلم في النار, قال المَلَكُ خازن المطر: ربّ خليلك إبراهيم رجا أن يؤذن له فيرسل المطر. قال:

فكان أمر الله أسرع من ذلك فقال: يا نارُ كُونِـي بَرْدا وَسَلاما عَلـى إبْرَاهِيــمَ فلـم يبق فـي الأرض نار إلا طُفئت.
18630ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن مغيرة, عن الـحرث, عن أبـي زرعة, عن أبـي هريرة, قال: إن أحسن شـيء قـاله أبـو إبراهيــم لــما رفع عنه الطبق وهو فـي النار, وجده يرشـح جبــينه, فقـال عنـد ذلـك: نِعْـمَ الربّ ربّك يا إبراهيـم.
18631ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جريج, قال: أخبرنـي وهب بن سلـيـمان عن شعيب الـجَبَــيءِ, قـال: أُلقــي إبراهيـم فـي النار وهو ابن ستّ عشرة سنة, وذُبـح إسـحاق وهـو ابـن سـبع سنـين, وولدته سارّة وهي ابنة تسعين سنة, وكان مذبحه مـن بــيت إيـلــياء علـى ميـلـين, ولـما علـمت سارّة بـما أراد بإسـحاق بُطِنـت يـومين, وم اتت الـيوم الثالث. قـال ابـن جُرَيـج: قـال كعـب الأحبــار: مـا أحرقـت النـار مـن إبراهيـم شيئا غير وثاقه الذي أوثقوه به.
18632ـ حدثنا الـحسن, قال: حدثنا الــحسين, قـال: حـدثنا معتــمر بـن سلـيــمان التيــمي, عـن بعـض أصـحابه قـال: جـاء جبريــل إلــى إبراهيــم علـيهما السلام وهو يوثق أو يقمّط لـيـلقـى فـي النار, قال: يا إبراهيــم ألـك حاجة؟ قال: أمّا إلـيك فلا.
18633ـ قال: حدثنا معتـمر, قال: حدثنا ابن كعب, عن أرقم: أن إبراهيـم قال حيـن جعلـوا يوثقـونه لـيــلقوه فــي النـار: لا إلـه إلا أنـت سـبحانك ربّ العالـمين, لك الـحمد, ولك الـملك لا شريك لك.
18634ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن أبـي جعفر الرازي, عن الربـيع بن أنس, عن أبـي العالـية, فـي قوله: قُلْنـا يـا نـارُ كُونِـي بَرْدا وَسَلاما عَلـى إبْرَاهِيـمَ قال: السلام لا يؤذيه بردها, ولولا أنه قال: «وسلاما» لكان البرد أشدّ علـيه من الـحرّ.
18635ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جُرَيج, قوله: بَرْدا قال: بردت علـيه وَسَلاما لا تؤذيه.
18636ـ حدثنا ابن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: قُلْنا يا نارُ كُونِـي بَرْدا وَسَلاما عَلـى إبْرَاهِيـمَ قال: قال كعب: ما انتفـع أحـد مـن أهـل الأرض يومئـذ بنـار, ولا أحرقـت النـار يومئـذ شـيئا إلا وثـاق إبراهيـم.
وقال قتادة: لـم تأت يومئذ دابة إلا أطفأت عنه النار, إلا الوزغ.
وقال الزهري: أمر النبـيّ صلى الله عليه وسلم بقتله, وسماه فُوَيسقا.
وقـوله: وأرَادُوا بِـهِ كَيْـدا يقـول تعالــى ذكـره: وأرادوا بإبراهيــم كيـدا, فَجَعَلْناهُمُ الأخْسَرِينَ يعنـي الهالكين. وقد:
18637ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جُرَيج: وأرَادُوا بِهِ كَيْدا فجَعَلْناهُمُ الأخْسَرِينَ قال: ألقوا شيخا منهم فـي النــار لأن يصيبوا نـجاته, كما نُـجي إبراهيـم صلى الله عليه وسلم, فـاحترق.

الآية : 71

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَنَجّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الأرْضِ الّتِي بَارَكْنَا فِيهَـا لِلْعَالَمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: ونجينا إبراهيم ولوطا من أعدائهما نمرودٍ وقومِهِ من أرض العراق, إلى الأرْضِ التي بارَكْنا فِيها للْعالَمِينَ وهي أرض الشأم, فارق صلوات الله عليه قومه ودينهم وهاجر إلى الشأم.

وهذه القصة التي قصّ الله من نبأ إبراهيم وقومه تذكير منه بها قوم محمد صلى الله عليه وسلم من قريش أنهم قد سلكوا في عبادتهم الأوثان, وأذاهم محمدا على نهيه عن عبادتها, ودعائهم إلى عبادة الله مخلصين له الدين, مسلك أعداء أبيهم إبراهيم ومخالفتهم دينه, وأن محمدا في براءته من عبادتها وإخلاصه العبادة لله, وفي دعائهم إلى البراءة من الأصنام, وفي الصبر على ما يلقى منهم في ذلك سالك منهاج أبيه إبراهيم, وأنه مخرجه من بين أظهرهم كما أخرج إبراهيم من بين أظهر قومه حين تمادوا في غيهم إلى مهاجره من أرض الشأم, ومسلَ بذلك نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عما يَلْقَى من قومه من المكروه والأذى, ومعلمه أنه منجيه منهم كما نجّى أباه إبراهيم من كفرة قومه.

وقد اختلف أهل التأويل في الأرض التي ذكر الله أنه نجّى إبراهيم ولوطا إليها ووصفه أنه بارك فيها للعالمين. فقال بعضهم بنحو الذي قلنا في ذلك. ذكر من قال ذلك:

18638ـ حدثنا الحسين بن حريث المروزي أبو عمار, قال: حدثنا الفضل بن موسى, عن الحسين بن واقد, عن الربيع بن أنس, عن أبي العالية, عن أبيّ بن كعب: ونَجّيْناهُ وَلُوطا إلى الأرْضِ التي بارَكْنا فِيها للْعالَمِينَ قال: الشأم, وما من ماء عذب إلا خرج من تلك الصخرة التي ببيت المقدس.

18639ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان, عن فرات القزاز, عن الحسن, في قوله: إلى الأرْضِ التي بارَكْنا فِيها قال: الشام.

18640ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: ونَجّيْناهُ وَلُوطا إلى الأرْضِ التي بارَكْنا فِيها للْعالَمِينَ كانا بأرض العراق, فأنجيا إلى أرض الشام. وكان يُقال للشأم عماد دار الهجرة, وما نقص من الأرض زيد في الشأم, وما نقص من الشأم زيد في فلسطين. وكان يقال: هي أرض المحشر والمنشر, وبها مجمع الناس, وبها ينزل عيسى ابن مريم, وبها يهلك الله شيخ الضلالة الكذّاب الدجال. وحدثنا أبو قلابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «رأيْتُ فِيما يَرَى النّائمُ كأنّ المَلائِكَةَ حَمَلَتْ عَمُودَ الكِتابِ فَوَضَعَتْه بالشّأمِ, فأوّلْتُه أن الفِتَنَ إذَا وَقَعَتْ فإنّ الإيمَانَ بالشّأمِ».

وذُكر لنا أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم في خطبه: «إنّهُ كائِنٌ بالشّأمِ جُنْدٌ, وبالعِرَاقِ جُنْدٌ,وباليَمَنِ جُنْدٌ». فقال رجل: يا رسول الله خِرْ لي فقال: «عَلَيْكَ بالشّأمِ فإنّ اللّهَ قَدْ تَكَفّلَ لي بالشّامِ وأهْلِهِ, فَمَنْ أبى فَلْيَلْحَقْ بأمْنِهِ وَلْيَسْقِ بِقَدَرِهِ». وذُكر لنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: يا كعب ألا تَحوّل إلى المدينة فأنها مُهاجَر رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضع قبره؟ فقال له كعب: يا أمير المؤمنين, إني أجد في كتاب الله المنزل أن الشام كنز الله من أرضه وبها كنزه من عباده.

18641ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة: وَنـجّيْناهُ وَلُوطا إلـى الأرْضِ التـي بـارَكْنا فِـيها لِلْعالَـمِينَ قـال: هـاجرا جميعا من كُوْثَىَ إلـى الشام.
18642ـ حدثنا موسـى, قـال: حـدثنا عمـرو, قـال: حـدثنا أسبـاط, عـن السديّ, قال: انطلق إبراهيـم ولـوط قِبَـل الشـأم, فلقــي إبراهيــم سـارَة, وهي بنت ملك حَرّان, وقد طعنت علـى قومها فـي دينهم, فتزوّجها علـى أن لا يغيرها.
18643ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, قال: خرج إبراهيـم مهاجرا إلـى ربه, وخرج معه لوط مهاجرا, وتزوّج سارَة ابنـة عمـه, فخرج بها معه يـلتـمس الفرار بدينه والأمان علــى عبــادة ربـه, حتــى نـزل حرّان, فمكث فـيها ما شاء الله أن يـمكث. ثم خرج منها مهاجرا حتــى قـدم مصر. ثم خرج من مصر إلـى الشام, فنزل السبع من أرض فلسطين, وهـي برّية الشام, ونزل لـوط بـالــمؤتَفِكَة, وهـي مـن السـبع علــى مسـيرة يـوم ولـيـلة, أو أقرب من ذلك, فبعثه الله نبـيّا صلى الله عليه وسلم.
18644ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جُرَيج, قوله: وَنـجّيْناهُ وَلُوطا إلـى الأرْضِ التـي بـارَكْنا فِـيها لِلْعالَــمِينَ قـال: نـجاه من أرض العِراق إلـى أرض الشام.
18645ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن أبـي جعفر الرازيّ, عن الربـيع, عن أبـي العالـية, أنه قال فـي هذه الآيـة: بــارَكْنا فِـيها لِلْعالَـمِينَ قال: لـيس مـاء عـذب إلا يهبـط إلــى الصـخرة التــي ببــيت الـمقدس, قال: ثم يتفرّق فـي الأرض.
18646ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله: وَنـجّيْناهُ وَلُوطا إلـى الأرْضِ التـي بــارَكْنا فِــيها لِلْعالَــمِينَ قـال: إلــى الشأم.
وقال آخرون: بل يعنـي مكة وهي الأرض التــي قـال اللـه تعالــى: التــي بـارَكْنا فِـيها لِلْعالَـمِينَ. ذكر من قال ذلك:
18647ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابـن عبــاس, قـوله: وَنــجّيْناهُ وَلُوطـا إلــى الأرْضِ التـي بـارَكْنا فِـيها لِلْعالَـمِينَ يعنـي مكة ونزول إسماعيـل البـيت ألا تـرى أنـه يقول: إنّ أوّلَ بَـيْتٍ وُضِعَ لِلنّاسِ لَلّذِي بِبَكّةَ مُبـارَكا وَهُدًى لِلْعالَـمِينَ؟
قال أبو جعفر: وإنـما اخترنا ما اخترنا من القول فـي ذلك لأنه لا خلاف بـين جميع أهل العلـم أن هجرة إبراهيـم من العراق كانت إلـى الشـام وبهـا كـان مُقامه أيام حيـاته, وإن كـان قـد كـان قـدم مكـة وبنـى بهـا البــيت وأسـكنها إسماعيـل ابنه مع أمه هاجر غير أنه لـم يُقِم بها ولـم يتــخذها وطنـا لنفسـه, ولا لوط, والله إنـما أخـبر عـن إبراهيــم ولـوط أنهمـا أنــجاهما إلــى الأرض التـي بـارك فـيها للعالـمين.

الآية : 72 و 73

القول فـي تأويـل قولـه تعالـى: {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلاّ جَعَلْنَا صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْـلَ الْخَيْـرَاتِ وَإِقَـامَ الصّلاَةِ وَإِيتَآءَ الزّكَـاةِ وَكَانُواْ لَنَا عَابِدِينَ }.
يقول تعالـى ذكره: ووهبنا لإبراهيـم إسحاق ولدا ويعقوب ولد ولده, نافلةً لك.

واختلف أهل التأويل في المعنيّ بقوله: نافِلَةً فقال بعضهم: عُني به يعقوب خاصة. ذكر من قال ذلك:

18648ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَوَهَبْنا لَهُ إسْحاقَ وَيَعْقُوبَ نافِلَةً يقول: ووهبنا له إسحاق ولدا, ويعقوب ابْنَ ابنٍ نافلة.

18649ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله: وَوَهَبْنا لَهُ إسْحاقَ وَيَعْقُوبَ نافِلَةً والنافلة: ابن ابنه يعقوب.

18650ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَوَهَبْنا لَهُ إسْحاقَ وَيَعْقُوبَ نافِلَةً قال: سأل واحدا فقال: ربّ هب لي من الصالحين فأعطاه واحدا, وزاده يعقوب ويعقوب ولد ولده.

وقال آخرون: بل عُني بذلك إسحاقُ ويعقوب. قالوا: وإنما معنى النافلة: العطية, وهما جميعا من عطاء الله أعطاهما إياه. ذكر من قال ذلك:

18651ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن ابن جُرَيج, عن عطاء, في قوله: وَوَهَبْنا لَهُ إسْحاقَ وَيَعْقُوبَ نافِلَةً قال: عطية.

18652ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: إسْحاقَ وَيَعْقُوبَ نافِلَةً قال: عطاء.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.

قال أبو جعفر: وقد بيّنا فيما مضى قبل أن النافلة الفضل من الشيء يصير إلى الرجل من أيّ شيء كان ذلك, وكلا ولديه إسحاق ويعقوب كان فضلاً من الله تفضل به على إبراهيم وهبة منه له. وجائز أن يكون عني به أنه آتاهما إياه جميعا نافلة منه له, وأن يكون عني أنه آتاه نافلة يعقوب ولا برهان يدلّ على أيّ ذلك المراد من الكلام, فلا شيء أولى أن يقال في ذلك مما قال الله ووهب الله لإبراهيم إسحاق ويعقوب نافلة.

وقوله: وكُلاّ جَعَلْنا صَالِحِينَ يعني عاملين بطاعة الله, مجتنبين محارمه. وعني بقوله: كُلاّ: إبراهيم, وإسحاق, ويعقوب. وقوله: وَجَعَلْناهُمْ أئمّةً يَهْدُونَ بأمْرِنا يقول تعالى ذكره: وجعلنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أئمة يؤتمّ بهم في الخير في طاعة الله في اتباع أمره ونهيه, ويُقْتَدَى بهم, ويُتّبَعون عليه. كما:

18653ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَجَعَلْناهُمْ أئمّةً يَهْدُونَ بأمْرِنا جعلهم الله أئمة يُقتدى بهم في أمر الله. وقوله: يَهْدُونَ بأمْرِنا يقول: يهدون الناس بأمر الله إياهم بذلك, ويدعونهم إلى الله وإلى عبادته.

وقوله: وأوْحَيْنا إلَيْهِمْ فِعْلَ الخَيْرَاتِ يقول تعالى ذكره: وأوحينا فيما أوحينا أن افعلوا الخيرات, وأقيموا الصلاة بأمرنا بذلك. وكانُوا لَنا عابِدِينَ يقول: كانوا لنا خاشعين, لا يستكبرون عن طاعتنا وعبادتنا.

الآية : 74

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلُوطاً آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَنَجّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الّتِي كَانَت تّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ }.

يقول تعالـي ذكره: وآتـينا لوطا حُكْما وهو فصل القضاء بـين الــخصوم, وعِلْـما يقول: وآتـيناه أيضا علـما بأمر دينه, وما يجب علـيه لله من فرائضه.

وفـي نصب «لوط» وجهان: (أحدهما) أن ينصب لتعلق الواو بـالفعل كمـا قلنا: وآتـينا لوطا والآخر بـمضمر بـمعنى: واذكر لوطا.

وقوله: ونَـجّيْناهُ مِنَ القَرْيَةِ التـي كانَتْ تَعْمَلُ الـخَبـائِثَ يقول: ونـجيناه من عذابنا الذي أحللناه بأهل القريـة التــي كـانت تعمـل الـخبــائث, وهـي قريـة سَدُوم التـي كان لوط بعث إلــى أهلهـا. وكـانت الـخبــائث التــي يعملونهـا: إتـيانَ الذكران فـي أدبـارهم, وخَذْفهم الناس, وتضارطهم فـي أنـديتهم, مـع أشياء أُخَر كانوا يعملونها من الـمُنكر, فأخرجه اللـه حيـن أراد إهلاكهـم إلــى الشام. كما:

18654ـ حدثنـي موسى, قال: حدثنا عمـرو, قـال: حـدثنا أسبــاط, عـن السديّ, قال: أخرجهم الله, يعنـي لوطا وابنتـيه زيثا وزعرثا إلـى الشام حين أراد إهلاك قومه.

وقوله: إنّهُمْ كانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فـاسِقِـينَ مخالفـين أمر الله, خـارجين عـن طاعته وما يَرْضَى من العمل.

الآية : 75

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَآ إِنّهُ مِنَ الصّالِحِينَ }.

يقول تعالـى ذكره: وأدخـلنا لوطا فـي رحمتنا بـانـجائنا إيـاه مــما أحللنـا بقومه من العذاب والبلاء وإنقاذناه منه. إنّهُ مِنَ الصّالِــحِينَ يقـول: إن لوطـا من الذين كانوا يعملون بطاعتنا وينتهون إلـى أمرنا ونهينا ولا يعصوننا.

وكان ابن زيد يقول فـي معنى قوله: وأدْخَـلْناهُ فِـي رَحْمَتِنا ما:

18655ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله: وأدْخَـلْناهُ فِـي رَحْمَتِنا قال: فـي الإسلام.

الآية : 76 و 77

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَنُوحاً إِذْ نَادَىَ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَنَصَرْنَاهُ مِـنَ الْقَـوْمِ الّـذِينَ كَـذّبُواْ بِآيَاتِنَـا إِنّهُـمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ }.

يقول تعالـى ذكره: واذكر يا مـحمد نوحا إذ نادى ربه من قبلك, ومن قبل إبراهيـم ولوط, وسألنا أن نهلك قومه الذين كذّبوا الله فـيـما توعدهم به من وعيده, وكذّبوا نوحا فـيـما أتاهم به من الـحقّ من عند ربـه وَقـالَ رَبّ لا تَـذَرْ عَلـى الأرْض مِنَ الكافِرِينَ دَيّارا فـاستـجبنا له دعاءه, ونـجّيناه وأهله, يعنــي بأهله: أهل الإيـمان من ولده وحلائلهم مِنَ الكَرْبِ العَظِيـم يعنــي بــالكرب العظيـم: العذاب الذي أُحلّ بـالـمكذّبـين مـن الطوفــان والغـرق. والكـرب: شدّة الغمّ, يقال منـه: قـد كربنــي هـذا الأمـر فهـو يكرُبنــي كُرْبــا. وقـوله: وَنَصَرْناهُ مِنَ القَوْمِ الّذِينَ كَذّبُوا بآياتِنا يقول: ونصرنا نوحا علـى القـوم الـذي كذّبوا بحججنا وأدلتنا, فأنـجيناه منهم, فأغرقناهم أجمعيـن. إنّهـم كَـانُوا قَـوْمَ سَوْءٍ يقول تعالـى ذكره: إن قوم نوح الـذين كـذّبوا بآياتنـا كـانوا قـوم سـوء, يسيئون الأعمال, فـيعصون الله ويخالفون أمره.

الآية : 78 و 79

القول في تأويل قوله تعالى: {وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واذكر داود وسليمان يا محمد إذ يحكمان في الحرث.

واختلف أهل التأويل في ذلك الحرث ما كان؟ فقال بعضهم: كان نبتا. ذكر من قال ذلك:

18656ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن ابن إسحاق, عن مرّة في قوله: إِذْ يَحْكُمانِ فِي الحَرْثِ قال: كان الحرث نبتا.

18657ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد عن قَتادة, قال: ذكر لنا أن غنم القوم وقعت في زرع ليلاً.

وقال آخرون: بل كان ذلك الحرث كَرْما. ذكر من قال ذلك:

18658ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا المحاربيّ, عن أشعث, عن أبي إسحاق, عن مرّة, عن ابن مسعود, في قوله: وَدَاوُدَ وَسُلَيْمانَ إِذْ يَحْكُمانِ فِي الحَرْثِ قال: كَرْم قد أنبت عناقيده.

18659ـ حدثنا تميم بن المنتصر, قال: أخبرنا إسحاق, عن شريك, عن أبي إسحاق, عن مسروق, عن شريح, قال: كان الحرث كَرْما.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما قال الله تبارك وتعالى: إِذْ يَحْكُمانِ فِي الحَرْثِ والحرث: إنما هو حرث الأرض. وجائز أن يكون ذلك كان زرعا, وجائز أن يكون غَرْسا, وغير ضائر الجهل بأيّ ذلك كان.

وقوله: إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنمُ القَوْمِ يقول: حين دخلت في هذا الحرث غنم القوم الآخرين من غير أهل الحرث ليلاً, فرعته أو أفسدته. وكُنّا لِحكْمِهِمْ شاهِدِينَ يقول: وكنا لحكم داود وسليمان والقوم الذين حَكَما بينهم فيما أفسدت غنم أهل الغنم من حرث أهل الحرث, شاهدين لا يخفى علينا منه شيء, ولا يغيب عنا علمه. وقوله: فَفَهّمْناها يقول: ففهّمنا القضية في ذلك سُلَيْمانَ دون داود. وكُلاّ آتَيْنا حُكْما وَعِلْما يقول: وكلهم من داود وسليمان والرسل الذين ذكرهم في أوّل هذه السورة آتينا حكما وهو النبوة, وعلما: يعني وعلما بأحكام الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18660ـ حدثنا أبو كريب وهارون بن إدريس الأصمّ قالا: حدثنا المحاربيّ, عن أشعث, عن أبي إسحاق, عن مرّة, عن ابن مسعود, في قوله: وَدَاوُدَ وَسُلَيْمانَ إِذْ يَحْكُمانِ فِي الحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنمُ القَوْمِ قال: كرم قد أنبت عناقيده فأفسدته. قال: فقضى داود بالغنم لصاحب الكرم, فقال سليمان: غير هذا يا نبيّ الله قال: وما ذاك؟ قال: يدفع الكرم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان, وتُدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها, حتى إذا كان الكرم كما كان دَفعت إلى الكرم صاحبه ودَفعت الغنم إلى صاحبها. فذلك قوله: فَفَهّمْناها سُلَيْمانَ.

18661ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَدَاوُدَ وَسُلَيْمانَ إِذْ يَحْكُمانِ فِي الحَرْثِ... إلى قوله: وكُنّا لِحُكْمِهِمْ شاهِدِينَ يقول: كنا لِما حكما

شاهدين. وذلك أن رجلين دخلا على داود, أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم, فقال صاحب الحرث: إن هذا أرسل غنمه في حرثي, فلم يُبق من حرثي شيئا. فقال له داود: اذهب فإن الغنم كلها لك فقضى بذلك داود. ومرّ صاحب الغنم بسليمان, فأخبره بالذي قضى به داود, فدخل سليمان على داود فقال: يا نبيّ الله إن القضاء سوى الذي قضيت. فقال: كيف؟ قال سليمان: إن الحرث لا يخفي على صاحبه ما يخرج منه في كل عام, فله من صاحب الغنم أن يبيع من أولادها وأصوافها وأشعارها حتى يستوفي ثمن الحرث, فإن الغنم لها نسل في كلّ عام. فقال داود: قد أصبت, القضاءُ كما قضيتَ. ففهّمها الله سليمان.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن عليّ بن زيد, قال: ثني خليفة, عن ابن عباس قال: قضى داود بالغنم لأصحاب الحرث, فخرج الرّعاة معهم الكلاب, فقال سليمان: كيف قضى بينكم؟ فأخبروه, فقال: لو وافيت أمركم لقضيت بغير هذا. فأُخبر بذلك داود, فدعاه فقال: كيف تقضي بينهم؟ قال: أدفع الغنم إلى أصحاب الحرث, فيكون لهم أولادها وألبانها وسِلاؤها ومنافعها, ويبذر أصحاب الغنم لأهل الحرث مثل حرثهم, فإذا بلغ الحرث الذي كان عليه, أخذ أصحاب الحرث الحرث وردّوا الغنم إلى أصحابها.

18662ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, قال: حدثنا ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنم القَوْمِ قال: أعطاهم داود رقاب الغنم بالحرث, وحكم سليمان بجِزّة الغنم وألبانها لأهل الحرث, وعليهم رعايتها على أهل الحرث, ويحرث لهم أهل الغنم حتى يكون الحرث كهيئته يوم أكل, ثم يدفعونه إلى أهله ويأخذون غنمهم.

حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: ثني ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج بنحوه, إلا أنه قال: وعليهم رعيها.

18663ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن ابن إسحاق, عن مرّة في قوله: إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنمُ القَوْمِ قال: كان الحرث نبتا, فنفشت فيه ليلاً, فاختصموا فيه إلى داود, فقضى بالغنم لأصحاب الحرث. فمرّوا على سليمان, فذكروا ذلك له, فقال: لا, تُدفع الغنم فيصيبون منها يعني أصحاب الحرث ويقوم هؤلاء على حرثهم, فإذا كان كما كان ردّوا عليهم. فنزلت: ففَهّمْناها سُلَيْمانَ.

18664ـ حدثنا تميم بن المنتصر, قال: أخبرنا إسحاق, عن شريك, عن أبي إسحاق, عن مسروق, عن شريح, في قوله: إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنمُ القَوْمِ قال: كان النفْش ليلاً, وكان الحرث كرما, قال: فجعل داود الغنم لصاحب الكرم, قال: فقال سليمان: إن صاحب الكرم قد بقي له أصل أرضه وأصل كرمه, فاجعل له أصوافها وألبانها قال: فهو قول الله: ففَهّمْناها سُلَيْمانَ.

18665ـ حدثنا ابن أبي زياد, قال: حدثنا يزيد بن هارون, قال: أخبرنا إسماعيل, عن عامر, قال: جاء رجلان إلى شُرَيح, فقال أحدهما: إن شياه هذا قطعت غَزْلاً لي, فقال شريح: نهارا أم ليلاً؟ قال: إن كان نهارا فقد

بريء صاحب الشياه, وإن كان ليلاً فقد ضمن. ثم قرأ: وَدَاوُدَ وَسُلَيْمانَ إذْ يَحْكُمانِ فِي الحَرْثِ إذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنمُ القَوْمِ قال: كان النفش ليلاً.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, قال: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد, عن عامر, عن شريح بنحوه.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبيّ, عن شريح, مثله.

18666ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله: وَدَاوُدَ وَسُلَيْمانَ إذْ يَحْكُمانِ فِي الحَرْثِ.... الآية, النفْش بالليل, والهَمَل بالنهار. وذُكر لنا أن غنم القوم وقعت في زرع ليلاً, فرُفع ذلك إلى داود, فقضى بالغنم لأصحاب الزرع, فقال سليمان: ليس كذلك, ولكن له نسلها وَرسْلها وعوارضها وجُزازها, حتى إذا كان من العام المقبل كهيئته يوم أكل دفعت الغنم إلى ربها وقبض صاحب الزرع زرعه. فقال الله: ففَهّمْناها سُلَيْمانَ.

18667ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة والزهري: إذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنمُ القَوْمِ قال: نفشت غنم في حرث قوم. قال الزهري: والنفش لا يكون إلا ليلاً, فقَضى داود أن يأخذ الغنم, ففهمها الله سليمان, قال: فلما أخبر بقضاء داود, قال: لا, ولكن خذوا الغنم, ولكم ما خرج من رسلها وأولادها وأصوافها إلى الحول.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن معمر, عن قتادة, في قوله: إذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنمُ القَوْمِ قال: في حرث قوم. قال معمر: قال الزهري: النفش لا يكون إلا بالليل, والهمل بالنهار. قال قَتادة: فقضي أن يأخذوا الغنم, ففهمها الله سليمان, ثم ذكر باقي الحديث نحو حديث عبد الأعلى.

18668ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَدَاوُدَ وَسُلَيْمانَ إذْ يَحْكُمانِ فِي الحَرْثِ إذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنمُ القَوْمِ... الآيتين, قال: انفلت غنم رجل على حرث رجل فأكلته, فجاء إلى داود, فقضى فيها بالغنم لصاحب الحرث بما أكلت وكأنه رأى أنه وجه ذلك. فمرّوا بسليمان, فقال: ما قضى بينكم نبيّ الله؟ فأخبروه, فقال: ألا أقضي بينكما عسى أن ترضيا به؟ فقالا: نعم. فقال: أما أنت يا صاحب الحرث, فخذ غنم هذا الرجل فكن فيها كما كان صاحبها, أصب من لبنها وعارضتها وكذا وكذا ما كان يصيب, واحرث أنت يا صاحب الغنم حرث هذا الرجل, حتى إذا كان حرثه مثله ليلة نفشت فيه غنمك فأعطه حرثه وخذ غنمك فذلك قول الله تبارك وتعالى: وَدَاوُدَ وَسُلَيْمانَ إذْ يَحْكُمانِ فِي الحَرْثِ إذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنمُ القَوْمِ. وقرأ حتى بلغ قوله: وكُلاّ آتَيْنا حُكْما وَعِلْما.

18669ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن عطاء الخراساني, عن ابن عباس, في قوله: إذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنمُ القَوْمِ قال: رعت.

18670ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: النفش: الرعية تحت الليل.

18671ـ قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن الزهري, عن حرام بن محيصة بن مسعود, قال: دخلت ناقة للبراء بن عازب حائطا لبعض الأنصار

فأفسدته, فرفُع ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال: إذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنمُ القَوْمِ فقضى على البراء بما أفسدته الناقة, وقال: «عَلى أصحَابِ المَاشِيَةِ حِفْظُ المَاشِيَةِ باللّيْلِ, وَعَلى أصحَابِ الحَوَائِطِ حِفْظُ حِيطانِهِمْ بالنّهارِ».

قال الزهري: وكان قضاء داود وسليمان في ذلك أن رجلاً دخلت ما شيته زرعا لرجل فأفسدته, ولا يكون النفوش إلا بالليل, فارتفعا إلى داود, فقضى بغنم صاحب الغنم لصاحب الزرع, فانصرفا, فمرّا بسليمان, فقال: بماذا قضى بينكما نبيّ الله؟ فقالا: قضى بالغنم لصاحب الزرع. فقال: إن الحكم لعلى غير هذا, انصرفا معي فأتى أباه داود, فقال: يا نبيّ الله, قضيت على هذا بغنمه لصاحب الزرع؟ قال نعم. قال: يا نبيّ الله, إن الحكم لعلى غير هذا. قال: وكيف يا نُبيّ الله؟ قال: تدفع الغنم إلى صاحب الزرع فيصيب من ألبانها وسمُونها وأصوافها, وتدفع الزرع إلى صاحب الغنم يقوم عليه, فإذا عاد الزرع إلى حالة التي أصابته الغنم عليها رُدّت الغنم على صاحب الغنم ورُدّ الزرع إلى صاحب الزرع. فقال داود: لا يقطع الله فَمَك فقضى بما قضى سليمان. قال الزهريّ: فذلك قوله: وَدَاوُدَ وَسُلَيْمانَ إذْ يَحْكُمانِ فِي الحَرْثِ... إلى قوله: حُكْما وَعِلْما.

18672ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, وعليّ بن مجاهد, عن محمد بن إسحاق, قال: فحدثني من سمع الحسن يقول: كان الحكم بما قضى به سليمان, ولم يعنّف الله داود في حكمه.

وقوله: وَسَخّرْنا مَعَ دَاوُدَ الجِبالَ يُسَبّحْنَ والطّيْرَ يقول تعالى ذكره: وسخرنا مع داود الجبال والطير يسبحن معه إذا سبح.

وكان قَتادة يقول في معنى قوله: يُسَبّحْنَ في هذا الموضع ما:

18673ـ حدثنا به بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله: وَسَخّرْنا مَعَ دَاوُدَ الجبالَ يُسَبّحْنَ والطّيْرَ: أي يصلين مع داود إذا صلى.

وقوله: وكُنّا فاعِلِينَ يقول: وكنا قد قضينا أنا فاعلو ذلك, ومسخروا الجبال والطير في أمّ الكتاب مع داود عليه الصلاة والسلام.

الآية : 80

القول في تأويل قوله تعالى: {وَعَلّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لّكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وعلمنا داود صنعة لَبوس لكم, واللّبوس عند العرب: السلاح كله, درعا كان أو جَوْشنا أو سيفا أو رمحا, يدلّ على ذلك قول الهُذليّ:

وَمَعِي لَبُوسٌ لِلّبِيسِ كأنّهُرَوْقٌ بِجَبْهَةِ ذِي نِعاجٍ مُجْفِلِ

وإنما يصف بذلك رمحا. وأما في هذا الموضع فإن أهل التأويل قالوا: عني الدروع. ذكر من قال ذلك:

18674ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَعَلّمْناهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ.... الآية, قال: كانت قبل داود صفائح, قال: وكان أوّل من صنع هذا الحلق وسرد داود.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة: وَعَلّمْناهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ قال: كانت صفائح, فأوّل من سَرَدَها وحَلّقها داود عليه السلام.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: لِتُحْصِنَكُمْ فقرأ ذلك أكثر قرّاء الأمصار: «لِيُحْصِنَكُمْ» بالياء, بمعنى: ليحصنكم اللّبوس من بأسكم, ذَكّروه لتذكير اللّبوس. وقرأ ذلك أبو جعفر يزيد بن القعقاع: لِتُحْصِنَكُمْ بالتاء, بمعنى: لتحصنكم الصنعة, فأنث لتأنيث الصنعة. وقرأ شيبة بن نصاح وعاصم بن أبي النّجود: «لِنُحْصِنَكُمْ» بالنون, بمعنى: لنحصنكم نحن من بأسكم.

قال أبو جعفر: وأولى القراءات في ذلك بالصواب عندي قراءة من قرأه بالياء, لأنها القراءة التي عليها الحجة من قرّاء الأمصار, وإن كانت القراءات الثلاث التي ذكرناها متقاربات المعاني وذلك أن الصنعة هي اللبوس, واللّبوس هي الصنعة, والله هو المحصن به من البأس, وهو المحصن بتصيير الله إياه كذلك. ومعنى قوله: «لِيُحْصِنَكُمْ» ليحرزَكم, وهو من قوله: قد أحصن فلان جاريته. وقد بيّنا معنى ذلك بشواهده فيما مضى قبل. والبأس: القتال, وعلّمنا داود صنعة سلاح لكم ليحرزكم إذا لبستموه ولقيتم فيه أعداءكم من القتل.

وقوله: فَهَلْ أنْتُمْ شاكِرونَ يقول: فهل أنتم أيها الناس شاكروا الله على نعمته عليكم بما علّمكم من صنعة اللبوس المحصِن في الحرب وغير ذلك من نعمه عليكم, يقول: فاشكروني على ذلك.

الآية : 81

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلِسُلَيْمَانَ الرّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأرْضِ الّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنّا بِكُلّ شَيْءٍ عَالِمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: وَ سخرنا لِسُلَيْمانَ بن داود الرّيحَ عاصِفَةً وعصوفُها: شدة هبوبها تَجْرِي بأمْرِهِ إلى الأرْضِ التي بارَكْنا فِيها يقول: تجري الريح بأمر سليمان إلَى الأرْضِ الّتي بَارَكْنا فيها يعني: إلى الشام وذلك أنها كانت تجري بسليمان وأصحابه إلى حيث شاء سليمان, ثم تعود به إلى منزله بالشام, فلذلك قيل: إلى الأرْضِ التي بارَكْنا فِيها. كما:

18675ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سَلمة, عن محمد بن إسحاق, عن بعض أهل العلم, عن وهب بن منبه قال: كان سليمان إذا خرج إلى مجلسه عكفت عليه الطير, وقام له الجنّ والإنس حتى يجلس إلى سريره. وكان امرءا غزّاءً, قلما يقعد عن الغزو, ولا يسمع في ناحية من الأرض بملك إلا أتاه حتى يذله. وكان فيما يزعمون إذا أراد الغزو, أمر بعسكره فضَرب له بخشب, ثم نصب له على الخشب, ثم حمل عليه الناس والدوابّ وآلة الحرب كلها, حتى إذا حمل معه ما يريد أمر العاصف من الريح, فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتملته, حتى إذا استقلت أمر الرّخاء, فمدّته شهرا في روحته وشهرا في غدوته إلى حيث أراد, يقول الله عزّ وجلّ: فَسَخّرْنا لَهُ الرّيحَ تَجْرِي بأمْرِهِ رُخاءً حَيْثُ أصَابَ قال: وَلِسُلَيْمانَ الرّيحَ غُدُوّها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ. قال: فذكر لي أن منزلاً بناحية دجلة مكتوب فيه كتاب كتبه بعض صحابة سليمان, إما من الجنّ وإما من الإنس. نحن نزلناه وما بنيناه, ومبنيّا وجدناه, غدونا من إصطخر فِقلناه, ونحن راحلون منه إن شاء الله قائلون الشام.

18676ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَلِسُلَيْمانَ الرّيحَ عاصِفَةً... إلى قوله: وكُنّا لَهُمْ حافِظِينَ قال: ورث الله سليمان داود, فورثه نبوّته وملكه وزاده على ذلك أن سخر له الريح والشياطين.

18677ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: وَلِسُلَيْمانَ الرّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بأمْرِهِ قال: عاصفة شديدة تَجْرِي بأمْرِهِ إلى الأرْضِ التي بَارَكْنا فيها قال: الشام.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: وَلِسُلَيْمانَ الرّيحَ فقرأته عامة قرّاء الأمصار بالنصب على المعنى الذي ذكرناه. وقرأ ذلك عبد الرحمن الأعرج: «الرّيحُ» رفعا بالكلام في سليمان على ابتداء الخبر عن أن لسليمان الريح.

قال أبو جعفر: والقراءة التي لا أستجيز القراءة بغيرها في ذلك ما عليه قرّاء الأمصار لإجماع الحجة من القرّاء عليه.

وقوله: وكُنّا بِكُلّ شَيْءٍ عالِمِينَ يقول: وكنا عالمين بأن فعلنا ما فعلنا لسليمان من تسخيرنا له وإعطائنا ما أعطيناه من الملك وصلاح الخلق, فعلى علم منا بموضع ما فعلنا به من ذلك فعلنا, ونحن عالمون بكلّ شيء لا يخفي علينا منه شيء.

الآية : 82

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمِنَ الشّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ وَكُنّا لَهُمْ حَافِظِينَ }.

يقول تعالى ذكره: وسخرنا أيضا لسليمان من الشياطين من يغوصون له في البحر, ويعملون عملاً دون ذلك من البنيان والتماثيل والمحاريب. وكُنّا لَهُمْ حافِظِينَ يقول: وكنا لأعمالهم ولأعدادهم حافظين, لا يئودنا حفظ ذلك كله.

الآية : 83 و 84

القول في تأويل قوله تعالى: {وَأَيّوبَ إِذْ نَادَىَ رَبّهُ أَنّي مَسّنِيَ الضّرّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مّعَهُمْ رَحْمَةً مّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىَ لِلْعَابِدِينَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واذكر أيوب يا محمد, إذ نادى ربه وقد مسه الضرّ والبلاء. رَبّ إنّي مَسّنِيَ الضّرّ وأنْتَ أرْحَمُ الرّاحِمِين فَاسْتَجَبْنا لَهُ يقول تعالى ذكره: فاستجبنا لأيوب دعاءه إذ ناداناه, فكشفنا ما كان به من ضرّ وبلاء وجهد. وكان الضرّ الذي أصابه والبلاء الذي نزل به, امتحانا من الله له واختبارا. وكان سبب ذلك كما:

18678ـ حدثني محمد بن سهل بن عسكر البخاريّ, قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم بن هشام, قال: ثني عبد الصمد بن معقل, قال: سمعت وهب بن منبه يقول: كان بدء أمر أيوب الصديق صلوات الله عليه, أنه كان صابرا نعم العبد. قال وهب: إن لجبريل بين يدي الله مقاما ليس لأحد من الملائكة في القُربة من الله والفضيلة عنده, وإن جبريل هو الذي يتلقى الكلام, فإذا ذكر الله عبدا بخير تلقاه جبرائيل منه ثم تلقاه ميكائيل, وحَوْله الملائكة المقرّبون حافين من حول العرش. وشاع ذلك في الملائكة المقرّبين, صارت الصلاة على ذلك العبد من أهل السموات, فإذا صلت عليه ملائكة السموات, هبطت عليه بالصلاة إلى

ملائكة الأرض. وكان إبليس لا يُحْجَب بشيء من السموات, وكان يقف فيهنّ حيث شاء ما أرادوا, ومن هنالك وصل إلى آدم حين أخرجه من الجنة. فلم يزل على ذلك يصعد في السموات, حتى رفع الله عيسى ابن مريم, فحُجِب من أربع, وكان يصعد في ثلاث. فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم, حُجِب من الثلاث الباقية, فهو محجوب هو وجميع جنوده من جميع السموات إلى يوم القيامة إلاّ مَنِ اسْتَرَقَ السّمْعَ فأتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ, ولذلك أنكرت الجنّ ما كانت تعرف حين قالت: وَأنّا لَمَسْنا السّماءَ فَوَجَدْناها مُلِئَتْ حَرَسا شَدِيدا... إلى قوله: شِهابا رَصَدا. قال وهب: فلم يَرُعْ إبليس إلا تجاوبُ ملائكتها بالصلاة على أيوب, وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه. فلما سمع إبليس صلاة الملائكة, أدركه البغي والحسد, وصعد سريعا حتى وقف من الله مكانا كان يقفه, فقال: يا إلهي, نظرت في أمر عبدك أيوب, فوجدته عبدا أنعمت عليه فشكرك, وعافَيْتَهُ فحمدك, ثم لم تجرّبه بشدة ولم تجرّبه ببلاء, وأنا لك زعيم لئن ضربته بالبلاء ليكفرنّ بك ولينسينك وليعبدنّ غيرك قال الله تبارك وتعالى له: انطلق, فقد سلّطتك على ماله, فإنه الأمر الذي تزعم أنه من أجله يشكرني, ليس لك سلطان على جسده ولا على عقله فانقضّ عدوّ الله, حتى وقع على الأرض, ثم جمع عفاريت الشياطين وعظماءهم, وكان لأيوب البَثَنِية من الشام كلها, بما فيها من شرقها وغربها, وكان له بها ألف شاة برعاتها, وخمس مئة فدان يتبعها خمس مئة عبد, لكل عبد امرأة وولد ومال, وحمل آلة كل فدان أتانٌ, لكل أتان ولد من اثنين وثلاثة وأربعة وخمسة وفوق ذلك. فلما جمع إبليس الشياطين, قال لهم: ماذا عندكم من القوّة والمعرفة؟ فإني قد سُلطت على مال أيوب, فهي المصيبة الفادحة, والفتنة التي لا يصبر عليها الرجال. قال عفريت من الشياطين: أعطيتُ من القوّة ما إذا شئت تحوّلت إعصارا من نار فأحرقت كل شيء آتي عليه. فقال له إبليس: فأت الإبل ورُعاتَها. فانطلق يؤمّ الإبل, وذلك حين وضعت رؤسها وثبتت في مراعيها, فلم تشعر الناس حتى ثار من تحت الأرض إعصار من نار تنفخ منها أرواح السّموم, لا يدنو منها أحد إلا احترق, فلم يزل يُحْرقها ورعاتَها حتى أتى على آخرها فلما فرغ منها تمثل إبليس على قَعُود منها براعيها, ثم انطلق يؤم أيوب, حتى وجده قائما يصلي, فقال: يا أيوب قال: لبيك قال: هل تدري ما الذي صنع ربك الذي اخترت وعبدت ووحدت بإبلك ورعاتها؟ قال أيوب: إنها ماله أعارنيه, وهو أولى به إذا شاء نزعه, وقديما ما وطّنْت نفسي ومالي على الفناء. قال إبليس: وإن ربك أرسل عليها نارا من السماء فاحترقت ورعاتَها, حتى أتى على آخر شيء منها ومن رعاتها, فتركت الناس مبهوتين, وهم وقوف عليها يتعجبون, منهم من يقول: ما كان أيوب يعبد شيئا وما كان إلا في غرور ومنهم من يقول: لو كان إله أيوب يقدر على أن يمنع من ذلك شيئا لمنه وليه, ومنهم من يقول: بل هو فَعَل الذي فعل ليشمت به عدوّه وليفجع به صديقه. قال أيوب: الحمد لله حين أعطاني وحين نزع مني, عُرْيانا خرجت من بطن أمي, وعريانا أعود في التراب, وعريانا أحشر إلى الله, ليس ينبغي لك أن تفرح حين أعارَك الله وتجزع حين قبض عاريّته, الله أولى بك وبما أعطاك, ولو علم الله فيك أيها العبد خيرا لنقل روحك مع ملك الأرواح, فآجرني فيك وصرت شهيدا, ولكنه علم منك شرّا

فأخرك من أجله فعرّاك الله من المصيبة وخلصك من من البلاء كما يخلص الزّوان من القمح الخلاص.

ثم رجع إبليس إلى أصحابه خاسئا ذليلاً, فقال لهم: ماذا عندكم من القوّة, فإني لم أكْلِم قلبه؟ قال عفريت من عظمائهم: عندي من القوّة ما إذا شئت صِحت صوتا لا يسمعه ذو روح إلا خرجت مهجة نفسه. قال له إبليس: فأت الغنم ورعاتَها فانطلق يؤمّ الغنم ورعاتها, حتى إذا وَسَطها صاح صوتا جَثَمَتْ أمواتا من عند آخرها ورعاءَها. ثم خرج إبليس متمثلاً بقَهْرمان الرّعاء, حتى إذا جاء أيوب وجده وهو قائم يصلي, فقال له القول الأوّل, وردّ عليه أيوب الردّ الأوّل. ثم إن إبليس رجع إلى أصحابه, فقال لهم: ماذا عندكم من القوّة, فإني لم أكْلِم قلب أيوب؟ فقال عفريت من عظمائهم: عندي من القوّة إذا شئت تحوّلت ريحا عاصفا تنسف كل شيء تأتي عليه حتى لا أبقي شيئا. قال له إبليس: فأت الفدادين والحرث فانطلق يؤمهم, وذلك حين قَرّبوا الفَدَادين وأنشئوا في الحرث, والأتن وأولادها رُتوع, فلم يشعروا حتى هبت ريح عاصف تنسف كل شيء من ذلك حتى كأنه لم يكن. ثم خرج إبليس متمثلاً بقهْرمان الحَرْث, حتى جاء أيوب وهو قائم يصلي, فقال له مثل قوله الأوّل, وردّ عليه أيوب مثل ردّه الأوّل.

فلما رأى إبليس أنه قد أفنى ماله ولم ينجح منه, صعد سريعا, حتى وقف من الله الموقف الذي كان يقفه فقال: يا إلهي, إن أيوب يرى أنك ما متعته بنفسه وولده, فأنت معطيه المال, فهل أنت مسلطي على ولده؟ فإنها الفتنة المضلّة, والمصيبة التي لا تقوم لها قلوب الرجال, ولا يقوى عليها صبرهم. فقال الله تعالى له: انطلق, فقد سلّطتك على ولده, ولا سلطان لك على قلبه ولا جسده ولا على عقله فانقضّ عدوّ الله جوادا, حتى جاء بني أيوب وهم في قصرهم, فلم يزل يزلزل بهم حتى تداعى من قواعده, ثم جعل يناطح الجُدُر بعضها ببعض, ويرميهم بالخشب والجندل, حتى إذا مَثّل بهم كل مُثْلة, رفع بهم القصر, حتى إذا أقّلة بهم فصاروا فيه منكّسين, انطلق إلى أيوب متمثلاً بالمعلّم الذي كان يعلمهم الحكمة, وهو جريج, مشدوخ الوجه يسيل دمه ودماغه متغير لا يكاد يعرف من شدّة التغير والمُثْلة التي جاء متمثلاً فيها. فلما نظر إليه أيوب هاله وحزن ودمعت عيناه, وقال له: يا أيوب, لو رأيت كيف أفلتّ من حيث أفلت والذي رمانا به من فوقنا ومن تحتنا, ولو رأيت بنيك كيف عُذّبوا وكيف مُثّل بهم وكيف قُلِبوا فكانوا منكّسين على رؤوسهم تسيل دماؤهم ودماغهم من أنوفهم وأجوافهم وتقطر من أشفارهم, ولو رأيت كيف شُقّتْ بطونهم فتناثرت أمعاؤهم, ولو رأيت كيف قُذِفوا بالخشب والجندل يشدخ دماغهم, وكيف دقّ الخشب عظامهم وخرق جلودهم وقطع عصبهم, ولو رأيت العصب عُريانا, ولو رأيت العظام متهشمة في الأجواف, ولو رأيت الوجوه مشدوخة, ولو رأيت الجدُرُ تَناطَحُ عليهم, ولو رأيت ما رأيت, قطع قلبك فلم يزل يقول هذا ونحوه, ولم يزل يرقّقه حتى رقّ أيوب فبكي, وقبض قبضة من تراب فوضعها على رأسه, فاغتنم إبليس (الفُرصة منه) عند ذلك, فصعد سريعا بالذي كان من جزع أيوب مسرورا به. ثم لم يلبث أيوب أن فاء وأبصر, فاستغفر, وصَعَد قرناؤه من الملائكة بتوبة منه, فبدروا إبليس إلى الله, فوجدوه قد علم بالذي رُفع إليه من توبة أيوب,

فوقف إبليس خازيا ذليلاً, فقال: يا إلهي, إنما هوّن على أيوب خَطَر المال والولد أنه يرى أنك ما متعته بنفسه فأنت تعيد له المال والولد, فهل أنت مسلِّطي على جسده؟ فأنا لك زعيم لئن ابتليته في جسده لينسينك, وليكفرنّ بك, وليَجْحَدنّكّ نعمتك قال الله: انطلق فقد سلطتك على جسده, ولكن ليس لك سلطان على لسانه ولا على قلبه ولا على عقله.

فانقضّ عدوّ الله جوادا, فوجد أيوب ساجدا, فعجّل قبل أن يرفع رأسه, فأتاه من قِبَل الأرض في موضع وجهه, فنفخ في منخره نفخة اشتعل منها جسده, فترهّل, ونبتت (به) ثآليل مثل أليات الغنم, ووقعت فيه حِكّة لا يملكها, فحكّ بأظفاره حتى سقطت كلها, ثم حكّ بالعظام, وحكّ بالحجارة الخشنة وبقطع المُسوح الخشنة, فلم يزل يحكّه حتى نَفِد لحمه وتقطع. ولما نَغِل جلد أيوب وتغير وانتن, أخرجه أهل القرية, فجعلوه على تلّ وجعلوا له عريشا. ورفضه خلق الله غيرَ امرأته, فكانت تختلف إليه بما يُصلحه ويلزمه. وكان ثلاثة من أصحابه اتبعوه على دينه فلما رأوا ما ابتلاه الله به رفضوه من غير أن يتركوا دينه واتهموه, يُقال لأحدهم بلدد, وأليفز, وصافر. قال: فانطلق إليه الثلاثة وهو في بلائه, فبكّتوه فلما سمع منهم أقبل على ربه, فقال أيوب صلى الله عليه وسلم: ربّ لأيّ شيء خلقتني؟ لو كنتَ إذْ كرهتني في الخير تركتني فلم تخلقني يا ليتني كنت حَيْضة ألقتني أمي ويا ليتني مِتّ في بطنها فلم أعرف شيئا ولم تعرفني ما الذنب الذي أذنبت لم يذنبه أحد غيري؟ وما العمل الذي عملت فصرفت وجهك الكريم عني؟ لو كنت أمتني فألحقتني بآبائي فالموت كان أجمل بي, فأسوة لي بالسلاطين الذي صُفّت من دونهم الجيوش, يضربون عنهم بالسيوف, بخلاً بهم عن الموت وحرصا على بقائهم, أصبحوا في القبور جاثمين, حتى ظنوا أنهم سيخلّدون. وأسوة لي بالملوك الذين كنزوا الكنوز, وطَمروا المطامير, وجمعوا الجموع, وظنوا أنهم سيخلدون. وأسوة لي بالجبارين الذين بنوا المدائن والحصون, وعاشوا فيها المئين من السنين, ثم أصبحت خرابا, مأوى للوحوش ومثنى للشياطين.

قال أليفز التيماني: قد أعيانا أمرك يا أيوب, إن كلّمناك فما نرجو للحديث منك موضعا, وإن نسكت عنك مع الذي نرى فيك من البلاء, فذلك علينا. قد كنا نرى من أعمالك أعمالاً كنا نرجو لك عليها من الثواب غير ما رأينا, فإنما يحصد امرؤ ما زرع ويُجْزَى بما عمل. أشهد على الله الذي لا يُقْدر قدر عظمته ولا يُحْصَى عدد نعمه, الذي ينزل الماء من السماء فيحيي به الميت ويرفع به الخافض ويقوّي به الضعيف, الذي تضلّ حكمة الحكماء عند حكمته وعلم العلماء عند علمه حتى تراهم من العيّ في ظلمة يموجون, أن من رجا معونة الله هو القويّ, وإن من توكل عليه هو المكفيّ, هو الذي يكسر ويجبر ويجرح ويداوي

قال أيوب: لذلك سكتّ فعَضِضْت على لساني ووضعت لسوء الخدمة رأسي لأني علمت أن عقوبته غيرت نور وجه ي, وأن قوّته نزعت قوّة جسدي, فأنا عبده, ما قضي عليّ أصابني, ولا قوّة لي إلا ما حمل عليّ لو كانت عظامي من حديد وجسدي من نُحاس وقلبي من حجارة, لم أطق هذا الأمر, ولكن هو ابتلاني وهو يحمله عني أتيتموني غِضابا, رهبتم قبل

أن تسترهبوا, وبكيتم من قبل أن تُضربوا, كيف بي لو قلت لكم: تصدّقوا عني بأموالكم لعلّ الله أن يخلصني, أو قرّبوا عني قربانا لعلّ الله أن يتقبله مني ويرضى عني؟ إذا استيقظت تمنّيت النوم رجاء أن أستريح, فإذا نمت كادت تجود نفسي. تقطّعت أصابعي, فإن لأرفع اللقمة من الطعام بيديّ جميعا فما تبلغان فمي إلا على الجهد مني, تساقطت لَهَواتي ونخر رأسي, فما بين أذنيّ من سداد, حتى إن إحداهما لُترى من الأخرى, وإن دماغي ليسيل من فمي. تساقط شعري عني, فكأنما حُرّق بالنار وجهي, وحدقتاي هما متدليتان على خدي, ورمّ لساني حتى ملأ فمي, فما أدخل فيه طعاما إلا غصني, وورمت شفتاي حتى غطّت العليا أنفي والسفلى ذقني. تقطّعت أمعائي في بطني, فإني لأدخل الطعام فيخرج كما دخل, ما أحسه ولا ينفعني. ذهبت قوّة رجليّ, فكأنهما قِرْبتا ماء مُلئتا, لا أطيق حملهما. أحمل لحافي بيديّ, وأسناني فما أطيق حمله حتى يحمله معي غيري. ذهب المال فصرت أسأل بكفي, فيطعمني من كنت أعوله اللقمةَ الواحدة, فيمّنها عليّ ويعيّرني. هلك بَنيّ وبناتي, ولو بقي منهم أحد أعانني على بلائي ونفعني. وليس العذاب بعذاب الدنيا, إنه يزول عن أهلها, ويموتون عنه, ولكن طوبَى لمن كانت له راحة في الدار التي لا يموت أهلها, ولا يتحوّلون عن منازلهم, السعيد من سعد هنالك والشقيّ من شقي فيها

قال بلدد: كيف يقوم لسانك بهذا القول وكيف تفصِح به؟ أتقول إن العدْل يجور, أم تقول إن القويّ يضعف؟ ابْكِ على خطيئتك, وتضرّع إلى ربك عسى أن يرحمك ويتجاوز عن ذنبك, وعسى إن كنت بريئا أن يجعل هذا لك ذخرا في آخرتك وإن كان قلبك قد قسا فإن قولنا لن ينفعك, ولن يأخذ فيك هيهات أن تنبت الآجام في المفاوز, وهيهات أن ينبت البَرْديّ في الفلاة من توكل على الضعيف كيف يرجو أن يمنعه, ومن جحد الحقّ كيف يرجو أن يوفّىَ حقه؟

قال أيوب: إني لأعلم أن هذا هو الحقّ, لن يَفْلُج العبد على ربه ولا يطيق أن يخاصمه, فأيّ كلام لي معه وإن كان إليّ القوّة؟ هو الذي سَمَك السماء فأقامها وَحْده, وهو الذي يكشطها إذا شاء فتنطوي له, وهو الذي سطح الأرض فدحاها وحده, ونصب فيها الجبال الراسيات, ثم هو الذي يزلزلها من أصولها حتى تعود أسافلها أعاليها وإن كان فيّ الكلام, فأيّ كلام لي معه؟ من خلق العرش العظيم بكلمة واحدة, فحشاه السموات والأرض وما فيهما من الخلق, فوسعه وهو في سعة واسعة, وهو الذي كلّم البحار ففهمت قوله وأمرها فلم تعْد أمره, وهو الذي يفقه الحِيتان والطير وكل دابّة, وهو الذي يكلم الموتى فيحييهم قوله, ويكلم الحجارة فتفهم قوله ويأمرها فتطيعه.

قال أليفز: عظيم ما تقول يا أيوب, إن الجلود لتقشعرّ من ذكر ما تقول, إن ما أصابك ما أصابك بغير ذنب أذنبته, مثل هذه الحدّة وهذا القول أنزلك هذه المنزلة عظُمت خطيئتك, وكثر طلابك, وغَصَبْت أهل الأموال على أموالهم, فلبست وهم عراة, وأكلتَ وهم جياع, وحبست عن الضعيف بابك, وعن الجائع طعامك, وعن المحتاج معروفك, وأسررت ذلك وأخفيته في بيتك, وأظهرت أعمالاً كنا نراك تعملها, فظننت أن الله لا يَجزيك إلا على

ما ظهر منك, وظنت أن الله لا يطلع على ما غيبت في بيتك, وكيف لا يطّلع على ذلك وهو يعلم ما غيّبت الأرضون وما تحت الظلمات والهواء؟

قال أيوب صلى الله عليه وسلم: إن تكلمتُ لم ينفعني الكلام, وإن سكتّ لم تعذروني قد وقع عليّ كَيْدي, وأسخطت ربي بخطيئتي, وأشمتّ أعدائي, وأمكنتهم من عنقي, وجعلتني للبلاء غَرَضا, وجعلتني للفتنة نُصْبا لم تنفسني مع ذلك, ولكن أتبعني ببلاء على إثر بلاء. ألم أكن للغريب دارا, وللمسكين قرارا, ولليتيم وليّا, وللأرملة قَيّما؟ ما رأيت غريبا إلا كنت له دارا مكان داره وقرارا مكان قراره, ولا رأيت مسكينا إلا كنت له مالاً مكان ماله وأهلاً مكان أهله, وما رأيت يتيما إلا كنت له أبا مكان أبيه, وما رأيت أيّما إلا كنت لها قيّما ترضَى قيامه. وأنا عبد ذليل, إن أحسنت لم يكن لي كلام بإحسان, لأن المنّ لربي وليس لي, وإن أسأت فبيده عقوبتني وقد وقع عليّ بلاء لو سلّطته على جبل ضعف عن حمله, فكيف يحمله ضعفي؟

قال أليفز: أتحاجّ الله يا أيوب في أمره, أم تريد أن تناصفه وأنت خاطىء, أو تبرئها وأنت غير بريء؟ خلق السموات والأرض بالحقّ, وأحصى ما فيهما من الخلق, فكيف لا يعلم ما أسررت, وكيف لا يعلم ما عملت فيجزيَك به؟ وضع الله ملائكة صفوفا حول عرشه وعلى أرجاء سمواته, ثم احتجب بالنور, فأبصارهم عنه كليلة, وقوّتهم عنه ضعيفة, وعزيزهم عنه ذليل, وأنت تزعم أن لو خاصمك وأدلي إلى الحكم معك, وهل تراه فتناصفه؟ أم هل تسمعه فتحاوره؟ قد عرفنا فيك قضاءه, إنه من أراد أن يرتفع وضعه, ومن اتّضع له رفعه.

قال أيوب صلى الله عليه وسلم: إن أهلكني فمن ذا الذي يعرض له في عبده ويسأله عن أمره؟ لا يردّ غضبه شيء إلا رحمته, ولا ينفع عبده إلا التضرّع له قال: ربّ أقبل عليّ برحمتك, وأعلمني ما ذنبي الذي أذنبت أو لأيّ شيء صرفت وجهك الكريم عني, وجعلتني لك مثل العدوّ وقد كنت تكرمني؟ ليس يغيب عنك شيء تُحصى قَطْر الأمطار وورق الأشجار وذرّ التراب, أصبح جلدي كالثوب العفن, بأيه أمسكت سقط في يدي, فهب لي قُربانا من عندك, وفرجا من بلائي, بالقدرة التي تبعث موتى العباد وتنشر بها ميت البلاد, ولا تهلكني بغير أن تعلمني ما ذنبي, ولا تُفسد عمل يديك وإن كنت غنيّا غني ليس ينبغي في حكمك ظلم, ولا في نقمتك عَجَل, وإنما يحتاج إلى الظلم الضعيف, وإنما يعجل من يخاف الفوت ولا تذكرني خطئي وذنوبي, اذكر كيف خلقتني من طين فجعلتني مضغة, ثم خلقت المضغة عظاما, وكسوت العظام لحما وجلدا, وجعلت العصب والعروق لذلك قَواما وشدّة, وربّيتني صغيرا, ورزقتني كبيرا, ثم حفظت عهدك وفعلت أمرك فإن أخطأت فبين لي ولا تهلكني غمّا, وأعلمني ذنبي فإن لم أرضك فأنا أهل أن تعذّبني, وإن كنت من بين خلقك تحصي عليّ عملي, وأستغفرك فلا تغفر لي. إن أحسنت لم أرفع رأسي, وإن أسأت لم تبلعني ريقي ولم تُقِلني عثرتي, وقد ترى ضعفي تحتك وتضرّعي لك, فلم خلقتني؟ أو لم أخرجتني من بطن أمي؟ لو كنت كمن لم يكن لكا ان خيرا لي, فليست الدنيا عندي بخطر لغضبك, وليس جسدي يقوم بعذابك, فارحمني وأذقني طعم العافية من قبل أن أصير إلى ضيق القبر وظلمة الأرض وغمّ الموت

قال صافر: قد تكلمت يا أيوب وما يطيق أحد أن يحبس فمك تزعم أنك بريء, فهل ينفعك إن كنت بريئا وعليك من يحصي عملك؟ وتزعم أنك تعلم أن الله يغفر لك ذنوبك, هل تعلم سَمْك السماء كم بعده؟ أم هل تعلم عمق الهواء كم بعده؟ أم هل تعلم أيّ الأرض أعرضُها؟ أم عندك لها من مقدار تقدرها به؟ أم هل تعلم أيّ البحر أعمقه؟ أم هل تعلم بأيّ شيء تحبسه؟ فإن كنت تعلم هذا العلم وإن كنت لا تعلمه, فإن الله خلقه وهو يحصيه, لو تركت كثرة الحديث وطلبت إلى ربك رجوتَ أن يرحمك, فبذلك تستخرج رحمته, وإن كنت تقيم على خطيئتك وترفع إلى الله يديك عند الحاجة وأنت مُصِرّ على ذنبك إصرار الماء الجاري في صَبَب لا يستطاع إحباسه, فعند طلب الحاجات إلى الرحمن تسودّ وجوه الأشرار وتظلم عيونهم, وعند ذلك يُسرّ بنجاح حوائجهم الذين تركوا الشهوات تزينا بذلك عند ربهم, وتقدّموا في التضرّع, ليستحقوا بذلك الرحمة حين يحتاجون إليها, وهم الذين كابدوا الليل واعتزلوا الفرش وانتظروا الأسحار.

قال أيوب: أنتم قوم قد أعجبتكم أنفسكم, وقد كنت فيما خلا والرجال يُوَقِّرونني, وأنا معروف حقي, مُنْتَصِفٌ من خصمي, قاهر لمن هو اليوم يقهرني, يسألني عن علم غيب الله لا أعلمه, ويسألني, فلعمري ما نصح الأخ لأخيه حين نزل به البلاء كذلك, ولكنه يبكي معه. وإن كنت جادّا فإن عقلي يقصر عن الذي تسألني عنه, فسل طير السماء هل تخبرك؟ وسل وحوش الأرض هل تَرْجِع إليك؟ وسل سباع البرية هل تجيبك؟ وسل حيتان البحر هل تصف لك كلَ ما عددت؟ تعلم أنّ صنع هذا بحكمته وهيأه بلطفه. أما يعلم ابن آدم من الكلام ما سمع بأذنيه وما طعم بفيه وما شمّ بأنفه؟ وأن العلم الذي سألت عنه لا يعلمه إلا الله الذي خلقه, له الحكمة والجبروت وله العظمة واللطف وله الجلال والقدرة؟ إن أفسد فمن ذا الذي يصلح؟ وإن أعجم فمن ذا الذي يُفْصِح؟ إن نظر إلى البحار يبست من خوفه, وإن أذن لها ابتلعت الأرض, فإنما يحملها بقدرته هو الذي تبهت الملوك عند ملكه, وتطيش العلماء عند علمه, وتعيا الحكماء عند حكمته, ويخسأ المبطلون عند سلطانه. هو الذي يذكر المنسيّ, وينسى المذكور, ويجري الظلمات والنور. هذا علمي, وخلقه أعظم من أن يحصيه عقلي, وعظمته أعظم من أن يقدرها مثلي.

قال بِلدد: إن المنافق يُجْزَى بما أسرّ من نفاقه, وتضلّ عنه العلانية التي خادع بها, وتوكل على الجزاء بها الذي عملها, ويهلك ذكره من الدنيا ويظلم نوره في الآخرة, ويوحش سبيله, وتوقعه في الأحبولة سريرته, وينقطع اسمه من الأرض, فلا ذكر فيها ولا عمران, لا يرثه ولد مصلحون من بعده, ولا يبقى له أصل يعرف به, ويبهت من يراه, وتقف الأشعار عند ذكره

قال أيوب: إن أكن غويّا فعليّ غواي, وإن أكن بريّا فأيّ منعة عندي؟ إن صرخت فمن ذا الذي يُصْرخني؟ وإن سكت فمن ذا الذي يَعْذِرني؟ ذهب رجائي, وانقضت أحلامي, وتنكرت لي معارفي دعوت غلامي فلم يجبني, وتضرّعت لأمتي فلم ترحمني, وقع عليّ البلاء فرفضوني, أنتم كنتم أشدّ عليّ من مصيبتي. انظروا وابْهَتوا من العجائب التي في جسدي أما سمعتم بما أصابني وما شغلكم عني ما رأيتم بي؟ لو كان عبد يخاصم ربه, رجوت أن أتغلب عند الحكم, ولكن لي ربّا جبارا تعالى فوق

سمواته, وألقاني ها هنا, وهُنْت عليه, لا هو عذرني بعذري, ولا هو أدناني فأخاصم عن نفسي. يسمعني ولا أسمعه ويراني ولا أراه, وهو محيط بي, ولو تجلى لي لذابت كليتاي, وصَعِق روحي, ولو نفسني فأتكلم بملء فمي ونزع الهيبة مني, علمت بأيّ ذنب عذّبني

نودي فقيل: يا أيوب قال: لبيك قال: أنا هذا قد دنوت منك, فقم فأشدد إزارك, وقم مقام جبار, فإنه لا ينبغي لي أن يخاصمني إلا جبار مثلي, ولا ينبغي أن يخاصمني إلا من يجعل الزمام في فم الأسد, والسّخال في فم العنقاء, واللحم في فم التّنين, ويكيل مكيالاً من النور, ويزن مثقالاً من الريح, ويصُر صُرّة من الشمس, ويردّ أمس لغد لقد منّتك نفسك أمرا ما يبلغ بمثل قوّتك, ولو كنت إذ منّتك نفسك ذلك ودعتك إليه, تذكرت أيّ مرام رامت بك أردت أن تخاصمني بغيك, أم أردت أن تحاجّني بخطئك, أم أردت أن تكاثرني بضعفك؟ أين كنت مني يوم خلقت الأرض فوضعتها على أساسها؟ هل علمت بأيّ مقدار قَدَرْتها؟ أم كنت معي تمرّ بأطرافها؟ أم تعلم ما بُعْد زواياها؟ أم على أيّ شيء وضعت أكنافها؟ أبطاعتك حمل الماء الأرض, أم بحكمتك كانت الأرض للماء غطاء؟ أين كنت مني يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لا بعلائق ثبتت من فوقها, ولا يحملها دعائم من تحتها؟ هل يبلغ من حكمتك أن تجري نورها, أو تسير نجومها, ألأ يختلف بأمرك ليلها ونهارها؟ أين كنت مني يوم سجرت البحار وأنبعت الأنهار؟ أقدرتك حبست أمواج البحار على حدودها, أم قدرتك فتحت الأرحام حين بلغت مدتها؟ أين أنت مني يوم صببت الماء على التراب, ونصبت شوامخ الجبال؟ هل لك من ذراع تطيق حملها؟ أم هل تدري كم من مثقال فيها؟ أم أين الماء الذي أنزل من السماء؟ هل تدري أمّ تلده أو أب يولده؟ أحكمتك أحصت القطر وقسمت الأرزاق, أم قدرتك تثير السحاب وتغشيه الماء؟ هل تدري ما أصوات الرعود؟ أم من أيّ شيء لهب البروق؟ هل رأيت عمق البحور؟ أم هل تدري ما بُعد الهواء؟ أم هل خزنت أرواح الأموات؟ أم هل تدري أين خزانة الثلج, أو أين خزائن البر, أم أين جبال البرد؟ أم هل تدري أين خزانة الليل بالنهار, وأين خزانة النهار بالليل, وأين طريق النور, وبأيّ لغة تتكلم الأشجار, وأين خزانة الريح, وكيف تحبسه الأغلاق, ومن جعل العقول في أجواف الرجال, ومن شقّ الأسماع والأبصار, ومن ذلّت الملائكة لملكه وقهر الجبارين بجبروته وقسم أرزاق الدوابّ بحكمته؟ ومن قسم للأسد أرزاقها وعرّف الطير معايشها وعطفها على أفراخها؟ من أعتق الوحش من الخدمة, وجعل مساكنها البرية لا تستأنس بالأصوات ولا تهاب المسلطين؟ أمن حكمتك تفرّعت أفراخ الطير وأولاد الدّوابّ لأمهاتها؟ أم من حكمتك عطفت أمهاتها عليها, حتى أخرجت لها الطعام من بطونها, وآثرتها بالعيش على نفوسها؟ أم من حكمتك يبصر العُقاب, فأصبح في أماكن القتلى؟ أين أنت مني يوم خلقت بهموت, مكانه في منقطع التراب, والوتينان يحملان الجبال والقرى والعمران, آذانهما كأنها شجر الصنوبر الطوال, رؤسهما كأنها آكام الجبال, وعروق أفخاذهما كأنها أوتاد الحديد, وكأن جلودهما فِلَق الصخور, وعظامهما كأنها عَمَد النحاس, هما رأسا خلقي الذين خلقت للقتال, أأنت ملأن جلودهما لحما؟ أم أنت ملأت رؤسهما دماغا؟ أم هل لك في خلقهما من شرك؟ أم لك بالقوّة التي عملتهما يدان؟ أو هل

يبلغ من قوّتك أن تخطم على أنوفهما, أو تضع يدك على رؤسهما, أو تقعد لهما على طريق فتحبسهما, أو تصدّهما عن قوّتهما؟ أين أنت يوم خلقت التّنين ورزقه في البحر ومسكنه في السحاب؟ عيناه تَوَقّدان نارا, ومنخراه يثوران دخانا, أذناه مثل قوس السحاب, يثور منهما لهب كأن إعصار العجاج, جوفه يحترق ونَفَسه يلتهب, وزبده كأمثال الصخور, وكأن صريف أسنانه صوت الصواعق, وكأن نظر عينيه لهب البرق, أسراره لا تدخله الهموم, تمرّ به الجيوش وهو متكىء, لا يفزعه شيء ليس فيه مفصل (زُبَر) الحديد عنده مثل التبن, والنحاس عنده مثل الخيوط, لا يفزع من النّشّابٍ, ولا يحسّ وقع الصخور على جسده, ويضحك من النيازك, ويسير في الهواء كأنه عصفور, ويهلك كلّ شيء يمرّ به ملك الوحوش, وإياه آثرت بالقوّة على خلقي هل أنت آخذه بأحبولتك فرابطه بلسانه أو واضع اللجام في شدقه؟ أتظنه يوفي بعهدك أو يسبح من خوفك؟ هل تحصي عمره أم هل تدري أجله أو تفوّت رزقه؟ أم هل تدري ماذا خرّب من الأرض, أم ماذا يخرّب فيما بقي من عمره؟ أتطيق غضبه حين يغضب أم تأمره فيطيعك؟ تبارك الله وتعالى

قال أيوب صلى الله عليه وسلم: قَصُرْت عن هذا الأمر الذي تعرض لي ليت الأرض انشقت بي فذهبت في بلائي ولم أتكلم بشيء يسخط ربي اجتمع عليّ البلاء إلهي جعلتني لك مثل العدوّ وقد كنت تكرمني وتعرف نصحي, وقد علمت أن الذي ذكرت صنع يديك وتدبير حكمتك, وأعظم من هذا ما شئت عملت لا يعجزك شيء ولا يخفي عليك خافية ولا تغيب عنك غائبة, مَنْ هذا الذي يظنّ أن يُسِرّ عنك سرّا, وأنت تعلم ما يخطر على القلوب؟ وقد علمت منك في بلائي هذا ما لم أكن أعلم, وخفت حين بلوت أمرك أكثر مما كنت أخاف. إنما كنت أسمع بسطوتك سمعا, فأمّا الآن فهو بصر العين. إنما تكلمت حين تكلمت لتعذرني وسكتّ حين سكتّ لترحمني, كلمة زلت فلن أعود. قد وضعت يديّ على فمي, وعضِضت على لساني, وألصقت بالتراب خدّي, ودست وجهي لصغاري, وسكتّ كما أسكتتني خطيئتي, فاغفر لي ما قلت فلن أعود لشيء تكرهه مني

قال الله تبارك وتعالى: يا أيوب نفذ فيك علمي, وبحلمي صرفت عنك غضبي, إذ خطئت فقد غفرت لك, ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم, فاغتسل بهذا الماء, فإن فيه شفاءك, وقرّب عن صحابتك قُربانا, واستغفر لهم, فإنهم قد عصوني فيك

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: ثني محمد بن إسحاق, عمن لا يتهم, عن وهب بن منبه اليمانيّ, وغيره من أهل الكتب الأول: أنه كان من حديث أيوب أنه كان رجلاً من الروم, وكان الله قد اصطفاه ونبأه, وابتلاه في الغنى بكثرة الولد والمال, وبسط عليه من الدنيا فوسّع عليه في الرزق. وكانت له البَثَنية من أرض الشأم, أعلاها وأسفلها وسهلها وجبلها. وكان له فيها من أصناف المال كله, من الإبل والبقر والغنم والخيل والحمير ما لا يكون للرجل أفضل منه في العِدّة والكثرة. وكان الله قد أعطاه أهلاً وولدا من رجال ونساء. وكان برّا تقيّا رحيما بالمساكين, يطعم المساكين ويحمل الأرامل ويكفُل الأيتام ويكرم الضيف ويبلّغ ابن السبيل. وكان شاكرا لأنعم الله عليه مؤديّا لحقّ الله في الغنى قد امتنع

من عدوّ الله إبليس أن يصيب منه ما أصاب من أهل الغنى من العزّة والغفلة والسهو والتشاغل عن أمر الله بما هو فيه من الدنيا. وكان معه ثلاثة قد آمنوا به وصدّقوه وعرفوا فضل ما أعطاه الله على من سواه, منهم رجل من أهل اليمن يقال له: أليفز, ورجلان من أهل بلاده يقال لأحدهما: صوفر, وللآخر: بلدد, وكانوا من بلاده كهولاً. وكان لإبليس عدوّ الله منزل من السماء السابعة يقع به كلّ سنة موقعا يسأل فيه فصعد إلى السماء في ذلك اليوم الذي كان يصعد فيه, فقال الله له أو قيل له عن الله: هل قدرت من أيوب عبدي على شيء؟ قال: أي ربّ وكيف أقدر منه على شيء؟ أو إنما ابتليتَه بالرخاء والنعمة والسعة والعافية, وأعطيته الأهل والمال والولد والغنى والعافية في جسده وأهله وماله, فما له لا يشكرك ويعبدك ويطيعك وقد صنعت ذلك به؟ لو ابتليته بنزع ما أعطيته لحال عما كان عليه من شكرك ولترك عبادتك, ولخرج من طاعتك إلى غيرها أو كما قال عدوّ الله. فقال: قد سلطتك على أهله وماله وكان الله هو أعلم به, ولم يسلطه عليه إلا رحمة ليعظم له الثواب بالذي يصيبه من البلاء, وليجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين في كل بلاء نزل بهم, ليتأسّوا به, وليرجوا من عاقبة الصبر في عَرَض الدنيا ثواب الآخرة وما صنع الله بأيوب. فانحطّ عدوّ الله سريعا, فجمع عفاريت الجنّ ومَرَدة الشياطين من جنوده, فقال: إني قد سُلّطت على أهل أيوب وماله, فماذا عليكم؟ فقال قائل منهم: أكون إعصارا فيه نار, فلا أمرّ بشيء من ماله إلا أهلكته قال: أنت وذاك. فخرج حتى أتى إبله, فأحرقها ورعاتَها جميعا. ثم جاء عدوّ الله إلى أيوب في صورة قيّمه عليها وهو في مصلّى فقال: يا أيوب أقبلت نار حتى غشيت إبلك فأحرقتها ومن فيها غيري, فجئتك أخبرك بذلك. فعرفه أيوب, فقال: الحمد لله الذي هو أعطاها وهو أخذها الذي أخرجك منها كما يخرج الزّوان من الحبّ النقيّ. ثم انصرف عنه, فجعل يصيب ماله مالاً مالاً حتى مرّ على آخره, كلما انتهى إليه هلاك مال من ماله حمد الله وأحسن عليه الثناء ورضي بالقضاء, ووطّن نفسه بالصبر على البلاء. حتى إذا لم يبق له مال أتى أهله وولده, وهم في قصر لهم معهم حَظْيانهم وخدّامهم, فتمثّل ريحا عاصفا, فاحتمل القصر من نواحيه فألقاه على أهله وولده, فشدخهم تحته. ثم أتاه في صورة قَهْرمانه عليهم, قد شدخ وجهه, فقال: يا أيوب قد أتت ريح عاصف, فاحتملت القصر من نواحيه ثم ألقته على أهلك وولدك فشدختهم غيري, فجئتك أخبرك ذلك. فلم يجزع على شيء أصابه جزعه على أهله وولده, وأخذ ترابا فوضعه على رأسه, ثم قال: ليت أمي لم تلدني ولم أك شيئا وسرّ بها عدوّ الله منه فأصعد إلى السماء جَذِلاً. وراجع أيوب التوبة مما قال, فحمد الله, فسبقت توبته عدوّ الله إلى الله فلما جاء وذكر ما صنع, قيل له قد سبقتك توبته إلى الله ومراجعته. قال: أي ربّ فسلطني على جسده قال: قد سلّطتك على جسده إلا على لسانه وقلبه ونفسه وسمعه وبصره. فأقبل إليه عدوّ الله وهو ساجد, فنفخ في جسده نفخة أشعل ما بين قرنه إلى قدمه كحريق النار, ثم خرج في جسده ثآليل كألیات الغنم, فحكّ بأظفاره حتى ذهبت, ثم بالفَخّار والحجارة حتى تساقط لحمه, فلم يبق منه إلا العروق والعصب والعظام عيناه تجولان في رأسه للنظر وقبله للعقل, ولم يخلص إلى شيء من حشو البطن, لأنه لا بقاء

للنفس إلا بها, فهو يأكل ويشرب على التواء من حشوته, فمكث كذلك ما شاء الله أن يمكث فحدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق, عن ابن دينار, عن الحسن أنه كان يقول: مكث أيوب في ذلك البلاء سبع سنين وستة أشهر ملقى على رماد مكنسة في جانب القرية قال وهب بن منبه: ولم يبق من أهله إلا امرأة واحدة تقوم عليه وتكسب له, ولا يقدر عدوّ الله منه على قليل ولا كثير مما يريد. فلما طال البلاء عليه وعليها وسئمها الناس, وكانت تكسب عليه ما تطعمه وتسقيه قال وهب بن منبه: فحُدثت أنها التمست له يوما من الأيام تطعمه, فما وجدت شيئا حتى جزّت قَرْنا من رأسها فباعته برغيف, فأتته به فعشته إياه, فلبث في ذلك البلاء تلك السنين, حتى إن كان المارّ ليمرّ فيقول: لو كان لهذا عند الله خير لأراحه مما هو فيه حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: فحدثني محمد بن إسحاق, قال: وكان وهب بن منبه يقول: لبث في ذلك البلاء ثلاث سنين لم يزد يوما واحدا فلما غلبه أيوب فلم يستطع منه شيئا, اعترض لامرأته في هيئة ليست كهيئة بني آدم في العظم والجسم والطول على مركب ليس من مراكب الناس, له عظم وبهاء وجمال ليس لها, فقال لها: أنت صاحبة أيوب هذا الرجل المبتلي؟ قالت نعم. قال: هل تعرفينني؟ قالت لا. قال: فأنا إله الأرض وأنا الذي صنعت بصاحبك ما صنعت, وذلك أنه عبد إله السماء وتركني فأغضبني, ولو سجد لي سجدة واحدة رددت عليه وعليك كلّ ما كان لكما من مال وولد, فإنه عندي ثم أراها إياهم فيما ترى ببطن الوادي الذي لقيها فيه. قال: وقد سمعت أنه إنما قال: لو أن صاحبك أكل طعاما ولم يسمّ عليه لعوفي مما به من البلاء, والله أعلم. وأراد عدوّ الله أن يأتيه من قِبَلها. فرجعت إلى أيوب, فأخبرته بما قال لها وما أراها قال: أو قد أتاك عدوّ الله ليفتنك عن دينك؟ ثم أقسم إن الله عافاه ليضربها مئة ضربة فلما طال عليه البلاء, جاءه أولئك النفر الذين كانوا معه قد آمنوا به وصدّقوه, معهم فتى حديث السنّ قد كان آمن به وصدّقه, فجلسوا إلى أيوب ونظروا إلى ما به من البلاء, فأعظموا ذلك وفَظِعوا به, وبلغ من أيوب صلوات الله عليه مجهوده, وذلك حين أراد الله أن يفرّج عنه ما به فلما رأى أيوب ما أعظموا مما أصابه, قال: أي ربّ لأيّ شيء خلقتني ولو كنت إذ قضيت عليّ البلاء تركتني فلم تخلقني؟ ليتني كنت دما ألقتني أمي. ثم ذكر نحو حديث ابن عسكر, عن إسماعيل بن عبد الكريم, إلى: وكابدوا الليل, واعتزلوا الفراش, وانتظروا الأسحار ثم زاد فيه: أولئك الآمنون الذي لا يخافون, ولا يهتمون ولا يحزنون, فأين عاقبة أمرك يا أيوب من عواقبهم؟

قال فتى حضرهم وسمع قولهم ولم يفطنوا له ولم يأبهوا لمجلسه, وإنما قيّضه الله لهم لما كان من جورهم في المنطق وشططهم, فأراد الله أن يصغر به إليهم أنفسهم وأن يسفّه بصغره لهم أحلامهم فلما تكلم تمادى في الكلام, فلم يزدد إلا حكما. وكان القوم من شأنهم الاستماع والخشوع إذا وُعظوا أو ذُكّروا فقال: إنكم تكلمتم قبلي أيها الكهول, وكنتم أحقّ بالكلام وأولى به مني لحقّ أسنانكم, ولأنكم جرّبتم قبلي ورأيتم وعلمتم ما لم أعلم وعرفتم ما لم أعرف, ومع ذلك قد تركتم من القول أحسن من الذي قلتم ومن الرأي أصوب من الذي رأيتم ومن الأمر أجمل من الذي أتيتم ومن الموعظة أحكم من الذي وصفتم, وقد

كان لأيوب عليكم من الحقّ والذّمام أفضلُ من الذي وصفتم, هل تدرون أيها الكهول حقّ من انتقصتم وحرمة من انتهكتم ومن الرجل الذي عبتم واتهمتم؟ ولم تعلموا أيها الكهول أن أيوب نبيّ الله وخيرته وصفوته من أهل الأرض يومكم هذا, اختاره الله لوحيه واصطفاه لنفسه وأتمنه على نبوّته, ثم لم تعلموا ولم يطلعكم الله على أنه سخط شيئا من أمره مذ آتاه ما آتاه إلى يومكم هذا ولا على أنه نزع منه شيئا من الكرامة التي أكرمه بها مذ آتاه ما آتاه إلى يومكم هذا, ولا أن أيوب غَيّر الحقّ في طول ما صحبتموه إلى يومكم هذا فإن كان البلاء هو الذي أزرى به عندكم ووضعه في أنفسكم, فقد علمتم أن الله يبتلي النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين ثم ليس بلاؤه لأولئك بدليل سخطه عليهم ولا لهوانه لهم, ولكنها كرامة وخِيْرة لهم ولو كان أيوب ليس من الله بهذه المنزلة ولا في النبوّة ولا في الأثرة ولا في الفضيلة ولا في الكرامة, إلا أنه أخ أحببتموه على وجه الصحابة, لكان لا يجمل بالحكيم أن يعذُل أخاه عند البلاء ولا يعيّره بالمصيبة بما لا يعلم وهو مكروب حزين, ولكن يرحمه ويبكي معه ويستغفر له ويحزن لحزنه ويدلّه على مراشد أمره وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا, فاللّهَ اللّهَ أيها الكهول في أنفسكم

قال: ثم أقبل على أيوب صلى الله عليه وسلم فقال, وقد كان في عظمة الله وجلاله وذكر الموت: ما يقطع لسانك, ويكسر قلبك, وينسيك حججك؟ ألم تعلم يا أيوب أن لله عبادا أسكتتهم خشيته من غير عيّ ولا بَكَم وإنهم لهم الفصحاء النطقاء النبلاء الألباء العالمون بالله وبآياته؟ ولكنهم إذا ذكروا عظمة الله انقطعت أسلنتهم واقشعرّت جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم إعظاما لله وإعزازا وإجلالاً, فإذا استفاقوا من ذلك استَبَقوا إلى الله بالأعمال الزاكية, يَعُدّون أنفسهم مع الظالمين والخاطئين, وإنهم لأنزاه برآء, ومع المقصّرين والمفرّطين, وإنهم لأكياس أقوياء, ولكنهم لا يستكثرون لله الكثير, ولا يرضون لله بالقليل, ولا يُدِلّون عليه بالأعمال فهم مروّعون مفزعون مغتمون خاشعون وجلون مستكينون معترفون متى ما رأيتهم يا أيوب.

قال أيوب: إن الله يزرع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير, فمتى نبتت في القلب يظهرها الله على اللسان, وليست تكون الحكمة من قبل السنّ ولا الشيبة ولا طول التجربة, وإذا جعل الله العبد حكيما في الصيام لم يسقط منزله عند الحكماء وهم يرون عليه من الله نور الكرامة, ولكنكم قد أعجبتكم أنفسكم وظننتم أنكم عوفيتم باحسانكم, فهنالك بغيتم وتعزّزتم, ولو نظرتم فيما بينكم وبين ربكم ثم صدقتم أنفسكم لوجدتم لكم عيوبا سترها الله بالعافية التي ألبسكم ولكني قد أصبحت اليوم وليس لي رأي ولا كلام معكم, قد كنت فيما خلا مسموعا كلامي معروفا حقي منتصِفا من خصمي قاهرا لمن هو اليوم يقهرني مهيبا مكاني والرجال مع ذلك ينصتون لي ويوقروني, فأصبحت اليوم قد انقطع رجائي ورفع حذري وملّني أهلي وعقني أرحامي وتنكرت لي معارفي ورغب عني صديقي وقطعني أصحابي وكفرني أهل بيتي وجُحِدَتْ حقوقي ونُسِيت صنائعي, أصرخ فلا يُصْرِخونني وأعتذر فلا يعذرونني, وإن قضاءه هو الذي أذلني وأقمأني وأخسأني, وإن سُلطانه هو الذي أسقمني وأنحل جسمي. ولو أن ربي نزع الهيبة التي في

صدري وأطلق لساني حتى أتكلم بملء فمي, ثم كان ينبغي للعبد يحاجّ عن نفسه, لرجوت أن يعافيني عند ذلك مما بي ولكنه ألقاني وتعالى عني, فهو يراني ولا أراه, ويسمعني ولا أسمعه لا نظر إليّ فرحمني, ولا دنا مني ولا أدناني فأدلي بعذري وأتكلم ببراءتي وأخاصم عن نفسي

لما قال ذلك أيوب وأصحابه عنده, أظله غمام حتى ظنّ أصحابه أنه عذاب, ثم نودي منه, ثم قيل له: يا أيوب, إن الله يقول: ها أنا ذا قد دنوت منك, ولم أزل منك قريبا, فقم فأدل بعذرك الذي زعمت, وتكلم ببراءتك وخاصم عن نفسك, واشدد إزارك ثم ذكر نحو حديث ابن عسكر, عن إسماعيل, إلى آخره, وزاد فيه: ورحمتي سبقت غضبي, فاركُض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاؤك, وقد وهبت لك أهلك ومثلهم معهم ومالك ومثله معه وزعموا: ومثله معه لتكون لمن خلفك آية, ولتكون عبرة لأهل البلاء وعزاء للصابرين فركض برجله, فانفجرت له عين, فدخل فيها فاغتسل, فأذهب الله عنه كلّ ما كان به من البلاء. ثم خرج فجلس, وأقبلت امرأته تلتمسه في مضجعه, فلم تجده, فقامت كالوالهة متلدّدة, ثم قالت: يا عبد الله, هل لك علم بالرجل المبتلي الذي كان ههنا؟ قال: لا ثم تبسّم, فعرفته بمضحكه, فاعتنقته.

18679ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن محمد بن إسحاق, عن بعض أهل العلم, عن وهب بن منبه, قال: فحدثت عبد الله بن عباس حديثه واعتناقها إياه, فقال عبد الله: فوالذي نفس عبد الله بيده ما فارقته من عناقه حتى مرّ بها كلّ مال لهما وولد.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: وقد سمعت بعض من يذكر الحديث عنه أنه دعاها حين سألت عنه, فقال لها: وهل تعرفينه إذا رأيته؟ قالت: نعم, ومالي لا أعرفه؟ فتبسّم, ثم قال: ها أنا هو, وقد فرّج الله عني ما كنت فيه. فعند ذلك اعتنقته. قال وهب: فأوحى الله في قسمه ليضربها في الذي كلمته, أن وخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثا فاضْرِبْ بِهِ وَلا تَحْنَثْ أي قد برّت يمينك. يقول الله تعالى: إنّا وَجَدْناه صَابِرا نِعْمَ العَبْدُ إنّهُ أوّابٌ يقول الله: وَوَهَبْنا لَهُ أهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنّا وَذِكْرَى لأولي الألْبابِ.

18680ـ حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعي, قال: حدثنا فضيل بن عياض, عن هشام, عن الحسن, قال: لقد مكث أيوب مطروحا على كناسة سبع سنين وأشهرا ما يسأل الله أن يكشف ما به. قال: وما على وجه الأرض خلق أكرم على الله من أيوب. فيزعمون أن بعض الناس قال: لو كان لربّ هذا فيه حاجة ما صنع به هذا فعند ذلك دعا.

18681ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية, عن يونس, عن الحسن, قال: بقي أيوب على كناسة لبني إسرائيل سبع سنين وأشهرا تختلف عليه الدوابّ.

18682ـ حدثني محمد بن إسحاق, قال: حدثنا يحيى بن معين, قال: حدثنا ابن عيينة, عن عمرو, عن وهب بن منبه, قال: لم يكن بأيوب أكلة, إنما كان يخرج به مثل ثدي النساء ثم ينقفه.

18683ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا مخلد بن حسين, عن هشام, عن الحسن, وحجاج عن مبارك, عن الحسن: زاد أحدهما على الآخر قال: إن أيوب آتاه الله مالاً وأوسع عليه, وله من

النساء والبقر والغنم ولإبل. وإن عدوّ الله إبليس قيل له: هل تقدر أن تفتن أيوب؟ قال: ربّ إن أيوب أصبح في دنيا من مال وولد, ولا يستطيع أن لا يشكرك, ولكن سلطني على ماله وولده فسترى كيف يطيعني ويعصيك قال: فسلطه على ماله وولده. قال: فكان يأتي بالماشية من ماله من الغنم فيحرقها بالنيران, ثم يأتي أيوب وهو يصلي متشبها براعي الغنم, فيقول: يا أيوب تصلي لربك ما ترك الله لك من ماشيتك شيئا من الغنم إلا أحرقها بالنيران, وكنت ناحية فجئت لأخبرك. قال: فيقول أيوب: اللهمّ أنت أعطيت وأنت أخذت, مهما تبقي نفسي أحمدك على حُسن بلائك فلا يقدر منه على شيء مما يريد ثم يأتي ماشيته من البقر فيحرقها بالنيران, ثم يأتي أيوب فيقول له ذلك, ويردّ عليه أيوب مثل ذلك. قال: وكذلك فعل بالإبل حتى ما ترك له من ماشية حتى هدم البيت على ولده, فقال: يا أيوب أرسل الله على ولدك من هدم عليهم البيوت حتى هلكوا فيقول أيوب مثل ذلك. قال: ربّ هذا حين أحسنت إليّ الإحسان كله, قد كنت قبل اليوم يشغلني حبّ المال بالنهار ويشغلني حبّ الولد بالليل شفقة عليهم, فالآن أفرغ سمعي وبصري وليلي ونهاري بالذكر والحمد والتقديس والتهليل فينصرف عدوّ الله من عنده لم يصب منه شيئا مما يريد.

قال: ثم إن الله تبارك وتعالى قال: كيف رأيت أيوب؟ قال إبليس: أيوب قد علم أنك ستردّ عليه ماله وولده ولكن سلطني على جسده, فإن أصابه الضرّ فيه أطاعني وعصاك قال: فسلط على جسده, فأتاه فنفخ فيه نفخة قَرِح من لدن قرنه إلى قدمه. قال: فأصابه البلاء بعد البلاء, حتى حمل فوضع على مزبلة كُناسة لبني إسرائيل. فلم يبق له مال ولا ولد ولا صديق ولا أحد يقربه غير زوجته, صبرت معه بصدق, وكانت تأتيه بطعام, وتحمد الله معه إذا حمد, وأيوب على ذلك لا يفتر من ذكر الله, والتحميد والثناء على الله والصبر على ما ابتلاه الله. قال الحسن: فصرخ إبليس عدوّ الله صرخة جمع فيها جنوده من أقطار الأرض جزعا من صبر أيوب فاجتمعوا إليه وقالوا له: جمعتنا, ما خبرك؟ ما أعياك؟ قال: أعياني هذا العبد الذي سألت ربي أن يسلطني على ماله وولده فلم أدع له مالاً ولا ولدا, فلم يزدد بذلك إلا صبرا وثناء على الله وتحميدا له, ثم سُلّطت على جسده فتركته قُرْحة ملقاة على كُناسة بني إسرائيل, لا يقربه إلا امرأته, فقد افتضحت بربي, فاستعنت بكم, فأعينوني عليه قال: فقالوا له: أين مكرك؟ أين علمك الذي أهلكت به من مضى؟ قال: بطل ذلك كله في أيوب, فأشيروا عليّ قالوا: نشير عليك, أرأيت آدم حين أخرجته من الجنة, من أين أتيته؟ قال: من قبَل امرأته, قالوا: فشأنك بأيوب مِن قبَل امرأته, فإنه لا يستطيع أن يعصيها وليس أحد يقربه غيرها. قال: أصبتم. فانطلق حتى أتى امرأته وهي تَصَدّق, فتمثل لها في صورة رجل, فقال: أين بعلك يا أمة الله؟ قالت: هو ذاك يحكّ قروحه ويتردّد الدوابّ في جسده. فلما سمعها طمع أن تكون كلمة جزع, فوقع في صدرها فوسوس إليها فذكّرها ما كانت فيه من النّعم والمال والدوابّ, وذكّرها جمال أيوب وشبابه, وما هو فيه من الضرّ, وأن ذلك لا ينقطع عنهم أبدا. قال الحسن: فصرخت فلما صرخت علم أن قد صرخت وجزعت, أتاها بسَخْلة, فقال: ليذبح هذا إليّ أيوب ويبرأ, قال: فجاءت تصرخ يا أيوب, يا أيوب, حتى

متى يعذّبك ربك, ألا يرحمك؟ أين الماشية؟ أين المال؟ أين الولد؟ أين الصديق؟ أين لونك الحسن؟ قد تغير, وصار مثل الرماد؟ أين جسمك الحسن الذي قد بلي وتردد فيه الدوابّ؟ اذبح هذه السّخْلة واسترح قال أيوب: أتّاكِ عدوّ الله فنفخ فيك فوجد فيك رفقا وأجبته, ويلك أرأيت ما تبكين عليه مما تذكرين مما كنا فيه من المال والولد والصحة والشباب؟ من أعطانيه؟ قالت: الله. قال: فكم متّعنا به؟ قالت: ثمانين سنة. قال: فمذكم ابتلانا الله بهذا البلاء الذي ابتلانا به؟ قالت: منذ سبع سنين وأشهر. قال: ويلك والله ما عدلت ولا أنصفت ربك ألا صبرت حتى نكون في هذا البلاء الذي ابتلانا ربنا به ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ثمانين سنة؟ والله لئن شفاني الله لأجلدنّك مئة جلدة هيه أمرتيني أن أذبح لغير الله, طعامك وشرابك الذي تأتيني به عليّ حرام وأن أذوق ما تأتيني به بعد, إذ قلت لي هذا فاغرُبي عني فلا أراك فطردها, فذهبت, فقال الشيطان: هذا قد وطّن نفسه ثمانين سنة على هذا البلاء الذي هو فيه فباء بالغلبة ورفضه. ونظر أيوب إلى امرأته وقد طردها, وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق قال الحسن: ومرّ به رجلان وهو على تلك الحال, ولا والله ما على ظهر الأرض يومئذٍ أكرم على الله من أيوب, فقال أحد الرجلين لصاحبه: لو كان لله في هذا حاجة, ما بلغ به هذا فلم يسمع أيوب شيئا كان أشدّ عليه من هذه الكلمة.

18684ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن جرير بن حازم, عن عبد الله بن عبيد بن عمير, قال: كان لأيوب أخوان, فأتياه, فقاما من بعيد لا يقدران أن يدنوا منه من ريحه, فقال أحدهما لصاحبه: لو كان الله علم في أيوب خيرا ما ابتلاه بما أرى, قال: فما جزع أيوب من شيء أصابه جزعه من كلمة الرجل. فقال أيوب: اللهمّ إن كنت تعلم أني لم أبت ليلة شبعان قطّ وأنا أعلم مكان جائع فصدّقْني فصُدّق وهما يسمعان. ثم قال: اللهمّ إن كنت تعلم أني لم أتخذ قميصين قطّ وأنا أعلم مكان عار فصدّقني فصُدّق وهما يسمعان. قال: ثم خرّ ساجدا.

18685ـ فحدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: فحدثني مخلد بن الحسين, عن هشام, عن الحسن, قال: فقال: رَب إنّي مَسّنِيَ الضّرّ ثم ردّ ذلك إلى ربه فقال: وأنْتَ أرْحَمُ الرّاحِمِينَ.

18686ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن جرير, عن عبد الله بن عبيد بن عمير, قال: فقيل له: ارفع رأسكْ فقد استجيب لك.

18687ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن مبارك, عن الحسن ومخلد, عن هشام, عن الحسن, دخل حديث أحدهما في الآخر, قالا: فقيل له: ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بارِدٌ وَشَرَابٌ فركض برجله فنبعت عين, فاغتسل منها, فلم يبق عليه من دائه شيء ظاهر إلا سقط, فأذهب الله كل ألم وكل سقم, وعاد إليه شبابه وجماله أحسن ما كان وأفضل ما كان. ثم ضرب برجله, فنبعت عين أخرى فشرب منها, فلم يبق في جوفه داء إلا خرج, فقام صحيحا, وكُسِي حُلة. قال: فجعل يتلفت ولا يرى شيئا مما كان له من أهل ومال إلا وقد أضعفه الله له, حتى والله ذُكر لنا أن الماء الذي اغتسل به تطاير على صدره جرادا من ذهب. قال: فجعل يضمه بيده, فأوحى الله إليه: يا أيوب ألم أغنك؟ قال:

بلى, ولكنها بركتك, فمن يشبع منها؟ قال: فخرج حتى جلس على مكان مشرف. ثم إن امرأته قالت: أرأيت إن كان طردني إلى من أكِلُه؟ أدعه يموت جوعا أو يضيع فتأكله السباع؟ لأرجعنّ إليه فرجعت, فلا كُناسة ترى, ولا من تلك الحال التي كانت, وإذا الأمور قد تغيرت, فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي, وذلك بعين أيوب قال: وهابت صاحب الحُلة أن تأتيه فتسأل عنه, فأرسل إليها أيوب فدعاها, فقال: ما تريدين يا أمة الله؟ فبكت وقالت: أردت ذلك المبتَلي الذي كان منبوذا على الكُناسة, لا أدري أضاع أم ما فعل. قال لها أيوب: ما كان منك؟ فبكت وقالت: بعلي, فهل رأيته وهي تبكي إنه قد كان ها هنا؟ قال: وهل تعرفينه إذا رأيتيه؟ قالت: وهل يخفي على أحد رآه؟ ثم جعلت تنظر إليه وهي تهابه, ثم قالت: أما إنه كان أشبه خلق الله بك إذ كان صحيحا. قال: فإني أنا أيوب الذي أمرتيني أن أذبح للشيطان, وإني أطعت الله وعصيت الشيطان, فدعوت الله فردّ على ما ترين. قال الحسن: ثم إن الله رحمها بصبرها معه على البلاء أن أمره تخفيفا عنها أن يأخذ جماعة من الشجر فيضربها ضربة واحدة تخفيفا عنها بصبرها معه.

18688ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وأيّوبَ إذْ نادَى رَبّهُ أنّي مَسّنِيَ الضّرّ... إلى آخر الآيتين, فإنه لما مسه الشيطان بنُصُب وعذاب, أنساه الله الدعاء أن يدعوه فيكشف ما به من ضرّ, غير أنه كان يذكر الله كثيرا, ولا يزيده البلاء في الله إلا رغبة وحسن إيمان. فلما انتهى الأجل وقضى الله أنه كاشف ما به من ضرّ أذن له في الدعاء ويسّره له, وكان قبل ذلك يقول تبارك وتعالى: لا ينبغي لعبدي أيوب أن يدعوني ثم لا أستجيب له فلما دعا استجاب له, وأبدله بكل شيء ذَهَبَ له ضعفين, ردّ إليه أهله ومثلهم معهم, وأثنى عليه فقال: إنّا وَجَدْناه صابِرا نِعْمَ العَبْدُ إنّهُ أوّابُ.

واختلف أهل التأويل في الأهل الذي ذكر الله في قوله: وآتَيْناهُ أهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ أهم أهله الذين أوتيهم في الدنيا, أم ذلك وعد وعده الله أيوب أن يفعل به في الآخرة؟ فقال بعضهم: إنما آتى الله أيوب في الدنيا مثل أهله الين هلكوا, فإنهم لم يُرَدّوا عليه في الدنيا, وإنما وعد الله أيوب أن يؤتيه إياهم في الآخرة.

18689ـ حدثني أبو السائب سلم بن جنادة, قال: حدثنا ابن إدريس, عن ليث, قال: أرسل مجاهد رجلاً يقال له قاسم إلى عكرمة يسأله عن قول الله لأيوب: وآتَيْنَاهُ أهْلَهُ ومِثْلَهُمْ مَعَهُمْ فقال: قيل له: إن أهلك لك في الآخرة, فإن شئت عجلناهم لك في الدنيا, وإن شئت كانوا لك في الآخرة وآتيناك مثلهم في الدنيا. فقال: يكونون لي في الآخرة, وأوتَى مثلهم في الدنيا. قال: فرجع إلى مجاهد فقال: أصاب.

وقال آخرون: بل ردّهم إليه بأعيانهم وأعطاه مثلهم معهم. ذكر من قال ذلك:

18690ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام بن سلم, عن أبي سنان, عن ثابت, عن الضحاك, عن ابن مسعود: وآتَيْنَاهُ أهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ قال: أهله بأعيانهم.

18691ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: لما دعا أيوب استجاب الله له, وأبدله بكل شيء ذهب له ضعفين ردّ إليه أهله ومثلهم معهم.

18692ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد: وَوَهَبْنا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ قال: أحياهم بأعيانهم, وردّ إليه مثلهم.

18693ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن ليث, عن مجاهد, في قوله: وآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ قال: قيل له: إن شئت أحييناهم لك, وإن شئت كانوا لك في الآخرة وتعطي مثلهم في الدنيا. فاختار أن يكونوا في الآخرة ومثلهم في الدنيا.

18694ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة: وآتَيْناهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ قال الحسن وقَتادة: أحيا الله أهله بأعيانهم, وزاده إليهم مثلهم.

وقال آخرون: بل آتاه المثل من نسل ماله الذي ردّه عليه وأهله, فأما الأهل والمال فإنه ردّهما عليه. ذكر من قال ذلك:

18695ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن رجل, عن الحسن: وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ قال: من نسلهم.

وقوله: رَحْمَةً نصبت بمعنى: فعلنا بهم ذلك رحمة منا له. وقوله: وَذِكْرَى لِلْعابِدِينَ يقول: وتذكره للعابدين ربهم فعلنا ذلك به ليعتبروا به ويعلموا أن الله قد يبتلي أولياءه ومن أحبّ من عباده في الدنيا بضروب من البلاء في نفسه وأهله وماله, من غير هوان به عليه, ولكن اختبارا منه له ليبلغ بصبره عليه واحتسابه إياه وحسن يقينه منزلته التي أعدها له تبارك وتعالى من الكرامة عنده. وقد:

18696ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي معشر, عن محمد بن كعب القرظي, في قوله: رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَذِكْرَى للعابِدِينَ وقوله: (رَحْمَة مِنّا وذِكْرَى لأُولي الأَلْبَابِ) قال: أيما مؤمن أصابه بلاء فذكر ما أصاب أيوب فليقل: قد أصاب من هو خير منا نبيّا من الأنبياء.

الآية : 85 و 86

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلّ مّنَ الصّابِرِينَ * وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مّنَ الصّالِحِينَ }.

يعني تعالى ذكره بإسماعيل بن إبراهيم صادق الوعد, وبإدريس: أخنوخ, وبذي الكفل: رجلاً تكفل من بعض الناس, إما من نبيّ وإما من ملك من صالحي الملوك بعمل من الأعمال, فقام به من بعده, فأثني الله عليه حسن وفائه بما تكفل به وجعله من المعدودين في عباده, مع من حمد صبره على طاعة الله. وبالذي قلنا في أمره جاءت الأخبار عن سلف العلماء. ذكر الرواية بذلك عنهم:

18697ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن المنهال بن عمرو, عن عبد الله بن الحارث: أن نبيّا من الأنبياء, قال: من تكفل لي أن يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب؟ فقام شاب فقال: أنا. فقال: اجلس: ثم عاد فقال: من تكفل لي أن يقوم الليل ويصوم النهار ولا يغضب؟ فقام ذلك الشاب فقال: أنا. فقال: اجلس ثم عاد

فقال: من تكفل لي أن يقوم الليل ويصوم النهار ولا يغضب؟ فقام ذلك الشاب فقال: أنا فقال: تقوم الليل وتصوم النهار ولا تغضب. فمات ذلك النبيّ, فجلس ذلك الشاب مكانه يقضي بين الناس, فكان لا يغضب. فجاءه الشيطان في صورة إنسان ليُغضبه وهو صائم يريد أن يَقِيل, فضرب الباب ضربا شديدا, فقال: من هذا؟ فقال: رجل له حاجة. فأرسل معه رجلاً, فقال: لا أرضى بهذا الرجل. فأرسل معه آخر, فقال: لا أرضى بهذا. فخرج إليه فأخذ بيده فانطلق معه, حتى إذا كان في السوق خلاّه وذهب, فسُمّي ذا الكفل.

18698ـ حدثنا ابن المثني, قال: حدثنا عفان بن مسلم, قال: حدثنا وهيب, قال: حدثنا داود, عن مجاهد, قال: لما كبر اليسع قال: لو أني استخلفت على الناس رجلاً يعمل عليهم في حياتي حتى أنظر كيف يعمل. قال: فجمع الناس, فقال: من يَتَقَبّلْ لي بثلاث أستخلفه: يصوم النهار, ويقوم الليل, ولا يغضب؟ قال: فقام رجل تزدريه العين, فقال: أنا. فقال: أنت تصوم النهار وتقوم الليل ولا تغضب؟ قال: نعم. قال: فردّهم ذلك اليوم, وقال مثلها اليوم الآخر, فسكت الناس وقام ذلك الرجل, فقال: أنا. فاسْتَخْلَفَه. قال: فجعل إبليس يقول للشياطين: عليكم بفلان فأعياهم, فقال: دعوني وإياه فأتاه في صورة شيخ كبير فقير, فأتاه حين أخذ مضجعه للقائلة, وكان لا ينام الليل والنهار إلا تلك النومة, فدقّ الباب, فقال: من هذا؟ قال: شيخ كبير مظلوم. قال: فقام ففتح الباب, فجعل يقصّ عليه, فقال: إن بيني وبين قومي خصومة, وإنهم ظلموني وفعلوا بي وفعلوا. فجعل يطوّل عليه, حتى حضر الرّواح وذهبت القائلة, وقال: إذا رحت فأتنى آخذ لك بحقك فانطلق وراح, فكان في مجلسه, فجعل ينظر هل يرى الشيخ, فلم يره, فجعل يبتغيه. فلما كان الغد جعل يقضي بين الناس وينتظره فلا يراه. فلما رجع إلى القائلة, فأخذ مضجعه, أتاه فدقّ الباب, فقال: من هذا؟ قال: الشيخ الكبير المظلوم. ففتح له, فقال: ألم أقل لك إذا قعدت فأتني؟ فقال: إنهم أخبث قوم, إذا عرفوا أنك قاعد قالوا نحن نعطيك حقك, وإذا قمت جحدوني. قال: فانطلِقْ فإذا رحت فأتني قال: ففاتته القائلة, فراح فجعل ينظر فلا يراه, فشقّ عليه النعاس, فقال لبعض أهله: لا تدعُنّ أحدا يقرب هذا الباب حتى أنام, فإني قد شقّ عليّ النوم فلما كان تلك الساعة جاء, فقال له الرجل وراءَك, فقال: إني قد أتيته أمس فذكرت له أمري, قال: والله لقد أمرنا أن لا ندع أحدا يقربه. فلما أعياه نظر فرأى كوّة في البيت, فتسوّر منها, فإذا هو في البيت, وإذا هو يدقّ الباب, قال: واستيقظ الرجل فقال: يا فلان, ألم آمرك؟ قال: أما من قِبلى والله فلم تُؤْتَ, فانظر من أين أتِيتَ قال: فقام إلى الباب, فإذا هو مغلق كما أغلقه, وإذا هو معه في البيت, فعرفه فقال: أعدوّ الله؟ قال: نعم أعيتني في كل شيء, ففعلت ما ترى لأغضبك. فسماه ذا الكفل, لأنه تكفل بأمر فوفى به.

18699ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, في قوله: وَذَا الكِفْلِ قال رجل صالح غير نبيّ, تكفل لنبيّ قومه أن يكفيه أمر قومه ويقيمه لهم ويقضي بينهم بالعدل, ففعل ذلك, فسُمّي ذا الكِفل.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد بنحوه, إلا أنه قال: ويقضي بينهم بالحقّ.

18700ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن أبي معشر, عن محمد بن قيس قال: كان في بني إسرائيل مِلك صالح, فكبر, فجمع قومه فقال: أيكم يكفل لي بمُلكي هذا على أن يصوم النهار ويقوم الليل ويحكم بين بني إسرائيل بما أنزل الله ولا يغضب؟ قال: فلم يقم أحد إلا فتى شاب, فازدراه لحداثة سنه, فقال: أيكم يكفل لي بملكي هذا على أن يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب ويحكم بين بني إسرائيل بما أنزل الله؟ فلم يقم إلا ذلك الفتى قال: فازدراه. فلما كانت الثالثة قال مثل ذلك, فلم يقم إلا ذلك الفتى, فقال: تعال فخلى بينه وبين ملكه. فقالم الفتى ليلة فلما أصبح جعل يحكم بين بني إسرائيل فلما انتصف النهار دخل ليقيل, فأتاه الشيطان في صورة رجل من بني آدم, فجذب ثوبه, فقال: أتنام والخصوم ببابك؟ قال: إذا كان العشية فأتني قال فانتظره بالعشيّ فلم يأته فلما انتصف النهار دخل ليَقِيل, جذب ثوبه وقال: أتنام والخصوم على بابك؟ قال: قلت لك: ائتني العشيّ فلم تأتني, ائتني, بالعشيّ فلما كان بالعشيّ انتظره فلم يأت فلما دخل ليقيل جذب ثوبه, فقال: أتنام والخصوم ببابك؟ قال: أخبرني من أنت, لو كنت من الإنس سمعت ما قلت قال: هو الشيطان, جئت لأفتنك فعصمك الله مني. فقضي بين بني إسرائيل بما أنزل الله زمانا طويلاً, وهو ذو الكفل, سُمي ذا الكفل لأنه تكفل بالملك.

18701ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, عن أبي موسى الأشعريّ, قال وهو يخطب الناس: إن ذا الكفل لم يكن نبيّا ولكن كان عبدا صالحا, تكفل بعمل رجل صالح عند موته, كان يصلي لله كل يوم مئة صلاة, فأحسن الله عليه الثناء في كفالته إياه.

18702ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا الحكم, قال: حدثنا عمرو, قال: أمّا ذو الكفل فإنه كان على بني إسرائيل مَلِك فلما حضره الموت, قال: من يكفل لي أن يكفيني بني إسرائيل ولا يغضب ويصلي كل يوم مئة صلاة؟ فقال ذو الكفل: أنا. فجعل ذو الكفل يقضي بين الناس, فإذا فرغ صلى مئة صلاة. فكاده الشيطان, فأمهله حتى إذا قضي بين الناس وفرغ من صلاته وأخذ مضجعه فنام, أتى الشيطان بابه فجعل يدقه, فخرج إليه, فقال: ظُلمت وصُنع بي فأعطاه خاتمه وقال: اذهب فأتني بصاحبك وانتظره, فأبطأ عليه الآخر, حتى إذا عرف أنه قد نام وأخذ مضجعه, أتى الباب أيضا كي يغضبه, فجعل يدقه, وخدش وجه نفسه فسالت الدماء, فخرج إليه فقال: ما لك؟ فقال: لم يتبعني, وضُربت وفُعل فأخذه ذو الكفل, وأنكر أمره, فقال: أخبرني من أنت؟ وأخذه أخذا شديدا, قال: فأخبره من هو.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: وَذَا الكِفْل قال: قال أبو موسى الأشعريّ: لم يكن ذو الكفل نبيّا, ولكنه كَفَل بصلاة رجل كان يصلي كل يوم مئة صلاة, فوفى, فكفل بصلاته, فلذلك سُمي ذا الكفل.

ونُصِبَ «إسماعيل» و «إدريس» و «ذا الكفل», عطفا على «أيوب», ثم استؤنف بقوله: كُلّ فقال: كُلّ مِنَ الصّابِرِينَ ومعنى الكلام: كلهم من أهل الصبر فيما نابهم في الله.

وقوله: وأدْخَلْناهُمْ فِي رَحْمَتِنا إنّهُمْ مِنَ الصّالِحِينَ يقول تعالى ذكره: وأدخلنا إسماعيل وإدريس وذا الكفل والهاء والميم عائدتان عليهم فِي رَحْمَتِنا إنّهُمْ مِنَ الصّالِحِين يقول: إنهم ممن صلح, فأطاع الله وعمل بما أمره.

الآية : 87

القول في تأويل قوله تعالى: {وَذَا النّونِ إذ ذّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنّ أَن لّن نّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىَ فِي الظّلُمَاتِ أَن لاّ إِلَـَهَ إِلاّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنّي كُنتُ مِنَ الظّالِمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: واذكر يا محمد ذا النون, يعني صاحب النون. والنون: الحوت. وإنما عَنَى بذي النون: يونس بن متى, وقد ذكرنا قصته في سورة يونس بما أغني عن ذكره في هذا الموضع, وقوله: إذْ ذَهَبَ مُغاضِبا يقول: حين ذهب مغاضبا.

واختلف أهل التأويل في معنى ذهابه مغاضبا, وعمن كان ذهابه, وعلى من كان غضبه, فقال بعضهم: كان ذهابه عن قومه وإياهم غاضب. ذكر من قال ذلك:

18703ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَذَا النّونِ إذْ ذَهَبَ مُغاضِبا يقول: غضب على قومه.

18704ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: إذْ ذَهَبَ مُغاضِبا أما غضبه فكان على قومه.

وقال آخرون: ذهب عن قومه مغاضبا لربه, إذ كشف عنهم العذاب بعدما وعدهموه. ذكر من قال ذلك: وذكر سبب مغاضبته ربه في قولهم:

18705ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن يزيد بن زياد, عن عبد الله بن أبي سلمة, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, قال: بعثه الله يعني يونس إلى أهل قريته, فردّوا عليه ما جاءهم به وامتنعوا منه. فلما فعلوا ذلك أوحى الله إليه: إني مرسل عليهم العذاب في يوم كذا وكذا, فاخرج من بين أظهرهم فأعلم قومه الذي وعده الله من عذابه إياهم, فقالوا: ارمقوه, فإن خرج من بين أظهركم فهو والله كائن ما وعدكم. فلما كانت الليلة التي وعدوا بالعذاب في صبحها أدلج ورآه القوم, فخرجوا من القرية إلى براز من أرضهم, وفرّقوا بين كل دابة وولدها, ثم عجوا إلى الله, فاستقالوه, فأقالهم, وتنظّر يونس الخبر عن القرية وأهلها, حتى مرّ به مارّ, فقال: ما فعل أهل القرية؟ فقال: فعلوا أن نبيهم خرج من بين أظهرهم, عرفوا أنه صدقهم ما وعدهم من العذاب, فخرجوا من قريتهم إلى براز من الأرض, ثم فرقوا بين كل ذات ولد وولدها. وعجّوا إلى الله وتابوا إليه. فقبل منهم, وأخّر عنهم العذاب. قال: فقال يونس عند ذلك وغضب: والله لا أرجع إليهم كذّابا أبدا, وعدتهم العذاب في يوم ثم رُدّ عنهم ومضى على وجهه مغاضبا.

18706ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا عوف, عن سعيد بن أبي الحسن, قال: بلغني أن يونس لما أصاب الذنب, انطلق مغاضبا لربه, واستزلّه الشيطان.

18707ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة, عن مجالد بن سعيد, عن الشعبيّ, في قوله: إِذْ ذَهَبَ مُغاضِبا قال: مغاضبا لربه.

18708ـ حدثنا الحارث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا سفيان, عن إسماعيل بن عبد الملك, عن سعيد بن جبير فذكر نحو حديث ابن حميد, عن سلمة, وزاد فيه: قال: فخرج يونس ينظر العذاب, فلم ير شيئا, قال: جرّبوا عليّ كذبا فذهب مغاضبا لربه حتى أتى البحر.

18709ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: حدثنا محمد بن إسحاق, عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن, عن وهب بن منبه اليماني, قال: سمعته يقول: إن يونس بن متى كان عبدا صالحا, وكان في خلقه ضيق. فلما حملت عليه أثقال النبوّة, ولها أثقال لا يحملها إلا قليل, تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل, فقذفها بين يديه, وخرج هاربا منها. يقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو العَزْمِ مِنَ الرسُلِ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبّكَ وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الحُوتِ: أي لا تُلْقِ أمري كما ألقاه.

وهذا القول, أعني قول من قال: ذهب عن قومه مغاضبا لربه, أشبه بتأويل الآية, وذلك لدلالة قوله: فَظَنّ أنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ على ذلك. على أن الذين وجهوا تأويل ذلك إلى أنه ذهب مغاضبا لقومه, إنما زعموا أنهم فعلوا ذلك استنكارا منهم أن يغاضب نبيّ من الأنبياء ربه واستعظاما له. وهم بقيلهم أنه ذهب مغاضبا لقومه قد دخلوا في أمر أعظم مما أنكروا, وذلك أن الذين قالوا: ذهب مغاضبا لربه اختلفوا في سبب ذهابه كذلك, فقال بعضهم: إنما فعل ما فعل من ذلك كراهة أن يكون بين قوم قد جربوا عليه الخلف فيما وعدهم, واسْتَحْيَا منهم, ولم يعلم السبب الذي دفع به عنهم البلاء. وقال بعض من قال هذا القول: كان من أخلاق قومه الذي فارقهم قتل من جرّبوا عليه الكذب, عسى أن يقتلوه من أجل أنه وعدهم العذاب, فلم ينزل بهم ما وعدهم من ذلك. وقد ذكرنا الرواية بذلك في سورة يونس, فكرهنا إعادته في هذا الموضع.

وقال آخرون: بل إنما غاضب ربه من أجل أنه أمر بالمصير إلى قوم لينذرهم بأسه ويدعوهم إليه, فسأل ربه أن يُنْظره ليتأهب للشخوص إليهم, فقيل له: الأمر أسرع من ذلك ولم يُنْظر حتى شاء أن ينظر إلى أن يأخذ نعلاً ليلبسها, فقيل له نحو القول الأوّل. وكان رجلاً في خلقه ضيق, فقال: أعجلني ربي أن آخذ نعلاً فذهب مغاضبا.

ومن ذُكر هذا القول عنه: الحسن البصريّ.

18710ـ حدثني بذلك الحارث, قال: حدثنا الحسن بن موسى, عن أبي هلال, عن شهر بن حوشب, عنه.

قال أبو جعفر: وليس في واحد من هذين القولين من وصف نبيّ الله يونس صلوات الله عليه شيء إلا وهو دون ما وصفه بما وصفه الذين قالوا: ذهب مغاضبا لقومه لأن ذهابه عن قومه مغاضبا لهم, وقد أمره الله تعالى بالمُقام بين أظهرهم, ليبلغهم رسالته ويحذّرهم بأسه وعقوبته على تركهم الإيمان به والعمل بطاعته لا شك أن فيه ما فيه. ولولا أنه قد كان

صلى الله عليه وسلم أتى ما قاله الذين وصفوه بإتيان الخطيئة, لم يكن الله تعالى ذكره ليعاقبه العقوبة التي ذكرها في كتابه ويصفه بالصفة التي وصفه بها, فيقول لنبيه صلى الله عليه وسلم: وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ويقول: فالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ فَلَوْلا أَنهُ كانَ مِنَ الْمُسَبّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ.

وقوله: فَظَنّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ اختلف أهل التأويل في تأويله, فقال بعضهم: معناه: فظنّ أن لن نعاقبه بالتضييق عليه. من قولهم قدرت على فلان: إذا ضيقت عليه, كما قال الله جلّ ثناؤه: وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمّا آتاهُ اللّهُ. ذكر من قال ذلك:

18711ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: فَظَنّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ يقول: ظنّ أن لن يأخذه العذاب الذي أصابه.

18712ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: فَظَنّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ يقول: ظنّ أن لن نقضيَ عليه عقوبة ولا بلاء فيما صنع بقومه في غضبه إذ غضب عليهم وفراره. وعقوبته أخذ النون إياه.

18713ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, عن شعبة, عن الحكم, عن مجاهد, أنه قال في هذه الآية: فَظَنّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ قال: فظنّ أن لن نعاقبه بذنبه.

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي, قال: حدثنا زيد بن حباب, قال: ثني شعبة, عن مجاهد, ولم يذكر فيه الحكم.

18714ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله: فَظَنّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ قال: يقول: ظنّ أن لن نعاقبه.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة والكلبيّ: فَظَنّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ قالا: ظنّ أن لن نقضيَ عليه العقوبة.

18715ـ حُدثت عن الحسين. قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: فَظَنّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ يقول: ظنّ أن الله لن يقضي عليه عقوبة ولا بلاء في غضبه الذي غضب على قومه وفراقه إيّاهم.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن ابن عباس, في قوله: فَظَنّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ قال: البلاء الذي أصابه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: فظنّ أنه يُعجز ربه فلا يقدر عليه. ذكر من قال ذلك:

18716ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا عوف, عن سعيد بن أبي الحسن, قال: بلغني أن يونس لما أصاب الذنب, انطلق مغاضبا لربه, واستزلّه الشيطان, حتى ظن أن لن نقدر عليه. قال: وكان له سلف وعبادة وتسبيح. فأبى الله أن يدعه للشيطان, فأخذه فقذفه في بطن الحوت, فمكث في بطن الحوت أربعين من بين ليلة ويوم, فأمسك الله نفسه, فلم يقتله هناك. فتاب إلى ربه في بطن الحوت, وراجع نفسه. قال: فقال: سُبْحانَكَ إنّي كُنْتُ مِنَ الظّالِمِينَ قال: فاستخرجه الله من بطن الحوت برحمته بما كان سلف من العبادة

والتسبيح, فجعله من الصالحين. قال عوف: وبلغني أنه قال في دعائه: وبنيت لك مسجدا في مكان لم يبنه أحد قبلي.

18717ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا هوذة, قال: حدثنا عوف, عن الحسن: فَظَنّ أنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ وكان له سلف من عبادة وتسبيح, فتداركه الله بها فلم يَدَعْه للشيطان.

18718ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن عبد الرحمن بن الحارث, عن إياس بن معاوية المدني, أنه كان إذا ذكر عنده يونس, وقوله: فَظَنّ أنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ يقول إياس: فلِم فرّ؟

وقال آخرون: بل ذلك بمعنى الاستفهام, وإنما تأويله: أفظنّ أن لن نقدر عليه؟ ذكر من قال ذلك:

18719ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فَظَنّ أنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ قال: هذا استفهام. وفي قوله: فَمَا تُغْنِي النّذُر قال: استفهام أيضا.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال في تأويل ذلك عندي بالصواب, قول من قال: عَنَى به: فظنّ يونس أن لن نحبسه ونضيق عليه, عقوبة له على مغاضبته ربه.

وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الكلمة, لأنه لا يجوز أن يُنْسب إلى الكفر وقد اختاره لنبوّته, ووَصْفُه بأن ظنّ أن ربه يعجز عما أراد به ولا يقدر عليه, وَصْفٌ له بأنه جهل قدرة الله, وذلك وصف له بالكفر, وغير جائز لأحد وصفه بذلك. وأما ما قاله ابن زيد, فإنه قول لو كان في الكلام دليل على أنه استفهام حسن, ولكنه لادلالة فيه على أن ذلك كذلك. والعرب لا تحذف من الكلام شيئا لهم إليه حاجة إلا وقد أبقت دليلاً على أنه مراد في الكلام, فإذا لم يكن في قوله: فَظَنّ أنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ دلالة على أن المراد به الاستفهام كما قال ابن زيد, كان معلوما أنه ليس به وإذ فسد هذان الوجهان, صحّ الثالث وهو ما قلنا.

وقوله: فَنَادَى في الظّلُماتِ اختلف أهل التأويل في المعنيّ بهذه الظلمات, فقال بعضهم: عُني بها ظلمة الليل, وظلمة البحر, وظلمة بطن الحوت. ذكر من قال ذلك:

18720ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن إسرائيل, عن أبي إسحاق, عن عمرو بن ميمون: فَنادَى في الظّلُمات قال: ظلمة بطن الحوت, وظلمة البحر, وظلمة الليل. وكذلك قال أيضا ابن جُرَيْج.

18721ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن يزيد بن زياد, عن عبد الله بن أبي سلمة, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, قال: نادى في الظلمات: ظلمة الليل, وظلمة البحر, وظلمة بطن الحوت لا إله إلاّ أنْتَ سُبْحانَكَ إنّي كُنْتُ مِنَ الظّالِمينَ.

18722ـ حدثني محمد بن إبراهيم السلمي, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: أخبرنا محمد بن رفاعة, قال: سمعت محمد ابن كعب يقول في هذه الآية: فَنادَى في الظّلُماتِ قال: ظلمة الليل, وظلمة البحر, وظلمة بطن الحوت.

18723ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله: فَنادَى فـي الظُّلُـماتِ قال: ظلــمة اللـيــل, وظلــمة البحـر, وظلــمة بطـن الـحوت.

حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قَتادة: فَنادَى فـي الظُّلُــماتِ قـال: ظلــمة بطـن الــحوت, وظلــمة البحـر, وظلـمة اللـيـل.

وقال آخرون: إنـما عَنَى بذلك أنه نادى فـي ظلـمة جوف حوت فـي جوف حوت آخر فـي البحر. قالوا: فذلك هو الظلـمات. ذكر من قال ذلك:

18724ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حـدثنا سفــيان, عن منصور, عن سالـم بن أبـي الـجعد: فَنادَى فـي الظُّلُــماتِ قـال: أوحـى الله إلـى الـحوت أن لا تضرّ له لـحما ولا عظما. ثم ابتلع الـحوت حوت آخــر, قال: فَنادَى فـي الظُّلُـماتِ قال: ظلـمة الـحوت, ثم حوت, ثم ظلـمة البحر.

قال أبو جعفر: والصواب من القول فـي ذلك أن يقال: إن اللـه أخـبر عـن يونس أنه ناداه فـي الظلــمات: إنْ لا إلـهَ إلا أنْـتَ سُـبْحانَكَ إنّــي كُنْـتُ مِـنَ الظّالِـمِينَ وَلا شك أنه قد عنى بإحدى الظلـمات: بطن الـحوت, وبــالأخرى: ظلــمة البحـر, وفــي الثالثـة اختلاف, وجـائز أن تكـون تلـك الثالثـة ظلــمة اللـيـل, وجائز أن تكون كون الـحوت فـي جوف حوت آخـر. ولا دلـيــل يـدلّ علـى أيّ ذلك من أيّ, فلا قول فـي ذلك أولـى بـالـحق من التسلـيـم لظـاهر التنزيـل.

وقوله: لا إلَهَ إلاّ أنْتَ سُبْحانَكَ يقول: نادى يونس بهذا القول معترفـا بذنبه تائبـا من خطيئته إنّـي كُنْتُ مِنَ الظّالِـمِينَ فـي معصيتـي إياك. كما:

18725ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, عن يزيد بن زياد, عن عبد الله بن أبـي سلـمة, عن سـعيد بـن جبــير, عـن ابـن عبــاس, قال: نادَى فـي الظُّلُـماتِ أنْ لا إلَهَ إلاّ أنْتَ سُبْحانَكَ إنّـي كُنْتُ مِنَ الظّالِـمِينَ معترفـا بذنبه, تائبـا من خطيئته.

18726ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, قال: أبو معشر: قال مـحمد بن قـيس: قوله: لا إلَهَ إلاّ أنْتَ سُـبْحانَكَ مـا صـنعتُ مـن شيء فلـم أعبد غيرك, إنّـي كُنْتُ مِنَ الظّالِـمِينَ حين عصيتك.

18727ـ حدثنا القاسـم, قـال: حـدثنا الــحسين, قـال: حـدثنا جعفـر بـن سلـيـمان, عن عوف الأعرابـي, قال: لـما صـار يـونس فــي بطـن الــحوت ظن أنه قد مات. ثم حرّك رجله, فلـما تـحركت سجد مكانه, ثم نادى: يا ربّ اتـخذتُ لك مسجدا فـي موضع ما اتـخذه أحد

18728ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, قال: ثنـي ابن إسحاق عمن حدثه, عن عبد الله بن رافع, مولـى أمّ سلــمة زوج النبــيّ صـلى اللـه عليـه وسلم, قال: سمعت أبــا هريـرة يقـول: قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم: «لَـمّا أرَادَ اللّهُ حَبْـسَ يُـونُسَ فِـي بَطْـنِ الـحُوتِ, أوْحَـى اللّـهُ إلــى الـحُوتِ: أنْ خُذْهُ وَلا تَـخْدِشْ لَهُ لَـحْما وَلا تَكْسِرْ عَظْما فأخَـذَهُ, ثُـمّ هَـوَى بِـهِ إلـى مَسْكَنِهِ مِنَ البَحْرِ فَلَـمّا انْتَهَى بِهِ إلـى أسْفَلِ البَحْرِ, سَمِعَ يُـونُسُ حِسّـا, فَقالَ فِـي نَفْسِهِ: ما هَذَا؟ قالَ: فَأوْحَى اللّهُ إلَـيْهِ وَهُوَ فِـي بَطْنِ الـحُوتِ: إنّ هَذَا تَسْبِـيحُ دَوَابّ البَحْـرِ, قـالَ: فَسَـبّحَ وَهُـوَ فِــي بَطْـنِ الــحُوتِ, فَسَـمِعَتِ الـمَلائِكَةُ تَسْبِـيحَهُ, فَقالُوا: يا رَبّنا إنّا نَسْمَعُ صَوْتا ضَعِيفـا بأرْضٍ غَرِيبَة؟ قـالَ: ذَاكَ عَبْدِي يُونُسُ, عَصَانِـي فَحَبَسْتُهُ فِـي بَطْـنِ الــحُوتِ فِــي البَحْـرِ. قـالُوا:

العَبْدُ الصّالِـحُ الّذِي كانَ يَصْعَدُ إلَـيْكَ مِنْهُ فِـي كُلّ يَوْمٍ وَلَـيْـلَةٍ عَمَـلٌ صَالِـحٌ؟ قالَ: نَعَمْ. قالَ: فَشَفَعُوا لَهُ عِنْدَ ذلكَ, فَأمَرَ الـحُوتَ فَقَذَفَهُ فِـي السّاحِلِ كما قالَ اللّهُ تَبـارَكَ وَتَعالـى: وَهُوَ سَقِـيـمٌ».

الآية : 88

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجّيْنَاهُ مِنَ الْغَمّ وَكَذَلِكَ نُنجِـي الْمُؤْمِنِينَ }.

يقول تعالـى ذكره: فـاسَتْـجَبْنَا لـيونس دعاءه إيانـا, إذ دعانـا فــي بطـن الـحوت, ونـجيناه من الغمّ الذي كان فـيه بحبْسناه فـي بطن الـحوت وغمــه بخطيئته وذنبه وكذَلكَ نُنْـجِي الـمُؤْمِنِـينَ يقول جلّ ثناؤه: وكما أنـجينا يـونس من كرب الــحبس فــي بطـن الــحوت فــي البحـر إذ دعانـا, كـذلك ننــجي الـمؤمنـين من كربهم إذا استغاثوا بنا ودعونا.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك جاء الأثر. ذكر من قال ذلك:

18729ـ حدثنا عمران بن بكار الكُلاعيّ, قال: حدثنا يحيى بن عبد الرحمن, قال: حدثنا أبو يحيى بن عبد الرحمن, قال: ثنـي بشر بن منصور, عن علــيّ بن زيد, عن سعيد بن الـمسيب, قال: سمعت سعد بن مالك يقول: سـمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اسْمُ اللّهِ الّذِي إذَا دُعِيَ بِـهِ أجـابَ وَإذَا سُئلَ بِهِ أعْطَى, دَعْوَةُ يُونُسَ بْنِ مَتّـى». قـال: فقلـت: يـا رسـول اللـه, هي لـيونس بن متـى خاصة أم لـجماعة الـمسلـمين؟ قالَ: «هيَ لِـيُونُسَ بْنِ مَتّـى خاصّةً, وللْـمُؤْمِنِـينَ عامّةً إذَا دَعَـوْا بِهـا ألَــمْ تَسْـمَعْ قَـوْلَ اللّـهِ تَبــارَكَ وَتَعالـى فَنـادَى فِــي الظّلُــماتِ أنْ لا إلَـهَ إلاّ أنْـتَ سُـبْحانَكَ إنّــي كُنْـتُ مِـنَ الظّالِـمِينَ فـاسْتَـجَبْنا لَهُ وَنّـجيّنْاهُ مِنَ الغَمّ وكَـذلكَ نُنْـجِي الـمُؤْمنــينَ؟ فهـو شرط الله لـمن دعاه بها».

واختلفت القرّاء فـي قراءة قوله: نُنْــجِي الـمُؤْمِنِــينَ فقـرأت ذلـك قـرّاء الأمصار, سوى عاصم, بنونـين الثانـية منهمـا سـاكنة, مـن أنــجيناه, فنــحن ننـجيه. وإنـما قرءوا ذلك كذلك وكتابته فـي الـمصاحف بنون واحدة, لأنه لــو قرىـء بنـون واحـدة وتشـديد الـجيــم, بــمعنى مـا لــم يسـمّ فــاعله, كـان «الـمؤمنون» رفعا, وهم فـي الـمصاحف منصوبون, ولو قرىء بنون واحـدة وتـخفـيف الـجيـم, كان الفعل للـمؤمنـين وكانوا رفعـا, ووجـب مـع ذلـك أن يكـون قـوله «نــجى» مكتوبــا بــالألف, لأنـه مـن ذوات الـواو, وهــو فــي الـمصاحف بـالـياء.

فإن قال قائل: فكيف كتب ذلك بنون واحد, وقد علـمت أن حكم ذلـك إذا قرىء: نُنْـجِي أن يُكتب بنونـين؟ قـيـل: لأن النون الثانـية لـما سـكنت وكـان الساكن غير ظاهر علـى اللسان حذفت كما فعلو ذلـك ب «إلاّ» لا, فحـذفوا النون من «إنْ» لـخفـائها, إذ كانت مندغمة فـي اللام مـن «لا». وقـرأ ذلـك عاصم: «نُـجّي الـمُؤمِنِـينَ» بنون واحدة, وتثقـيـل الـجيـم, وتسـكين الــياء. فإن يكن عاصم وجه قراءته ذلك إلــى قـول العـرب: ضـرب الضـرب زيـدا, فكنى عن الـمصدر الذي هو النـجاء, وجعل الـخبر أعنــي خـبر م ا لــم يسـمّ فـاعله الـمؤمنـين, كأنه أراد: وكذلك نُـجّي النّــجاءُ الـمؤمنــين, فكنـى عـن النـجاء فهو وجه, وإن كان غيره أصوب, وإلا فإن الذي قرأ من ذلك علـى مـا قرأه لـحنّ, لأن الـمؤمنـين اسـم علــى القـراءة التــي قرأهـا مـا لــم يسـمّ فـاعله, والعرب ترفع ما كان من الأسماء كذلك. وإنـما حمـل عاصـما علــى

هذه القراءة أنه وجد المصاحف بنون واحدة وكان في قراءته إياه على ما عليه قراءة القرّاء إلحاق نون أخرى ليست في المصحف, فظنّ أن ذلك زيادة ما ليس في المصحف, ولم يعرف لحذفها وجها يصرفه إليه.

قال أبو جعفر: والصواب من القراءة التي لا أستجيز غيرها في ذلك عندنا ما عليه قرّاء الأمصار, من قراءته بنونين وتخفيف الجيم, لإجماع الحجة من القرّاء عليها وتخطئتها خلافه.

الآية : 89 و 90

القول في تأويل قوله تعالى: {وَزَكَرِيّآ إِذْ نَادَىَ رَبّهُ رَبّ لاَ تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىَ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنّهُمْ كَانُواْ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُواْ لَنَا خاشِعِينَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واذكر يا محمد زكريا حين نادى ربه رَبّ لا تَذَرْنِي وحيدا فَرْدا لا ولد لي ولا عَقِب وأنْتَ خَيْرُ الوَارِثِينَ يقول: فارزقني وارثا من آل يعقوب يرثني. ثم ردّ الأمر إلى الله فقال: وأنْتَ خَيْرُ الوَارِثِينَ يقول الله جلّ ثناؤه: فاستجبنا لزكريا دعاءه, ووهبنا له يحيى ولدا ووارثا يرثه, وأصلحنا له زوجه.

واختلف أهل التأويل في معنى الصلاح الذي عناه الله جلّ ثناؤه بقوله: وأصْلَحْنا لَهُ زَوْجَه فقال بعضهم: كانت عقيما فأصلحها بأن جعلها وَلُودا. ذكر من قال ذلك:

18730ـ حدثنا محمد بن عبيد المحاربيّ, قال: حدثنا حاتم بن إسماعيل, عن حميد بن صخر, عن عمار, عن سعيد, في قوله: وأصْلَحْنا لَهُ زَوْجَهُ قال: كانت لا تلد.

18731ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عباس, في قوله: وأصْلَحْنا لَهُ زَوْجَهُ قال: وهبنا له ولدها.

18732ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قوله: وأصلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ كانت عاقرا, فجعلها الله وَلودا, ووهب له منها يحيى.

وقال آخرون: كانت سيئة الخُلق, فأصلحها الله له بأن رزقها حُسن الخُلُق.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أصلح لزكريا زوجه, كما أخبر تعالى ذكره بأن جعلها ولودا حسنة الخُلُق لأن كل ذلك من معاني إصلاحه إياها. ولم يخصُص الله جلّ ثناؤه بذلك بعضا دون بعض في كتابه ولا على لسان رسوله, ولاَ وضع على خصوص ذلك دلالة, فهو على العموم ما لم يأت ما يجب التسليم له بأن ذلك مراد به بعض دون بعض.

وقوله: إنّهُمْ كانُوا يُسارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ يقول الله: إن الذين سميناهم يعني زكريا وزوجه ويحيى كانوا يسارعون في الخيرات في طاعتنا, والعمل بما يقرّبهم إلينا.) وقوله: وَيَدْعُونَنا رَغَبا وَرَهَبا يقول تعالى ذكره: وكانوا يعبدوننا رغبا ورهَبا. وعَنَى بالدعاء في هذا الموضع: العبادة, كما قال: وأعْتَزِلُكُمْ وَما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ وأدْعُو رَبّي عَسى أن لا أكُونَ بدُعاءِ رَبّي شَقِيّاً ويعني بقوله: رَغَبا أنهم كانوا يعبدونه رغبة منهم فيما يرجون

منه من رحمته وفضله. وَرَهَبـايعنـي رهبة منهم من عـذابه وعقـابه, بـتركهم عبـادته وركوبهم معصيته.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

18733ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, ع ـن ابـن جُرَيج: إنّهُمْ كانُوا يُسارِعُونَ فِـي الـخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنا رَغَبـا وَرَهبَـا قـال: رغبـا فـي رحمة الله, ورهبـا من عذاب الله.

18734ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فـي قوله: وَيَدْعُونَنا رَغَبـا وَرَهَبـا قال: خوفـا وطمعا. قال: ولـيس ينبغي لأحـدهما أن يفـارق الآخر.

واختلفت القرّاء فـي قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الأمصار: رَغَبـا وَرَهبـا بفتـح الغين والهاء من الرغَـب والرهَـب. واختلـف ع ـن الأعمـش فـي ذلـك, فرُويت عنـه الـموافقة فـي ذلـك للقـرّاء, ورُوي عنـه أنـه قرأهـا: «رُغْبـا» «ورُهْبـا» بضم الراء فـي الـحرفـين وتسكين الغين والهاء.

والصواب من القراءة فـي ذلك ما علـيه قرّاء الأمصار, وذلك الفتـح فـي الـحرفـين كلـيهما.

وقوله: وكانُوا لَنا خاشِـعِينَ يقـول: وكـانوا لنـا متواضـعين متذللـين, ولا يستكبرون عن عبـادتنا ودعائنا.

الآية : 91

القول فـي تأويـل قـوله تعالـى: {وَالّتِـيَ أَحْصَـنَتْ فَرْجَهَـا فَنَفَخْنَـا فِيهَـا مِـن رّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَآ آيَةً لّلْعَالَمِينَ }.

يقول تعالـى ذكره لنبـيه مـحمد صـلى اللـه عليـه وسـلم: واذكـر التـي أحصنت فرجها, يعنـي مريـم بنت عمران. ويعنـي بقوله: أَحْصَنَتْ: حفظـت, ومنعت فرجها مـما حرّم الله علـيها إبـاحته فـيه.

واختُلف فـي الفرّج الذي عنى الله جلّ ثناؤه أنها أحصنته, فقـال بعضـهم: عَنَى بذلك فَرْجَ نفسها أنها حفظته من الفـاحشة.

وقال آخرون: عَنَى بذلك جيب درعها أنها منعت جبرئيـل منه قبل أن تعلـم أنه رسول ربها وقبل أن تثبته معرفة. قالوا: والـذي يـدلّ علـى ذلـك قـوله: فَنَفَخْنا فِـيها ويعقب ذلك قوله: والّتِـي أَحْصَنَتْ فَرْجَهـا قـالوا: وكـان معلومـا بذلك أن معنى الكلام: والتـي أحصنت جيبها فَنَفَخْنا فِـيها مِنْ رُوحِنا.

قال أبو جعفر: والذي هو أولـى القولـين عندنا بتأويـل ذلك قول من قـال: أحصنت فرجها من الفـاحشة لأن ذلك هو الأغلب من معنـيـيه علـيه والأظهر فـي ظاهر الكلام. فَنَفَخْنا فِـيها مِنْ رُوحِنا يقول: فنفخنا فـي جيب درعها من روحنا. وقد ذكرنا اختلاف الـمختلفـين فـي معنى قوله: فَنَفَخْنا فِـيها فـي غير هذا الـموضع والأولـى بـالصواب من القول فـي ذلك فـيـما مضى بـما أغنـي عن إعادته فـي هذا الـموضع.

وقوله: وَجَعَلْناها وَابْنَها آيَةً لِلْعَالـمِينَ يقـول: وجعلنـا مريـم وابنهـا عـبرة لعالـمي زمانهما يعتبرون بهما ويتفكـرون فـي أمرهمـا, فـيعلـمون عظيـم سلطاننا وقُدرتنا علـى ما نشاء وقـيـل «آية» ولـم يقـل «آيتـين» وقـد ذكـر آيتـين لأن معنى الكلام: جعلناهما عَلَـما لنا وحجة, فكـل واحـدة منهمـا فـي معنى الدلالة علـى اللـه وعلـى عظيـم قُـدرته يقـوم مقـام الآخـر, إذْ كـان أمرهما فـي الدلالة علـى الله واحدا.

الآية : 92

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ هَـَذِهِ أُمّتُكُمْ أُمّـةً وَاحِـدَةً وَأَنَـاْ رَبّكُـمْ فَاعْبُدُونِ }.

يقول تعالى ذكره: إن هذه مِلتكم ملة واحدة, وأنا ربكم أيها الناس فاعبدون دون الآلهة والأوثان وسائر ما تعبدون من دوني.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18735ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: أُمّتُكُمْ أُمّةً وَاحِدَةً يقول: دينكم دين واحد.

18736ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قال مجاهد, في قوله: إنّ هَذِهِ أُمّتُكُمْ أُمّةً وَاحِدَةً قال: دينكم دين واحد.

ونصبت الأمة الثانية على القطع, وبالنصب قرأه جماعة قرّاء الأمصار, وهو الصواب عندنا لأن الأمة الثانية نكرة والأولى معرفة وإذ كان ذلك كذلك, وكان الخبر قبل مجيء النكرة مستغنيا عنها كان وجه الكلام النصب, هذا مع إجماع الحجة من القرّاء عليه, وقد ذُكر عن عبد الله بن أبي إسحاق رفع ذلك أنه قرأه: «أُمّةٌ وَاحِدَةٌ» بنية تكرير الكلام, كأنه أراد: إن هذه أمتكم هذه أمة واحدة.

الآية : 93

القول في تأويل قوله تعالى: {وَتَقَطّعُواْ أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وتفرّق الناس في دينهم الذي أمرهم الله به ودعاهم إليه, فصاروا فيه أحزابا فهوّدت اليهود, وتنصّرت النصارى وعُبدت الأوثان. ثم أخبر جلّ ثناؤه عما هم إليه صائرون, وأن مرجع جميع أهل الأديان إليه متوعدا بذلك أهل الزيغ منهم والضلال, ومعلمهم أنه لهم بالمرصاد, وأنه مجاز جميعهم جزاء المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: وتَقَطّعُوا أمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18737ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَتَقَطّعُوا أمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ قال: تقطّعوا: اختلفوا في الدين.

الآية : 94

القول في تأويل قوله تعالى: {فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنّا لَهُ كَاتِبُونَ }.

يقول تعالى ذكره: فمن عمل من هؤلاء الذين تفرّقوا في دينهم بما أمره الله به من العمل الصالح, وأطاعه في أمره ونهيه, وهو مقرّ بواحدانية الله مصدّق بوعده ووعيده متبرّىء من الأنداد والآلهة فَلا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ يقول: فإن الله يشكر عمله الذي عمل له مطيعا له, وهو به مؤمن, فيثيبه في الآخرة ثوابه الذي وعد أهل طاعته أن يثيبهموه, ولا يكفر ذلك له فيجحذه ويحرمه ثوابه على عمله الصالح. وَإِنّا لَهُ كَاتِبُونَ يقول: ونحن نكتب أعماله الصالحة كلها فلا نترك منها شيئا, لنجزيه على صغير ذلك وكبيره وقليله وكثيره.

قال أبو جعفر: والكفران مصدر من قول القائل: كفرت فلانا نعمته فأنا أكفُره كُفْرا وكُفْرانا ومنه قوله الشاعر:

مِنَ النّاسِ ناسٌ ما تَنامُ خُدُودهُم وخَدّي وَلا كُفْرَانَ للّهِ نائِمُ

الآية : 95

القول في تأويل قوله تعالى: {وَحَرَامٌ عَلَىَ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَآ أَنّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ}.

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: وَحَرَامٌ فقرأته عامة قرّاء أهل الكوفة: «وَحِرْمٌ» بكسر الحاء. وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة: وَحَرَامٌ بفتح الحاء والألف.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان متفقتا المعنى غير مختلفتيه وذلك أن الحِرْم هو الحرام والحرام هو الحِرْم, كما الحلّ هو الحلال والحلال هو الحلّ, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب. وكان ابن عباس يقرؤه: «وَحِرْم» بتأويل: وعزم.

18738ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا بن علية, عن أبي المعلى, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, كان يقرؤها: «وحِرْمَ على قرية» قال: فقلت لسعيد: أيّ شيء حرم؟ قال: عزم.

حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبي المعلي, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, كان يقرؤها: «وحِرْمٌ عَلى قَرْيَةٍ» قلت لأبي المعلى: ما الحرم؟ قال: عزم عليها.

18739ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا عبد الأعلى, قال: حدثنا داود, عن عكرمة, عن ابن عباس: أنه كان يقرأ هذه الآية: «وَحِرْمٌ عَلى قَرْيَةٍ أهْلَكْناها أنّهُمْ لا يَرْجِعُونَ» فلا يرجع منهم راجع, ولا يتوب منهم تائب.

18740ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا عبد الوهاب, قال: حدثنا داود عن عكرمة, قال: وَحَرَامٌ عَلى قَرْيَةٍ أهْلَكْناها أنّهُمْ لا يَرْجِعُونَ» قال: لم يكن ليرجع منهم راجع, حرام عليهم ذلك.

18741ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا عيسى بن فرقد, قال: حدثنا جابر الجعفي, قال: سألت أبا جعفر عن الرجعة, فقرأ هذه الآية: وَحَرَامٌ عَلى قَرْيَةٍ أهْلَكْناها أنّهُمْ لا يَرْجِعُونَ.

فكأن أبا جعفر وجه تأويل ذلك إلى أنه: وحرام على أهل قرية أمتناهم أن يرجعوا إلى الدنيا. والقول الذي قاله عكرِمة في ذلك أولى عندي بالصواب وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن تفريق الناس دينهم الذي بُعث به إليه الرسل, ثم أخبر عن صنيعه بمن عمل بما دعته إليه رسله من الإيمان به والعمل بطاعته, ثم أتبع ذلك قوله: وَحَرامٌ عَلى قَرْيَةٍ أهْلَكْناها أنّهُمْ لا يَرْجِعُونَ فلأن يكون ذلك خبرا عن صنيعه بمن أبى أجابة رسله وعمل بمعصيته وكفر به, أحرى, ليكون بيانا عن حال القرية الأخرى التي لم تعمل الصالحات وكفرت به.

فإذا كان ذلك كذلك, فتأويل الكلام: حرام على أهل قرية أهلكناهم بطبعنا على قلوبهم وختمنا على أسماعهم وأبصارهم, إذ صدّوا عن سبيلنا وكفروا بآياتنا, أن يتوبوا ويراجعوا الإيمان بنا واتباع أمرنا والعمل بطاعتنا. وإذ كان ذلك تأويل قوله الله: «وَحِرْمٌ» وعَزْم, على ما قال سعيد, لم تكن «لا» في قوله: أنّهُمْ لا يَرْجِعُونَ صلة, بل تكون بمعنى النفي, ويكن معنى

الكلام: وعزم منا على قرية أهلكناها أن لا يرجعوا عن كفرهم. وكذلك إذا كان معنى قوله: «وَحَرَمٌ» نوجبه. وقد زعم بعضهم أنها في هذا الموضع صلة, فإن معنى الكلام: وحرام على قرية أهلكناها أن يرجعوا, وأهل التأويل الذين ذكرناهم كان أعلم بمعنى ذلك منه

الآية : 96

القول في تأويل قوله تعالى: {حَتّىَ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مّن كُلّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: حتى إذا فُتح عن يأجوج ومأجوج, وهما أمّتان من الأمم ردمهما كما:

18742ـ حدثني عصام بن داود بن الجراح, قال: ثني أبي, قال: حدثنا سفيان بن سعيد الثوريّ, قال: حدثنا منصور بن المعتمر, عن رِبْعِيّ بن حِرَاش, قال: سمعت حُذيفة بن اليمان يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أوّلُ الآياتِ: الدّجّالُ, وَنُزُلُ عِيسَى, وَنارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنِ أبْيَنَ, تَسُوقُ النّاسَ إلى المَحْشَرِ, تَقِيلُ مَعَهُمْ إذَا قالُوا. والدّخانُ, والدّابّةُ, ثُمّ يَأجُوجُ ومَأجُوجُ» قال حُذيفة: قلت: يا رسول الله, وما يأجوج ومأجوج؟ قال: «يَأجُوجُ ومَأجُوجُ أُمَمٌ, كُلّ أُمّةٍ أرْبَعُ مِئَةِ ألْفٍ, لا يَمُوتُ الرّجُلُ مِنْهُمْ حتى يَرَى ألْفَ عَيْنٍ تَطْرِفُ بينَ يَدَيْهِ مِنْ صُلْبِهِ, وَهُمْ وَلَدُ آدَمَ, فَيَسِيرُونَ إلى خَرَابِ الدّنيْا, يَكُونُ مُقَدّمَتُهُمْ بالشّامِ وَساقَتُهُمْ بالعِرَاقِ, فَيَمُرّونَ بأنهَارِ الدّنيا, فَيَشْرَبُونَ الفُرَاتَ والدّجْلَةَ وبُحَيْرَةَ الطّبَرِيّةِ حتى يَأتُوا بَيْتَ المَقْدِسِ, فَيَقُولُونَ قَدْ قَتَلْنا أهْلَ الدّنيْا فَقاتِلُوا مَنْ فِي السّماءِ, فَيَرْمَونَ بالنّشّابِ إلى السّماءِ, فَترْجِعُ نُشابُهُمْ مُخَضّبَةً بالدّمِ, فَيَقُولُونَ قَدْ قَتَلْنا مَنْ فِي السّماءِ, وَعِيسَى والمُسْلِمُونَ بجَبَلِ طُورِ سِينِينَ, فَيُوحِي اللّهُ جَلّ جَلالُهُ إلى عِيسَى: أنْ أحْرِزْ عِبادِي بالطّورِ وَما يَلي أيْلَةَ ثُمّ إنّ عِيسَ يَرْفَعُ رأسَهُ إلى السّماءِ, وَيُؤَمّنُ المُسْلِمونَ فَيَبْعَثُ اللّهُ عَلَيْهِمْ دَابّةً يُقالُ لَهَا النّغَفُ, تَدْخُلُ مِنْ مَناخِرِهِمْ فَيُصْبِحُونَ مَوْتَى مِنْ حاقِ الشّامِ إلى حاقِ العِرَاقِ, حتى تَنْتَنَ الأرْضُ مِنْ جِيفِهِمْ ويَأمُرُ اللّهُ السّماءَ فتُمْطِرُ كأفْوَاهِ القِرَبِ, فَتَغْسِلُ الأرْض مِنْ جِيَفِهِمْ وَتَنْنِهِمْ, فَعِنْدَ ذلكَ طُلُوعُ الشّمْسِ مِنْ مَغْرِبِها».

18743ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن أبي جعفر, عن الربيع, عن أبي العالية, قال: إن يأجوج ومأجوج يزيدون على سائر الإنس الضّعف, وإن الجنّ يزيدون على الإنس الضعف, وإن يأجوج ومأجوج رجلان اسمهما يأجوج ومأجوج.

18744ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبي إسحاق, قال: سمعت وهب بن جابر يحدث, عن عبد الله بن عمرو أنه قال: إن يأجوج ومأجوج يمرّ أولهم بنهر مثل دجلة, ويمرّ آخرهم فيقول: قد كان في هذا مرّة ماء. لا يموت رجل منهم إلا ترك من ذريته ألفا فصاعدا. وقال: مِن بعدهم ثلاثُ أمم لا يعلم عددهم إلا الله: تاويل, وتاريس, وناسك أو منسك شكّ شعبة.

18745ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى, قال: حدثنا سفيان, عن أبي إسحاق, عن وهب بن جابر الخيواني, قال: سألت عبد الله بن عمرو, عن

يأجوج ومأجوج, أمن بني آدم هم؟ قال: نعم, ومن بعدهم ثلاث أمم لا يعلم عددهم إلا الله: تاريس, وتاويل, ومنسك.
18746ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا سهل بن حماد أبو عتاب, قال: حدثنا شعبة, عن النعمان بن سالم, قال: سمعت نافع بن جبير بن مطعم يقول: قال عبد الله بن عمرو: يأجوج ومأجوج لهم أنهار يَلْقَمون ما شاءوا, ونساء يجامعون ما شاءوا, وشجر يلقمون ما شاءوا, ولا يموت رجل إلا ترك من ذرّيته ألفا فصاعدا.
18747ـ حدثنا محمد بن عمارة, قال: حدثنا عبد الله بن موسى, قال: أخبرنا زكريا, عن عامر, عن عمرو بن ميمون, عن عبد الله بن سلام, قال: ما مات أحد من يأجوج ومأجوج إلا ترك ألف ذرء فصاعدا.
18748ـ حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي, قال: حدثنا أبي, عن أبيه, عن جدّه, عن الأعمش, عن عطية, قال: قال أبو سعيد: يخرج يأجوج ومأجوج فلا يتركون أحد إلا قتلوه, إلا أهل الحصون, فيمرّون على البحيرة فيشربونها, فيمرّ المارّ فيقول: كأنه كان ههنا ماء, قال: فيبعث الله عليهم النغف حتى يكسر أعناقهم فيصيروا خبالاً, فتقول أهل الحصون: لقد هلك أعداء الله, فيدلّون رجلاً لينظر, ويشترط عليهم إن وجدهم أحياء أن يرفعوه, فيجدهم قد هلكوا, قال: فينزل الله ماء من السماء فيقذفهم في البحر, فتطهر الأرض منهم, ويغرس الناس بعدهم الشجر والنخل, وتخرج الأرض ثمرتها كما كانت تخرج في زمن يأجوج ومأجوج.
18749ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن عبيد الله بن أبي يزيد, قال: رأى ابن عباس صبيانا ينزو بعضهم على بعض يلعبون, فقال ابن عباس: هكذا يخرج يأجوج ومأجوج.
18750ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا الحكم, قال: حدثنا عمرو بن قيس, قال: بلغنا أن ملكا دون الردم يبعث خيلاً كل يوم يحرسون الردم لا يأمن يأجوج ومأجوج أن تخرج عليهم, قال: فيسمعون جلبة وأمرا شديدا.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن أبي إسحاق, أن عبد الله بن عمرو, قال: ما يموت الرجل من يأجوج ومأجوج حتى يولد له من صلبه ألف, وإن من ورائهم لثلاث أمم ما يعلم عددهم إلا الله: منسك, وتاويل, وتاريس.
18751ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة, عن عمرو البِكالي, قال: إن الله جزأ الملائكة والإنس والجنّ عشرة أجزاء فتسعة منهم الكروبيون وهم الملائكة الذي يحملون العرش, ثم هم أيضا الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون. قال: ومن بقي من الملائكة لأمر الله ووحيه ورسالته. ثم جزّأ الإنس والجنّ عشرة أجزاء, فتسعة منهم الجن, لا يولد من الإنس ولد إلا ولد من الجن تسعة. ثم جزأ الإنس على عشرة أجزاء, فتسعة منهم يأجوج ومأجوج, وسائر الإنس جزء.
18752ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قوله: حتى إذَا فُتحتْ يَأجُوج وَمأجُوجُ قال: أمّتانِ من وراء ردم ذي القرنين.
18753ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن غير واحد, عن حميد بن هلال, عن أبي الصيف, قال: كعب: إذا كان عند خروج

يأجوج ومأجوج حفروا حتى يسمع الذين يلونهم قرع فئوسهم, فإذا كان الليل قالوا: نجيء غدا فنخرج, فيعيدها الله كما كانت, فيجيئون من الغد فيجدونه قد أعاده الله كما كان, فيحفرونه حتى يسمع الذين يلونهم قرع فئوسهم, فإذا كان الليل ألقى الله على لسان رجل منهم يقول: نجيء غدا فنخرج إن شاء الله. فيجيئون من الغد فيجدونه كما تركوه, فيحفرون ثم يخرجون. فتمرّ الزمرة الأولى بالبحيرة فيشربون ماءها, ثم تمرّ الزمرة الثانية فيلحسون طينها, ثم تمرّ الزمرة الثالثة فيقولون: قد كان ههنا مرّة ماء. وتفرّ الناس منهم, فلا يقوم لهم شيء, يرمون بسهامهم إلى السماء, فترجع مخضبة بالدماء, فيقولون: غلبْنا أهل الأرض وأهل السماء. فيدعو عليهم عيسى ابن مريم, فيقول: اللهمّ لا طاقة ولا يدين لنا بهم, فاكفناهم بما شئت فيسلط الله عليهم دودا يقال له النغف فتفرس رقابهم, ويبعث الله عليهم طيرا فتأخذهم بمناقرها فتلقيهم في البحر, ويبعث الله عينا يقال لها الحياة تطهر الأرض منهم وتنبتها, حتى إن الرمانة ليشبع منها السكن. قيل: وما السكن يا كعب؟ قال: أهل البيت. قال: فبينا الناس كذلك, إذ أتاهم الصريخ أن ذا السويقتين يريده, فيبعث عيسى طليعة سبع مئة, أو بين السبع مئة والثمان مئة, حتى إذا كانوا بعض الطريق بعث الله ريحا يمانية طيبة, فيقبض الله فيها روح كلّ مؤمن, ثم يبقى عَجَاجٌ من الناس يتسافدون كما تتسافد البهائم فمثَل الساعة كمثل رجل يطيف حول فرسه ينتظرها متى تضع. فمن تكلف بعد قولي هذا شيئا أو على هذا شيئا فهو المتلكف.

18754ـ حدثنا العباس بن الوليد البيروتي, قال: أخبرني أبي, قال: سمعت ابن جابر, قال: ثني محمد بن جابر الطائي ثم الحمصي, ثني عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمي, قال: ثني أبي أنه سمع النوّاس بن سمعان الكلابي يقول: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال, وذكر أمره, وأن عيسى ابن مريم يقتله, ثم قال: «فَبيْنَا هُوَ كَذَلِكَ, أَوْحَى الله إليه: يا عِيسَى, إني قد أَخْرَجْتُ عِبَادا لي لا يَد لأحَدٍ بِقتَالِهِمْ, فَحَرّزْ عِبَادِي إلى الطّورِ فيَبعثَ الله يأجُوجَ ومَأجُوجَ, وهم مِنْ كُلّ حَدْبٍ يَنْسِلُونَ, فَيمُرّ أَحَدُهُمْ على بحيرة طَبَريّةَ, فيَشْرَبُونَ ما فيها, ثم ينزل آخرهم, ثم يقول: لقد كان بهذه ماء مَرّة. فيحاصر نبيّ الله عِيسَى وأصحابه, حتى يكون رَأسُ الثورِ يومئذ خَيْرا لأحدهم مِنْ مِئَةِ دينارٍ لأحدكم, فيرغب نبيّ الله عيسى وأصحابُه إلى الله, فيُرْسِل الله عليهم النّغَفَ في رِقَابِهِمْ, فيُصْبِحُونَ فَرْسى مَوْت نَفْسٍ واحِدَةٍ, فَيهْبِطُ نبيّ الله عيسى وأصْحَابُه, فلا يَجِدُونَ مَوْضَعا إلا قد ملأه زُهْمَهُمْ ونتنهم ودماؤهم, فيرغب نبيّ الله عيسى وأصحابه إلى الله, فيُرْسِل عليهم طيرا كأعْنَاقِ البُخْتِ, فتَحْمِلُهُم فَتطْرَحُهُمْ حَيْثُ شاء الله, ثم يُرْسِلُ الله مطرا لا يَكُنّ منه بَيْتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ, فيغسل الأرض حتى يتركها كالزّلَفة.

وأما قوله: وَهُمْ مِنْ كُلّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنيّ به, فقال بعضهم: عُني بذلك بنو آدم أنهم يخرجون من كل موضع كانوا دفنوا فيه من الأرض, وإنما عُني بذلك الحشرُ إلى موقف الناس يوم القيامة. ذكر من قال ذلك:

18755ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, عن ابن أبي نجيح, عن

مـجاهد, فـي قوله: مِنْ كُلّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ قال: جمع النـاس مـن كـلّ مكـان جاءوا منه يوم القـيامة, فهو حَدَبٌ.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جُرَيـح: وَهُمْ مِنْ كُلّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ, قال ابن جُرَيج: قال مــجاهد: جمـع النـاس مـن كلّ حدب من مكان جاءوا منه يوم القـيامة فهو حدب.

وقال آخرون: بل عنــي بـذلك يـأجوج, ومـأجوج وقـوله: «وهـم» وكنايـة أسمائهم ذكر من قال ذلك:

18756ـ حدثنا مـحمد بن بشار, قـال: حـدثنا عبـد الرحمـن, قـال: حـدثنا سفـيان, عن سلـمة بن كهيـل, قال: حدثنا أبـو الزعـراء, عـن عبـد اللـه أنـه قال: يخرج يأجوج ومأجوج فـيـمرحون فـي الأرض, فـيُفسدون فـيها. ثم قرأ عبد الله: وَهُمْ مِنْ كُلّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ قال: ثم يبعـث اللـه علــيهم دابّـة مثـل النغف, فتَلِـجُ فـي أسماعهم ومناخرهم فـيـموتون منها فتنتـن الأرض منهـم, فـيرسل الله عزّ وجلّ ماء فـيطهر الأرض منهم.

والصواب من القول فـي ذلك مـا قـاله الـذين قـالوا: عنــي بـذلك يـأجوج ومأجوج, وأن قوله: وَهُمْ كناية عن أسمائهم, للـخبر الذي:

18757ـ حدثنا به ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن مـحمد بـن إسـحاق, عن عاصم بن عمر, عن قتادة الأنصاري, ثم الظفري, عن مـحمود بـن لبـيد أخي بنـي عبد الأشهل, عن أبـي سعيد الـخدريّ قـال: سـمعت رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم يقول: «يُفْتَـحُ يأجُوجُ ومَـأجُوجَ يَخْرُجُـونَ عَلــى النّـاسِ كمَا قالَ اللّهُ مِنْ كُلّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ فَـيُغَشّونَ الأرضَ».

18758ـ حدثنـي أحمد بن إبراهيـم, قال: حدثنا هشيــم بـن بشـير, قـال: أخبرنا العوّام بن حوشب, عن جبلة بن سحيـم, عن مؤثر, وهـو ابـن عفــازة العبدي, عن عبد الله بن مسـعود, قـال: قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم فـيـما يُذكر عن عيسى ابن مريـم, قال: «عيسى: عَهِدَ إلـيّ رَبّــي أنّ الدّجّالَ خارِجٌ, وأنّهُ مُهْبِطِي إلَـيْهِ, فذكر أنّ مَعَهُ قَضِيبَـيْنِ, فـإذَا رآنــي أهْلَكَـهُ اللّهُ. قالَ: فَـيَذُوبُ كمَا يَذُوبُ الرّصَاصُ, حتـى إنّ الشّجَرَ والـحَجَرَ لـيَقُولُ: يا مُسْلِـمُ هَذَا كافِرٌ فـاقْتُلْهُ فَـيُهْلِكُهُمْ اللّهُ تَبـارَكَ وَتَعالـى, وَيَرْجِـعُ النّـاسُ إلــى بِلادِهِمْ وأوْطانِهِمْ. فَـيَسْتَقْبِلُهُمْ يَـأجُوجُ وَمـأجُوجُ مِـنْ كُـلّ حَـدَبٍ يَنْسِـلُونَ, لاَ يأتُونَ عَلـى شَيْءٍ إلاّ أهْلَكُوهُ, وَلاَ يـمُرّونَ علـى ماءٍ إلاّ شَرِبوهُ».

حدثنـي عبـيد بن إسماعيـل الهبـاري, قال: حدثنا الـمـحاربـي, عن أصبغ بن زيد, عن العوّام بن حوشب, عن جبلة بن سحيـم, عن موثر بــن عفــازة, عن عبد الله بن مسعود, عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنـحوه.

وأما قوله: مِنْ كُلّ حَدَبٍ فإنه يعنـي من كل شرف ونشَز وأكمة.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

18759ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا عبد الله, قال ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: مِنْ كُلّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ يقول: من كلّ شرف يُقْبِلون.

18760ـ حدثنا ابن عبد الأعلـى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر عن قتادة: مِنْ كُلّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ قال: من كلّ أكمة.

18761ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله: وَهُمْ مِنْ كُلّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ قال: الــحَدَبُ: الشـيء الــمشرف. وق ال الشاعر:

..... عَلـى الـحِدَابِ تَـمُورُ

18762ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: حتى إذا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ ومَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ قال: هذا مبتدأ يوم القيامة.

وأما قوله: يَنْسِلُونَ فإنه يعني: أنهم يخرجون مشاة مسرعين في مشيهم كنسلان الذئب, كما قال الشاعر:

عَسَلانَ الذّئْبِ أمْسَى قارب ابرد اللّيْلُ عَلَيْهِ فَنَسَلْ

الآية : 97

القول في تأويل قوله تعالى: {وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الّذِينَ كَفَرُواْ يَوَيْلَنَا قَدْ كُنّا فِي غَفْلَةٍ مّنْ هَذَا بَلْ كُنّا ظَالِمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: حتى إذا فُتحت يأجوج ومأجوج, اقترب الوعد الحقّ, وذلك وعد الله الذي وعد عباده أنه يبعثهم من قبورهم للجزاء والثواب والعقاب, وهو لا شكّ حق كما قال جلّ ثناؤه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18762ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا الحكم بن بشير, قال: حدثنا عمرو, يعني ابن قيس, قال: حدثنا حذيفة: لو أن رجلاً افْتَلَى فُلُوّا بعد خروج يأجوج ومأجوج لم يركبه حتى تقوم القيامة.

18763ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَاقْتَرَبَ الوَعْد الحَقّ قال: اقترب يوم القيامة منهم.

والواو في قوله: وَاقْتَرَب الْوَعْدُ الحَقّ مقحمة, ومعنى الكلام: حتى إذا فُتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحقّ, وذلك نظير قوله: فَلَمّا أسْلَما وَتَلّهُ للجَبِينِ وَنادَيناهُ معناه: ناديناه, بغير واو, كما قال امرؤ القيس:

فَلَمّا أجَزْنا ساحَة الحَيّ وانْتَحَى بِنا بَطْنُ خَبْتٍ ذي حِقافٍ عَقَنْقَلِ

يريد: فلما أجزنا ساحة الحيّ انتحى بنا.

وقوله: فإذَا هِيَ شاخِصَةٌ أبْصَارُ الّذِينَ كَفَرُوا ففي هي التي في قوله فإذا هي وجهان: أحدهما أن تكون كناية عن الأبصار وتكون الأبصار الظاهرة بيانا عنها, كما قال الشاعر:

لَعَمْرُو أبِيها لا تَقُولُ ظَعِينَتيألا فَرّ عَنّي مالكُ بن أبي كَعْبِ

فكنى عن الظعينة في: «لعمرو أبيها», ثم أظهرها, فيكون تأويل الكلام حينئذٍ: فإذا الأبصار شاخصة أبصار الذين كفروا.

والثاني: أن تكون عمادا كما قال جلّ ثناؤه: فإنّها لا تَعْمَى الأبْصَارُ وكقول الشاعر:

فَهَلْ هُوَ مَرْفُوعٌ بِما هَهُنا رأْسْ

وقوله: يا وَيْلَنا قَدْ كُنّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا يقول تعالى ذكره: فإذا أبصار الذين كفروا قد شخصت عند مجيء الوعد الحقّ بأهواله وقيام الساعة بحقائقها, وهم يقولون: يا ويلنا قد كنا قبل هذا الوقت في الوقت في الدنيا في غفلة من هذا الذي نرى ونعاين ونزل بنا من عظيم البلاء. وفي الكلام متروك تُرِك ذكره استغناء بدلالة ما ذُكر عليه عنه, وذلك «يقولون» من قوله: فإذَا هِيَ شاخصَةٌ أبْصَارُ الّذِينَ كَفَرُوا يقولون: يا ويلنا. وقوله: بَلْ كُنّا ظالِمِينَ يقول مخبرا عن قيل الذين كفروا بالله يومئذٍ: ما كنا نعمل لهذا اليوم ما ينجينا من شدائده, بل كنا ظالمين بمعصيتنا ربنا وطاعتنا إبليس وجنده في عبادة غير الله عزّ وجلّ.

الآية : 98

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ حَصَبُ جَهَنّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ }.

يقول تعالى ذكره: إنكم أيها المشركون بالله, العابدون من دونه الأوثان والأصنام, وما تعبدون من دون الله من الآلهة. كما:

18764ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: إنّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ يعني الآلهة ومن يعبدها, حَصَبُ جَهَنّمَ.

وأما حصب جهنم, فقال بعضهم: معناه: وقود جهنم وشجرها. ذكر من قال ذلك:

18765ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: حَصَبُ جَهَنّمَ: شجر جهنم.

18766ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: إنّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ حَصَبُ جَهَنّمَ يقول: وقودها.

وقال آخرون: بل معناه: حطب جهنم. ذكر من قال ذلك:

18767ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: حَصَبُ جَهَنّمَ قال: حطبها.

18768ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, (مثله) وزاد فيه: وفي بعض القراءة: «حَطَبُ جَهَنّمَ» يعني في قراءة عائشة.

18769ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قَتادة: حَصَبُ جَهَنّمَ قال: حصب جهنم يقذفون فيها.

18770ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن ابن الحر, عن عكرِمة, قوله: حَصَبُ جَهَنّمَ قال: حطب جهنم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك أنهم يُرْمَى بهم في جهنم. ذكر من قال ذلك:

18771ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: حَصَبُ جَهَنّمَ يقول: إن جهنم إنما تحصب بهم, وهو الرمي يقول: يرمي بهم فيها.

واختلف في قراءة ذلك, فقرأته قرّاء الأمصار: حَصَبُ جَهَنّمَ بالصاد, وكذلك القراءة عندنا لإجماع الحجة عليه.

ورُوي عن عليّ وعائشة أنهما كانا يقرآن ذلك: «حَطَبُ جَهَنّمَ» بالطاء. ورُوي عن ابن عباس أنه قرأه: «حَضَبُ» بالضاد.

18772ـ حدثنا بذلك أحمد بن يوسف, قال: حدثنا القاسم, قال: حدثنا إبراهيم بن محمد, عن عثمان بن عبد الله, عن عكرمة, عن ابن عباس, أنه قرأها كذلك.

وكأن ابن عباس إن كان قرأ ذلك كذلك, أراد أنهم الذين تُسجر بهم جهنم ويوقد بهم فيها النار وذلك أن كل ما هيجت به النار وأوقدت به, فهو عند العرب حضب لها. فإذا كان الصواب من القراءة في ذلك ما ذكرنا, وكان المعروف من معنى الحصب عند العرب: الرمي, من قولهم: حصبت الرجل: إذا رميته, كما قال جلّ ثناؤه: إنّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ حاصِبا كان الأولى

بتأويل ذلك قول من قال: معناه أنهم تقذف جهنم بهم ويرمى بهم فيها. وقد ذكر أن الحصب في لغة أهل اليمين: الحطب, فإن يكن ذلك كذلك فهو أيضا وجه صحيح. وأما ما قلنا من أن معناه الرمي فإنه في لغة أهل نجد. وأما قوله: أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ فإن معناه: أنتم عليها أيها الناس أو إليها واردون, يقول: داخلون. وقد بيّنت معنى الورود فيما مضى قبل بما أغني عن إعادته في هذا الموضع.

الآية : 99

القول في تأويل قوله تعالى: {لَوْ كَانَ هَـَؤُلآءِ آلِهَةً مّا وَرَدُوهَا وَكُلّ فِيهَا خَالِدُونَ }.

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم أنهم ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون, وهم مشركو قريش: أنتم أيها المشركون, وما تعبدون من دون الله واردو جهنم, ولو كان ما تعبدون من دون الله آلهة ما وردوها, بل كانت تمنع من أراد أن يوردكموها إذ كنتم لها في الدنيا عابدين, ولكنها إذ كانت لا نفع عندها لأنفسها ولا عندها دفع ضرّ عنها, فهي من أن يكون ذلك عندها لغيرها أبعد, ومن كان كذلك كان بينا بعده من الألوهة, وأن الإله هو الذي يقدر على ما يشاء ولا يقدر عليه شيء, فأما من كان مقدورا عليه فغير جائز أن يكون إلها. وقوله: وكلّ فِيها خالِدُونَ يعني الآلهة ومن عبدها أنهم ماكثون في النار أبدا بغير نهاية وإنما معنى الكلام: كلكم فيها خالدون.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18773ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: لَوْ كانَ هُؤُلاءِ آلِهَةً ما وَرَدُوها وَكُلّ فِيها خالِدُونَ قال: الآلهة التي عبد القوم, قال: العابد والمعبود.

الآية : 100 - 101

القول في تأويل قوله تعالى: {لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لاَ يَسْمَعُونَ * إِنّ الّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مّنّا الْحُسْنَىَ أُوْلَـَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ }.

يعني تعالى ذكره بقولهم: لَهُمْ المشركين وآلهتهم, والهاء, والميم في قوله: لَهُمْ من ذكر «كلّ» التي في قوله: وُكلّ فِيا خالِدُونَ. يقول تعالى ذكره: لكلهم في جهنم زفير, وَهُمْ فِيها لا يَسْمَعُونَ يقول: وهم في النار لا يسمعون.

وكان ابن مسعود يتأوّل في قوله: وَهُمْ فِيها لا يَسْمَعُونَ ما:

18774ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن المسعودي, عن يونس بن خباب, قال: قرأ ابن مسعود هذه الآية: لَهُمْ فِيها زَفِير وَهُمْ فِيها لا يَسْمَعُونَ قال: إذا ألقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار, ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت أخرى, ثم جعلت التوابيت أخرى فيها مسامير من نار, فلا يرى أحد منهم أن في النار أحدا يعذّب غيره. ثم قرأ: لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وَهُمْ فِيها لا يَسْمَعُونَ.

وأما قوله: إنّ الّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنّا الحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنيّ به, فقال بعضهم: عُني به كل من سبقت له من الله السعادة من خلقه أنه عن النار مُبعد. ذكر من قال ذلك:

18775ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبي بشر, عن يوسف بن سعد وليس بابن ماهَك عن محمد بن حاطب, قال: سمعت عليّا يخطب فقرأ هذه الآية: إنّ الّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنّا الحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ. قال: عثمان رضي الله عنه منهم.

وقال آخرون: بل عُني: من عُبد مِن دون الله, وهو لله طائع ولعبادة من يَعبد كاره. ذكر من قال ذلك:

18776ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى. وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: أُولَئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ قال: عيسى, وعُزَير, والملائكة.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.

قال ابن جُرَيج: قوله: إنّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ ثم استثنى فقال: إنّ الّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنّا الحُسْنَى.

18777ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, عن الحسين, عن يزيد, عن عكرمة, والحسن البصري قالا: قال في سورة الأنبياء: إنّكُمْ وَما تَعْبُدونَ مِنْ دونِ اللّهِ حَصَبِ جَهَنمَ أنْتُمْ لَهَا وَارِدونَ لَوْ كانَ هَؤلاءِ آلِهَةً ما وَرَدُوها وَكُلّ فِيها خالِدُونَ لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وَهُمْ فِيها لا يَسْمَعُونَ ثم استثنى فقال: إنّ الّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنّا الحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ فقد عُبدت الملائكة من دون الله, وعُزَيرٌ وعيسى من دون الله.

18778ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن يمان, عن أشعث, عن جعفر, عن سعيد: أُولَئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ قال: عيسى.

18779ـ حدثني إسماعيل بن سيف, قال: حدثنا عليّ بن مسهر, قال: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد, عن أبي صالح في قوله: إنّ الّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنّا الحُسْنَى قال: عيسى, وأمه, وعُزَير, والملائكة.

18780ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني يوما مع الوليد بن المغيرة, فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم وفي المجلس غير واحد من رجال قريش, فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم, فعرض له النضر بن الحارث, وكلّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه, ثم تلا عليه وعليهم: إنّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ حَصَبُ جَهَنّمَ أنْتُمْ لَهاَ وَارِدُونَ لَوْ كان هَؤُلاءِ آلِهَةً ما وَرَدُوها وكُلّ فِيها خالِدُونَ.... إلى قوله: وَهُمْ فِيها لا يَسْمَعُونَ. ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم, وأقبل عبد الله بن الزّبَعْرَي بن قيس بن عدي السهميّ حتى جلس, فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزّبَعْري: والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفا وما قعد, وقد زعم أنّا وما نعبد من آلهتنا هذه حَصَب جهنم فقال عبد الله بن الزّبَعْري: أما والله لو وجدته لخصَمته فسلوا محمدا: أكلّ من عبد من دون الله في جهنم مع من عَبده؟ فنحن نعبد الملائكة, واليهود تعبد عُزَيرا, والنصارى تعبد المسيح عيسى ابن مريم. فعجب الوليد بن المغيرة ومن كان في المجلس من قول عبد الله بن الزّبَعْري, (ورأوا أنّه قد احتجّ وخاصم. فذُكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قول ابن الزبعري, فقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نَعَمْ كُلّ مَنْ أحَبّ أنْ

يُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللّهِ فَهُوَ مَعَ مَنْ عَبَدَهُ, إنّـمَا يَعْبَـدُونَ الشّـياطِينَ وَمَـنْ أمَرَهُـمْ بعِبـادَتهِ». فأنزل الله علـيه: إنّ الّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنّا الـحُسْنَى أُولَئِـكَ عَنْهـا مُبْعَدُونَ... إلـى: خالِدُونَ أي عيسـى ابـن مريـم, وعُزيـر, ومـن عَبـدوا مـن الأحبـار والرهبـان الذي مضَوا علـى طاعة الله, فـاتـخذهم مَـنْ بعـدهم مـن أهل الضلالة أربـابـا مـن دون الله. فـأنزل اللـه فـيـما ذكـروا أنهـم يعبـدون الـملائكة وأنهـا بنـات اللـه: وَقـالُوا اتّـخَذَ الرّحْمَـنُ وَلَـدا سُـبْحانَهَ بَـلْ عِبـادٌ مُكْرَمونَ... إلـى قوله: نَـجْزِي الظّالِـمينَ.

18781ـ حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: أخبرنا عبـيد, قال: سمعت الضحاك, قال: يقول ناس من الناس إنّ الّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنّـا الـحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ يعنـي من الناس أجمعين. فلـيس كذلك, إنـما يعنـي من يعبد الآلهة وهو للـه مطيـع مثـل عيسـى وأمـه وعُزَيـر والـملائكة, واستثنى الله هؤلاء الآلهة الـمعبودة التـي هي ومَنْ يعبدها فـي النار.

18782ـ حدثنا ابن سِنان القزاز, قال: حدثنا الـحسن بن الـحسين الأشقر, قال: حدثنا أبو كدينة, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بـن جبـير, عـن ابـن عبـاس, قال: لـما نزلت: إنّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ حَصَبُ جَهَنّـمَ أنْتُـمْ لَهَا وَارِدُون قال الـمشركون: فـإن عيسـى يُعبـد وعُزَيـر والشـمس والقمـر يُعبدون فأنزل الله: إنّ الّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنّا الـحُسْنَى أُولَئِـكَ عَنْهـا مُبْعَـدُونَ لعيسى وغيره.

وأولـى الأقوال فـي تأويـل ذلك بـالصواب قول من قال: عنـي بقـوله: إنّ الّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنّا الْـحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ ما كـان مـن معبـود كـان الـمشركون يعبدونه والـمعبود لله مطيع وعابدوه بعبـادتهم إياه بـالله كفّـار لأن قوله تعالـى ذكره: إنّ الّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنّا الْـحُسْنَى ابتداء كلام مـحقق لأمر كان ينكره قوم, علـى نـحو الذي ذكرنـا فـي الـخبر عـن ابـن عبـاس, فكأن الـمشركين قالوا لنبـيّ الله صلى الله عليه وسـلم إذ قـال لهـم: إنّكُـمْ وَمـا تَعْبُـدُونَ مِـنْ دُونِ اللّـهِ حَصَـبُ جَهَنّـمَ: مـا الأمـر كمـا تقـول, لأنـا نعبـد الـملائكة, ويعبد آخرون الـمسيح وعُزَيرا. فقال عزّ وجلّ ردّا عليهم قـولهم: بل ذلك كذلك, ولـيس الذي سـبقت لهـم منـا الـحسنى هـم عنهـا مبعـدون, لأنهم غير معنـيـين بقولنا: إنّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ حَصَبُ جَهَنّـمَ. فأما قول الذين قالوا ذلـك اسـتثناء مـن قـوله: إنّكُـمْ وَمـا تَعْبُـدُونَ مِـنْ دُونِ اللّـهِ حَصَبُ جَهَنّـمَ فقول لا معنى له لأن الاستثناء إنـما هو إخراج الـمستثنى مـن الـمستثنى منه, ولا شكّ أن الذين سـبقت لهـم منـا الـحسنى إنـما هـم إمـا ملائكة وإما إنس أو جانّ, وكلّ هؤلاء إذا ذكرتها العرب فـ إن أكـثر مـا تـذكرها ب «من» لا ب «ما», والله تعالـى ذكره إنـما ذكـر الـمعبودين الـذين أخـبر أنهم حَصَب جهنـم ب «ما», قـال: إنّكُـمْ وَمـا تَعْبُـدُونَ مِـنْ دُونِ اللّـهِ حَصَـبُ جَهَنّـمَ إنـما أريـد بـه مـا كـانوا يعبـدونه مـن الأصـنام والآلهـة مـن الـحجارة والـخشب, لا من كان من الـملائكة والإنس. فإذا كان ذلك كذلك لـما وصفنا, فقوله: إنّ الّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنّا الـحُسْنَى جواب من الله للقائلـين مـا ذكرنـا من الـمشركين مبتدأ. وأما الـحُسنى فإنها الفُعلـى من الـحسن, وإنـما عنـي بها السعادة السابقة من الله لهم. كما:

18783ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فـي قوله: إنّ الّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنّا الـحُسْنَى قـال: الـحسنى: السـعادة. وقـال: سبقت السعادة لأهلها من الله, وسبق الشقاء لأهله من الله.

الآية : 102

القول في تأويل قوله تعالى: {لاَ يَسْمَعُونَ حَسِيَسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ }.

يقول تعالى ذكره: لا يسمع هؤلاء الذين سبقت لهم منا الحسنى حَسِيس النار, ويعني بالحسيس: الصوت والحسّ.

فإن قال قائل: فكيف لا يسمعون حسيسها, وقد علمت ما رُوي من أن جهنم يُؤْتَي بها يوم القيامة فتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل إلا جثا على ركبتيه خوفا منها؟ قيل: إن الحال التي لا يسمعون فيها حسيسها هي غير تلك الحال, بل هي الحال التي:

18784ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَها وَهُمْ فِيما اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خالِدُونَ يقول: لا يسمع أهل الجنة حسيس النار إذا نزلوا منزلهم من الجنة.

وقوله: وَهُمْ فِيما اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خالِدُونَ يقول: وهم فيما تشتهيه نفوسهم من نعيمها ولذّاتها ماكثون فيها, لا يخافون زوالاً عنها ولا انتقالاً عنها.

الآية : 103

القول في تأويل قوله تعالى: {لاَ يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأكْبَرُ وَتَتَلَقّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ }.

اختلف أهل التأويل في الفزع الأكبر أيّ الفزع هو؟ فقال بعضهم: ذلك النار إذا أطبقت على أهلها. ذكر من قال ذلك:

18785ـ حدثنا أبو هشام, قال: حدثنا يحيى بن يمان, قال: حدثنا سفيان, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جبير: لا يَحْزُنهُمْ الفَزَعُ الأكْبَرُ قال: النار إذا أطبقت على أهلها.

18786ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جريج, قوله: لا يَحْزُنهُمُ الفَزَعُ الأكْبَرُ قال: حين يطبق جهنم, وقال: حين ذُبح الموت.

وقال آخرون: بل ذلك النفخة الآخرة. ذكر من قال ذلك:

18787ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: لا يَحْزُنهُمُ الفَزَعُ الأكْبَرُ يعني النفخة الآخرة.

وقال آخرون: بل ذلك حين يؤمر بالعبد إلى النار. ذكر من قال ذلك:

18788ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن رجل, عن الحسن: لا يَحْزُنهُمُ الفَزَعُ الأكْبَرُ قال: انصراف العبد حين يُؤْمر به إلى النار.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب, قول من قال: ذلك عند النفخة الآخرة وذلك أن من لم يحزنه ذلك الفزع الأكبر وأمن منه, فهو مما بعدَه أحْرَى أن لا يفزَع, وأن من أفزعه ذلك فغير مأمون عليه الفزع مما بعده.

وقوله: وَتَتَلَقّاهُمُ المَلائِكَةُ يقول: وتستقبلهم الملائكة يهنئونهم يقولون: هَذَا يَوْمُكُمُ الّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ فيه الكرامة من الله والحِباء والجزيل من الثواب على ما كنتم تنصَبون في الدنيا لله في طاعته.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال ابن زيد.

18789ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ قال: هذا قبل أن يدخلوا الجنة.

الآية : 104

القول في تأويل قوله تعالى: {يَوْمَ نَطْوِي السّمَآءَ كَطَيّ السّجِلّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوّلَ خَلْقٍ نّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَآ إِنّا كُنّا فَاعِلِينَ }.

يقول تعالى ذكره: لا يحزنهم الفزع الأكبر, يوم نطوي السماء. ف «يوم» صلة من «يحزنهم».

واختلف أهل التأويل في معنى السجلّ الذي ذكره الله في هذا الموضع, فقال بعضهم: هو اسم ملَك من الملائكة. ذكر من قال ذلك:

18790ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, قال: حدثنا أبو الوفاء الأشجعيّ, عن أبيه, عن ابن عمر, في قوله: يَوْمَ نَطْوِي السّماءَ كَطَيّ السّجلّ لِلْكِتَابِ قال: السجِلّ: مَلَك, فإذا صعد بالاستغفار قال: اكتبها نورا.

18791ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا سفيان, قال: سمع السديّ يقول, في قوله: يَوْمَ نَطْوِي السّماءَ كَطَيّ السّجِلّ قال: السجلّ: ملَك.

وقال آخرون: السجل: رجل كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك:

18792ـ حدثنا نصر بن عليّ, قال: حدثنا نوح بن قيس, قال: حدثنا عمرو بن مالك, عن أبي الجوزاء, عن ابن عباس في هذه الآية: يَوْمَ نَطْوِي السّماءَ كَطَيّ السّجِلّ لِلْكُتُبِ قال: كان ابن عباس يقول: هو الرجل.

قال: حدثنا نوح بن قيس, قال: حدثنا يزيد بن كعب, عن عمرو بن مالك, عن أبي الجوزاء, عن ابن عباس, قال: السجلّ: كاتب كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال آخرون: بل هو الصحيفة التي يُكتب فيها. ذكر من قال ذلك:

18793ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: كَطَيّ السّجِلّ لِلْكِتابِ يقول: كطيّ الصحيفة على الِكتاب.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: يَوْمَ نَطْوِي السّماءَ كَطَيّ السّجِلّ لِلْكِتابِ يقول: كطيّ الصحف.

18794ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: السّجلّ: الصحيفة.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, قوله: يَوْمَ نَطْوِي السّماءَ كَطَيّ السّجِلّ لِلْكِتابِ قال: السجل: الصحيفة.

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: السجلّ في هذا الموضع الصحيفة لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب, ولا يعرف لنبينا صلى الله عليه وسلم كاتب كان اسمه السجلّ, ولا في الملائكة مَلك ذلك اسمه.

فإن قال قائل: وكيف تَطْوي الصحيفة بـالكتاب إن كان السـجلّ صـحيفة؟ قـيـل: لـيس الـمعنى كذلك, وإنـما معناه: يوم نطوي السماء كطيّ السـجلّ على ما فـيه من الكتاب ثم جعل «نطوِي» مصدرا, فقـيـل: كَطَـيّ السّـجِلّ لِلْكِتابِ واللام فـي قوله «للكتاب» بـمعنى «علـى».

واختلف القرّاء فـي قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الأمصـار, سـوى أبــي جعفر القارىء: يَوْمَ نَطْوِي السّماءَ بـالنون. وقرأ ذلك أبو جعفر: «يَوْم تُطْوَي السّماءُ» بـالتاء وضمها, على وجه ما لـم يُسمّ فـاعله.

والصواب من القراءة فـي ذلك ما علـيه قرّاء الأمصـار, بــالنون, لإجمـاع الـحجة من القرّاء علـيه وشذوذ مـا خـالفه. وأمـا السّـجلّ فـإنه فــي قـراءة جميعهم بتشديد اللام. وأمـا الكتـاب, فـإن قـرّاء أهـل الــمدينة وبعـض أهـل الكوفة والبصرة قرءوه بـالتوحيد: «كطيّ السجلّ للكتاب», وقرأ ذلك عامـة قرّاء الكوفة: لِلْكُتُبِ علـى الـجماع.

وأولـى القراءتـين عندنا فـي ذلك بـالصواب: قراءة من قرأه علـى التوحيد للكتاب لـما ذكرنا من معناه, فإن الـمراد منه: كطيّ السجلّ علــى مـا فــيه مكتوب. فلا وجه إذ كان ذلك معناه لـجميع الكتب إلا وجه نتبعه مـن معـروف كلام العرب, وعند قوله: كَطَـيّ السّـجِلّ انقضـاء الــخبر عـن صـلة قـوله: لا يَحْزُنهُمُ الْفَزَعُ الأكْبَرُ ثم ابتدأ الــخبر عما اللـه فــاعل بخــلقه يومئـذ فقـال تعالـى ذكره: كمَا بَدَأنا أوّلَ خَـلْقٍ نُعِيدُهُ فــالكاف التــي فــي قـوله: «كمَـا» من صلة «نعيد», تقدّمت قبلها ومعنى الكلام: نعيد الـخـلق عُراة حُفـاة عُزْلاً يوم القـيامة, كما بدأناهم أوّل مرّة فـي حال خـلقناهم فـي بطـون أمهَـاتهم, علـى اختلاف من أهل التأويـل فـي تأويـل ذلك.

وبـالذي قلنا فـي ذلك قال جماعة من أهل التأويـل, وبه الـخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك اخترت القول به علـى غيره. ذكر من قــال ذلك والأثر الذي جاء فـيه:

18795ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الــحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء جميعـا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: أوّلَ خَـلْقٍ نُعِيدُهُ قال: حُفـاة عُراة عُزْلاً.

18796ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جريج, عن مـجاهد قوله: أوّلَ خَـلْقٍ نُعِيدُهُ قال: حُفـاة عُلْفـا. قال ابـن جُرَيـج أخبرنـي إبراهيـم بن ميسرة, أنه سمع مـجاهدا يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لإحدى نسائه: «يَأْتُونَهُ حُفـاةً عُـرَاةً عُلْفــا» فــاسْتَتَرَتْ بِكُـمّ دِرْعِها, وَقالَتْ وَاسَوأتاهُ قال ابن جُرَيج: أخبرت أنها عائشـة قـالت: يـا نبــيّ الله, لا يحتشمُ الناس بعضهم بعضا؟ قال: «لكُلّ امْرِىءٍ يَوْمِئِذٍ شأنٌ يُغْنِـيهِ».

18797ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى بن سعيد, قال: حدثنا سفـيان, قال: ثنـي الـمغيرة بن النعمان, عن سعيد بن جبـير, عـن ابـن عبــاس, عـن النبـيّ صلى الله عليه وسلم قال: «يُحْشَرُ النّاسُ حُفــاةً عُـرَاةً غُـرْلاً, فَـأوّلَ مَنْ يُكْسَى إبراهِيـمُ» ثم قرأ: كمَا بَدأنا أوّلَ خَـلْقٍ نُعِيدُه وَعْـدا عَلَــيْنا إنّـا كُنّـا فـاعِلِـينَ.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا إسحاق بن يوسف, قال: حدثنا سفـيان, عن الـمغيرة بن النعمان, عن سعيد بن جُبـير, عن ابن عبـاس, قال: «قام فــينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بـموعظة» فذكره نـحوه.

حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن المغيرة بن النعمان النَخَعِيّ, عن سعيد بن جُبير, عن ابن عباس, قال: «قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم» فذكره نحوه.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن شعبة, قال: حدثنا المغيرة بن النعمان النخَعيّ, عن سعيد بن جُبير, عن ابن عباس, نحوه.

18798ـ حدثنا عيسى بن يوسف بن الطباع أبو يحيى, قال: حدثنا سفيان, عن عمرو بن دينار, عن سعيد بن جُبير, عن ابن عباس, قال: سمعت النبيّ صلى الله عليه وسلم يخطب فقال: «إنّكُمْ مُلاقُو اللّهِ مُشاةً غُرْلاً».

18799ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, عن ليث, عن مجاهد, عن عائشة, قالت: دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي عجوز من بني عامر, فقال: «مَنْ هَذه العَجُوزُ يا عائِشَةُ؟» فقلت: إحدى خالاتي. فقالت: ادع الله أن يدخلني الجنة فقال: «إنّ الجَنّةَ لا يَدْخُلُها العَجَزةُ». قالت: فأخذ العجوزَ ما أخذها, فقال: «إنّ اللّهَ يُنْشِئُهُنّ خَلْقا غيرَ خَلْقِهِنّ», ثم قال: «يُحْشَرُونَ حُفاةً عُرَاةً غُلْقا». فقالت: حاش لله من ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بَلى إنّ اللّهَ قالَ: كمَا بَدأنا أوّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدا عَلَيْنا... إلى آخر الآية, فأوّلُ مَنْ يُكْسَى إبْرَاهِيمُ خَلِيلُ اللّه».

18800ـ حدثني محمد بن عمارة الأسدي, قال: حدثنا عبيد الله, قال: حدثنا إسرائيل, عن أبي إسحاق, عن عطاء, عن عقبة بن عامر الجهني, قال: يجمع الناس في صعيد واحد ينفذهم البصر, ويسمعهم الداعي, حفاة عراة, كما خُلقوا أوّل يوم.

18801ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني عباد بن العوّام, عن هلال بن حبان, عن سعيد بن جُبير, عن ابن عباس, (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال: «يحشر الناس يوم القيامة حُفاة عراة مشاة غرلاً». قلت: يا أبا عبد الله ما الغُرْل؟ قال: الغُلْف. فقال بعض أزواجه: يا رسول الله, أينظر بعضنا إلى بعض إلى عورته؟ فقال «لِكُلّ امْرى ءٍ منهم يَوْمَئِذٍ ما يَشْغَلُهُ عَن النّظَر إلى عَوْرَةِ أخِيهِ». قال هلال: قال سعيد بن جُبير: وَلَقَدْ جِئْتُمُونا فُرَادَى كمَا خَلَقْناكُمْ أوّلَ مَرّةٍ قال: كيوم ولدته أمه, يردّ عليه كل شيءٍ انتقص منه مثل يوم وُلد.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: كما كنا ولا شيء غيرنا قبل أن نخلق شيئا, كذلك نهلك الأشياء فنعيدها فانية, حتى لا يكون شيء سوانا. ذكر من قال ذلك:

18802ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثنيأبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: كمَا بَدأنا أوّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ... الآية, قال: نهلك كل شيء كما كان أوّل مرّة.

وقوله: وَعْدا عَلَيْنا يقول: وعدناكم ذلك وعدا حقّا علينا أن نوفي بما وعدنا, إنا كنا فاعلي ما وعدناكم من ذلك أيها الناس, لأنه قد سبق في حكمنا وقضائنا أن نفعله, على يقين بأن ذلك كائن, واستعدوا وتأهبوا.

الآية : 105

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزّبُورِ مِن بَعْدِ الذّكْرِ أَنّ الأرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصّالِحُونَ }.

اختلف أهل التأويل في المعنىّ بالزّبور والذكر في هذا الموضع, فقال بعضهم: عُني بالزّبور: كتب الأنبياء كلها التي أنزلها الله عليهم, وعُني بالذكر: أمّ الكتاب التي عنده في السماء. ذكر من قال ذلك:

18803ـ حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرمليّ, قال: حدثنا يحيى بن عيسى, عن الأعمش, قال: سألت سعيدا, عن قول الله: وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذّكْرِ قال: الذكر: الذي في السماء.

18804ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا عيسى بن يونس, عن الأعمش, عن سعيد بن جبير, في قوله: وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزّبُورِ قال: قرأها الأعمش: «الزّبُر» قال: الزبور, والتوراة, والإنجيل, والقرآن مِنْ بَعْدِ الذّكْرِ قال: الذكر الذي في السماء.

18805ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: الزّبُورِ قال: الكتاب. مِنْ بَعْدِ الذّكْرِ قال: أمّ الكتاب عند الله.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, قوله: الزّبُورِ قال: الكتاب. بَعْدِ الذّكْرِ قال: أم الكتاب عند الله.

18806ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزّبُورِ قال: الزبور: الكتب التي أنزلت على الأنبياء. والذكر: أمّ الكتاب الذي تُكتب فيه الأشياء قبل ذلك.

18807ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن سعيد, في قوله: وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذّكْرِ قال: كتبنا في القرآن من بعد التوراة.

وقال آخرون: بل عُني بالزّبور: الكتب التي أنزلها الله على مَنْ بعد موسى من الأنبياء, وبالذكر: التوراة. ذكر من قال ذلك:

18808ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزّبُورِ مِنْ بَعْدَ الذّكْرِ... الآية, قال: الذكر: التوراة, والزبور: الكتب.

18809ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول, في قوله: وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذّكْرِ... الآية, قال: الذكر: التوراة, ويعني بالزبور من بعد التوراة: الكتب.

وقال آخرون: بل عُني بالزّبور زَبور داود, وبالذكر تَوراة موسى صلى الله عليهما. ذكر من قال ذلك:

18810ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا عبد الوهاب, قال: حدثنا داود, عن عامر أنه قال في هذه الآية: وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذّكْرِ قال: زبور داود. من بعد الذكر: ذكر موسى التوراة.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن داود, عن الشعبيّ, أنه قال في هذه الآية: وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذّكْرِ قال: في زبور داود, من بعد ذكر موسى.

وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب في ذلك ما قاله سعيد بن جُبير ومجاهد ومن قال بقولهما في ذلك, من أن معناه: ولقد كتبنا في الكتب من بعد أمّ الكتاب الذي كتب الله كل ما هو كائن فيه قبل خلق السموات والأرض. وذلك أن الزبور هو الكتاب, يقال منه: زبرت الكتاب وذَبرته: إذا

كتبته, وأن كلّ كتاب أنزله الله إلى نبيّ من أنبيائه, فهو ذِكْر. فإذ كان ذلك كذلك, فإن في إدخاله الألف واللام في الذكر, الدلالة البينة أنه معنيّ به ذكر بعينه معلوم عند المخاطبين بالآية, ولو كان ذلك غير أمّ الكتاب التي ذكرنا لم تكن التوراة بأولى من أن تكون المعنية بذلك من صحف إبراهيم, فقد كان قبل زَبور داود.

فتأويل الكلام إذن, إذ كان ذلك كما وصفنا: ولقد قضينا, فأثبتنا قضاءنا في الكتب من بعد أمّ الكتاب, أن الأرض يرثها عبادي الصالحون يعني بذلك: أن أرض الجنة يرثها عبادي العاملون بطاعته المنتهون إلى أمره ونهيه من عباده, دون العاملين بمعصيته منهم المؤثرين طاعة الشيطان على طاعته. ذكر من قال ذلك:

18811ـ حدثنا محمد بن عبد الله الهلالي, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قال: حدثنا إسرائيل, عن أبي يحيى القَتّات, عن مجاهد, عن ابن عباس, قوله: أنّ الأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصّالِحُونَ قال: أرض الجنة.

18812ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس قوله: وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذّكْرِ أنّ الأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصّالِحُونَ قال: أخبر سبحانه في التوراة والزبور وسابق علمه قبل أن تكون السموات والأرض, أن يورث أمة محمد صلى الله عليه وسلم الأرض ويُدخلهم الجنة, وهم الصالحون.

18813ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن سعيد بن جُبير في قوله: وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذّكْرِ أنّ الأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصّالِحُونَ قال: كتبنا في القرآن بعد التوراة, والأرض أرض الجنة.

18814ـ حدثني عليّ بن سهل, قال: حدثنا حجاج, عن أبي جعفر, عن الربيع بن أنس, عن أبي العالية: أنّ الأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصّالِحُونَ قال: الأرض: الجنة.

حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرمليّ, قال: حدثنا يحيى بن عيسى, عن الأعمش, قال: سألت سعيدا عن قول الله: أنّ الأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصّالِحُونَ قال: أرض الجنة.

18815ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: أنّ الأَرْضَ قال: الجنة, يَرِثُها عِبادِيَ الصّالِحُونَ.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

18816ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: أنّ الأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصّالِحُونَ قال: الجنة. وقرأ قول الله جلّ ثناؤه: وَقالُوا الحَمْدِ للّهِ الّذِي صَدَقَنا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوّأ مِنَ الجَنةِ حَيْثُ نَشاءُ فَنِعْمَ أجْرُ العامِلِينَ قال: فالجنة مبتدؤها في الأرض ثم تذهب درجات عُلوّا, والنار مبتدؤها في الأرض وبينهما حجاب سُور ما يدري أحد ما ذاك السور, وقرأ: بابٌ باطِنُهُ فِيهِ الرّحَمةُ وَظاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ العَذَابُ قال: ودرجها تذهب سَفالاً في الأرض, ودرج الجنة تذهب عُلوّا في السموات.

18817ـ حدثنا محمد بن عوف, قال: حدثنا أبو المغيرة, قال: حدثنا صفوان, سألت عامر بن عبد الله أبا اليمان: هل لأنفس المؤمنين مجتمع؟ قال: فقال: إن الأرض التي يقول الله: وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذّكْرِ أنّ الأرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصّالِحُونَ قال: هي الأرض التي تجتمع إليها أرواح المؤمنين حتى يكون البعث.

وقال آخرون: هي الأرض يورثها الله المؤمنين في الدنيا.

وقال آخرون: عُني بذلك بنو إسرائيل وذلك أن الله وعدهم ذلك فوفيّ لهم به. واستشهد لقوله ذلك بقول الله: وأوْرَثْنا القَوْمَ الّذِينَ كانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشارِقَ الأرْضِ وَمَغارِبَها الّتِي بارَكْنا فِيها. وقد ذكرنا قول من قال: أنّ الأرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصّالِحُونَ أنها أرض الأمم الكافرة, ترثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم. وهو قول ابن عباس الذي رَوَى عنه عليّ بن أبي طلحة.

الآية : 106 و 107

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ فِي هَـَذَا لَبَلاَغاً لّقَوْمٍ عَابِدِينَ * وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاّ رَحْمَةً لّلْعَالَمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: إن في هذا القرآن الذي أنزلناه على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم, لبلاغا لمن عبد الله بما فيه من الفرائض التي فرضها الله, إلى رضوانه وإدراك الطّلِبة عنده.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18818ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن الجَريريّ, عن أبي الوَرْد بن ثُمامة, عن أبي محمد الحضرميّ, قال: حدثنا كعب في هذا المسجد, قال: والذي نفس كعب بيده إنّ في هَذَا لبَلاغا لقَوْمٍ عَابِدِينَ إنهم لأهل أو أصحاب الصلوات الخمس, سماهم الله عابدين.

18819ـ حدثنا الحسين بن يزيد الطحان, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن سعيد بن إياس الجريريّ, عن أبي الوَرْد عن كعب, في قوله: إنّ فِي هَذَا لَبَلاغا لِقَوْمٍ عابِدِينَ قال: صوم شهر رمضان, وصلاة الخمس, قال: هي ملء اليدين والبحر عبادة.

18820ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا محمد بن الحسين, عن الجريريّ, قال: قال كعب الأحبار: إنّ فِي هَذَا لَبَلاغا لِقَوْمٍ عابِدِينَ لأمة محمد.

18821ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: إنّ فِي هَذَا لَبَلاغا لِقَوْمٍ عابِدِينَ يقول: عاملين.

18822ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قوله: إنّ فِي هَذَا لَبَلاغا لِقَوْمٍ عابِدِينَ قال: يقولون في هذه السورة لبلاغا.

ويقول آخرون: في القرآن تنزيل لفرائض الصلوات الخمس, من أداها كان بلاغا لقوم عابدين, قال: عاملين.

18823ـ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إنّ فِي هَذَا لَبَلاغا لِقَوْمٍ عابِدِينَ قال: إن في هذا لمنفعة وعلما لقوم عابدين ذاك البلاغ.

وقوله: وَما أرْسَلْناكَ إلاّ رَحْمَةً لِلْعَالَـمِينَ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وما أرسلناك يا محمد إلى خلقنا إلا رحمة لمن أرسلناك إليه من خلقي.

ثم اختلف أهل التأويل في معنى هذه الآية, أجميع العالم الذي أرسل إليهم محمد أريد بها مؤمنهم وكافرهم؟ أم أريد بها أهل الإيمان خاصة دون أهل الكفر؟ فقال بعضهم: عُني بها جميع العالم المؤمن والكافر. ذكر من قال ذلك:

18824ـ حدثني إسحاق بن شاهين, قال: حدثنا إسحاق بن يوسف الأزرق, عن المسعوديّ, عن رجل يقال له سعيد, عن سعيد بن جُبير, عن ابن عباس, في قول الله في كتابه: وَما أرْسَلْناكَ إلاّ رَحْمَةً لِلْعَالَـمِينَ قال: من آمن بالله واليوم الآخر كُتب له الرحمة في الدنيا والآخرة, ومن لم يؤمن بالله ورسوله عُوفِيَ مما أصاب الأمم من الخَسْف والقذف.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا عيسى بن يونس, عن المسعوديّ, عن أبي سعيد, عن سعيد جُبير, عن ابن عباس, في قوله: وَما أرْسَلْناكَ إلاّ رَحْمَةً لِلْعَالَـمِينَ قال: تمت الرحمة لمن آمن به في الدنيا والآخرة, ومن لم يؤمن به عُوفيَ مما أصاب الأمم قبل.

وقال آخرون: بل أريد بها أهل الإيمان دون أهل الكفر. ذكر من قال ذلك:

18825ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَما أرْسَلْناكَ إلاّ رَحْمَةً لِلْعَالَـمِينَ قال: العالمون: من آمن به وصدّقه. قال: وَإنْ أدْرِي لَعَلّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتاعٌ إلى حِينٍ قال: فهو لهؤلاء فتنة ولهؤلاء رحمة, وقد جاء الأمر مجملاً رحمة للعالمين. والعالَمون ههنا: من آمن به وصدّقه وأطاعه.

وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الذي رُوي عن ابن عباس, وهو أن الله أرسل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة لجميع العالم, مؤمنهم وكافرهم. فأما مؤمنهم فإن الله هداه به, وأدخله بالإيمان به وبالعمل بما جاء من عند الله الجنة. وأما كافرهم فإنه دفع به عنه عاجل البلاء الذي كان ينزل بالأمم المكذّبة رسلها من قبله.

الآية : 108

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ إِنّمَآ يُوحَىَ إِلَيّ أَنّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُمْ مّسْلِمُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد: ما يوحي إليّ ربي إلا أنّه لا إله لكم يجوز أن يُعبد إلا إله واحد لا تصلح العبادة إلا له ولا ينبغي ذلك لغيره. فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ يقول: فهل أنتم مذعنون له أيها المشركون العابدون الأوثان والأصنام بالخضوع لذلك, ومتبرّئون من عبادة ما دونه من آلهتكم؟

الآية : 109

القول في تأويل قوله تعالى: {فَإِن تَوَلّوْاْ فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَىَ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِيَ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مّا تُوعَدُونَ }.

يقول تعالى ذكره: فإن أدبر هؤلاء المشركون يا محمد عن الإقرار بالإيمان, بأن لا إله لهم إلا إله واحد, فأعرضوا عنه وأبوا الإجابة إليه, فقل

لهم: قَدْ آذَنْتُكُمْ عَلى سَوَاءٍ يقول: أعلمهم أنك وهم على علم من أن بعضكم لبعض حرب, لاصلح بينكم ولا سلم.
وإنما عُني بذلك قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم من قُرَيش, كما:
18826ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قوله: فإنْ تَوَلّوْا فَقُل آذَنْتُكُمْ عَلى سَوَاءٍ فإن تولوا, يعني قريشا.
وقوله: وَإنْ أدْرِي أقَرِيبٌ أمْ بَعِيدٌ ما تُوعَدُونَ يقول تعالى ذكره لنبيه: قل وما أدري متى الوقت الذي يحلّ بكم عقاب الله الذي وعدكم, فينتقم به منكم, أقريب نزوله بكم أم بعيد؟
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
18827ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج: وَإنْ أدْرِي أقَرِيبٌ أمْ بَعِيدٌ ما تُوعَدُونَ قال: الأجل.

الآية : 110 و 111

القول في تأويل قوله تعالى: {إنّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ * وَإنْ أدْرِي لَعَلّهُ فِتْنَةٌ لّكُمْ وَمَتَاعٌ إلَى حِينٍ }.
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهؤلاء المشركين, إن الله يعلم الجهر الذي يجهرون به من القول, ويعلم ما تخفونه فلا تجهرون به, سواء عنده خفيه وظاهره وسرّه وعلانيته, إنه لا يخفى عليه منه شيء فإن أخّر عنكم عقابه على ما تخفون من الشرك به أو تجهرون به, فما أدري ما السبب الذي من أجله يؤخّر ذلك عنكم؟ لعلّ تأخيره ذلك عنكم مع وعده إياكم لفتنة يريدها بكم, ولتتمتعوا بحياتكم إلى أجل قد جعله لكم تبلغونه, ثم ينزل بكم حينئذٍ نقمته.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
18828ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن عطاء الخراسانيّ, عن ابن عباس: وَإنْ أدْرِي لَعَلّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إلى حينٍ يقول: لعلّ ما أُقرّب لكم من العذاب والساعة, أن يؤخّر عنكم لمدتكم, ومتاع إلى حين, فيصير قولي ذلك لكم فتنة.

الآية : 112

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ رَبّ احْكُم بِالْحَقّ وَرَبّنَا الرّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىَ مَا تَصِفُونَ }.
يقول تعالى ذكره: قل يا محمد: يا ربّ افصل بيني وبين من كذّبني من مشركي قومي وكفر بك وعبد غيرك, بإحلال عذابك ونقمتك بهم وذلك هو الحقّ الذي أمر الله تعالى نبيه أن يسأل ربه الحكم به, وهو نظير قوله جلّ ثناؤه: رَبّنا افْتَحْ بَيْنَنَا وبَينَ قَوْمِنا بالحَقّ وأنْتَ خَيْرُ الفاتِحين.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
18829ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قال ابن عباس: قالَ رَبّ احْكُمْ بالحَقّ قال: لا يحكم بالحقّ إلا الله, ولكن إنما استعجل بذلك في الدنيا, يسأل ربه على قومه.
18830ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قَتادة: أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان إذا شهد قتالاً قال: «رَبّ احْكُمْ بالحَقّ».
واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الأمصار: قُلْ رَبّ احْكُمْ بكسر الباء, ووصل الألف ألف «احكم», على وجه الدعاء والمسألة,

سوى أبـي جعفر, فإنه ضمّ البـاء مـن «الـربّ», علـى وجـه نـداء الـمفرد, وغير الضحاك بن مزاحم, فإنه رُوي عنه أنه كان يقـرأ ذلـك: «رَبّــي أحْكَـمُ» علـى وجه الـخبر بأن الله أحكَمُ بـالـحقّ من كـلّ حـاكم, فـيثبت الـياء فـي «الربّ», ويهمز الألف من «أحْكَمُ», ويرفع «أحْكُم», علـى أنه للربّ تبـارك وتعالـى.

والصواب من القراءة عندنا فـي ذلك: وصل البـاء من الـربّ وكسـرها ب «احْكُمْ», وترك قطع الألـف مـن «احْكُـمْ», علـى مـا علـيه قـرّاء الأمصـار لإجماع الـحُجة من القرّاء علـيه وشذوذ ما خـالفه. وأمـا الضـحاك فـإن فــي القراءة التـي ذُكرت عنه زيادة عنه زيادة حرف علــى خـطّ الــمصاحف, ولا ينبغي أن يزاد ذلك فـيها, مع صحة معنـى القـراءة بـترك زيـادته. وقـد زعـم بعضهم أن معنى قوله: رَبّ احْكُمْ بـالـحَقّ قل: ربّ احكم بحكمك الـحقّ, ثم حذف الـحكم الذي الـحقّ نعت له وأقـيـم الـحقّ مقامه. ولذلك وجه, غير أن الذي قلناه أوضح وأشبه بـما قاله أهل التأويـل, فلذلك اخترناه.

وقوله: وَرَبّنا الرّحْمَنُ الـمُسْتَعانُ عَلـى ما تَصِفُونَ يقول جلّ ثناؤه: وقل يا مـحمد: وربنا الذي يرحم عبـاده ويعُمهم بنعمته, الذي أستعينه علـيكم فـيـما تقولون وتصفون من قولكم لـي فـيـما أتـيتكم بـه مـن عنـد اللـه إنْ هَـذَا إلاّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أفَتَـأْتُونَ السّـحْرَ وأنْتُــمْ تُبْصِـرُونَ, وقـولكم: بَـلِ افْتَـرَاه بَـلْ هُـوَ شاعِرٌ, وفـي كذبكم علـى الله جلّ ثناؤه وقـيـلكم: اتّـخَذَ الرّحْمَنُ وَلَـدا فـإنه هين علـيه تغيـير ذلك وفصل ما بـينـي وبـينكم بتعجيـل العقوبة لكم علـى ما تصفون من ذلك.

آخر تفسير سورة الأنبـياء علـيهم السلام

سورة الحج

سورة الـحج مدنـية

وآياتها ثمانٍ وسبعون

بِسمِ اللّهِ الرحمَن الرّحِيـمِ

الآية : 1 -2

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {يَأَيّهَا النّاسُ اتّقُواْ رَبّكُمْ إِنّ زَلْزَلَةَ السّـاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلّ مُرْضِـعَةٍ عَمّـآ أَرْضَـعَتْ وَتَضَـعُ كُـلّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النّاسَ سُكَارَىَ وَمَا هُم بِسُكَارَىَ وَلَـكِنّ عَـذَابَ اللّـهِ شَـدِيدٌ}.

قال أبو جعفر: يقول تعالـى ذكره: يـا أيهـا النـاس احـذروا عقـاب ربكـم بطاعته, فأطيعوه ولا تعصُوه, فإن عقابه لـمن عاقبه يوم القـيامة شديد. ثـم وصف جلّ ثناؤه هول أشراط ذلك الــيوم وبـدوّه, فقـال: إنّ زَلْزَلَـةَ السّـاعَةِ شَيْءٌ عَظِيـمٌ.

واختلف أهل العلـم فـي وقت كون الزلزلة التـي وصفها جلّ ثناؤه بـالشدّة, فقال بعضهم: هي كائنة فـي الدنـيا قبل يوم القـيامة. ذكر من قال ذلك:

18831ـ حدثنا ابن بشار, قال: حـدثنا يحيـى, قـال: حـدثنا سفــيان, عـن الأعمش, عن إبراهيـم, عـن علقمـة, فــي قـوله: إنّ زَلْزَلَـةَ السّـاعَةِ شَـيْءٌ عَظِيـمٌ قال: قبل الساعة.

18832ـ حدثني سليمان بن عبد الجبار, قال: حدثنا محمد بن الصلت, قال: حدثنا أبو كدنية, عن عطاء, عن عامر: يا أيّها النّاسُ اتقُوا رَبّكُمْ إنّ زَلْزَلَةَ السّاعَةِ شَيْءٌ عَظيمٌ قال: هذا في الدنيا قبل يوم القيامة.

18833ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا حجاج, عن ابن جُرَيج في قوله: إنّ زَلْزَلَةَ السَاعَةِ فقال: زلزلتها: أشراطها... الآيات يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كُلّ مُرْضِعَةٍ عَمّا أرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلّ ذَاتِ حَمْلٍ حَملَها وَتَرَى الناسَ سُكارَى وَما هُمْ بِسُكارَى.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن عطاء, عن عامر: يا أيّها النّاسُ اتّقُوا رَبكُمْ إنّ زَلْزَلَةَ السّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ قال: هذا في الدنيا من آيات الساعة.

وقد رُوي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم بنحو ما قال هؤلاء خبر, في إسناده نظر وذلك ما:

18834ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي, عن إسماعيل بن رافع المدني, عن يزيد بن أبي زياد, عن رجل من الأنصار, عن محمد بن كعب القُرَظيّ, عن رجل من الأنصار, عن أبي هريرة, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لمَا فَرَغَ اللّهُ مِنْ خَلْقِ السمَوَاتِ والأرْضِ, خَلَقَ الصّوْرَ فأعْطاهُ إسْرَافِيلَ, فَهُوَ وَاضِعُهُ عَلى فيهِ, شاخِصٌ بِبَصَرِهِ إلى العَرْشِ, يَنْتَظِرُ مَتى يُؤْمَرُ.» قال أبو هريرة: يا رسول الله, وما الصور؟ قال: «قَرْنٌ». قال: وكيف هو؟ قال: «قَرْنٌ عَظِيمٌ يُنْفَخُ فيهِ ثَلاثّ نَفَخاتٍ, الأولى: نَفْخَةُ الفَزَعِ, والثانيَةُ: نَفْخَةُ الصّعْقِ, والثالِثَةُ: نَفْخَةُ القِيامِ لِرَبّ العالَمِينَ. يَأمُرُ اللّهُ عَزّ وَجَلّ إسْرافِيلَ بالنّفْخَةِ الأُولى, فَيَقُولُ: انْفُخْ نَفْخَةَ الفَزَعِ فَيَفْزَعُ أهْلُ السّمَواتِ والأرْضِ إلاّ مَنْ شاءَ الله, ويَأمُرُ اللّهُ فَيُدِيمُها وَيُطَوّلها, فَلا يَفْتُرُ, وَهِيَ التِي يَقُولُ اللّهُ: ما يَنْظُرُ هَؤُلاءِ إلاّ صَيْحَةً وَاحِدَةً ما لَهَا مِنْ فَوَاقٍ فَيُسَيّرُ اللّهُ الجِبالَ فَتَكُونُ سَرَابا, وَتُرَجّ الأرْضُ بأهلها رَجّا, وَهِيَ الّتِي يَقُولُ اللّهُ: يَوْمَ تَرْجُفُ الرّاجِفَةُ تَتْبَعُها الرّادِفَةُ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ, فَتَكُونُ الأرْض كالسّفِينَةِ الموبَقَةِ في البَحْرِ تَضْرِبُها الأمْوَاجُ تُكْفَأُ بأهْلها, أوْ كالقِنْدِيلِ المُعَلّقِ بالعَرْشِ تُرَجّحُهُ الأرْوَاحُ فَتَمِيدُ الناسُ عَلى ظَهْرِها فَتَذْهَلُ المَرَاضِعُ, وَتَضَعُ الحَوَامِلُ, وَتَشِيبُ الوِلْدَانُ, وَتَطيرُ الشياطِينُ هارِبَةً حتى تَأتي الأقْطار فَتَلَقّاها المَلائِكَةُ فَتَضْرِبُ وُجُوهَها, فَترْجِعُ وَيُوَلّي النّاس مُدْبِرِينَ يُنادِي بَعْضَهُمْ بَعْضَا, وَهُوَ الذِي يَقُولُ اللّهُ: يَوْمَ التنادِ يَوْمَ تُوَلّونَ مُدْبِرِينَ ما لَكُمْ مِنَ اللّهِ مِنْ عاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هادٍ فَبَيْنَما هُمْ عَلى ذلكَ, إذْ تَصَدّعَتِ الأرْضُ مِنْ قُطْرٍ إلى قُطْرٍ, فَرَأوْا أمْرا عَظِيما, وأخَذَهُمْ لِذَلكَ مِن الكَرْبِ ما اللّهُ أعْلَمُ بِهِ, ثُمّ نَظَرُوا إلى السّماءِ فإذَا هِيَ كالمُهْلِ, ثُم خُسِفَ شمْسُها وخُسِفَ قَمَرُها وَانْتَثَرَتْ نُجُومُها, ثُمّ كُشِطَتْ عَنْهُمْ» قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والأمْوَاتُ لا يَعْلَمُون بِشَيْءٍ مِنْ ذلكَ» فقال أبو هريرة: فمن استثنى لله حين يقول: فَفَزِعَ مَنْ فِي السّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأرْض إلاّ مَنْ شاءَ اللّهُ؟ قال: «أُولَئِكَ الشّهَدَاءُ, وإنّمَا يَصلُ الفَزَعُ إلى الأحْياءَ, أُولَئِكَ أحْياءٌ عِنْدَ رَبّهمْ يُرْزَقُونَ, وَقاهُمُ اللّهُ فَزَعَ ذلكَ اليَوْم وأمَنَهُمْ. وَهُوَ عَذَابُ اللّهِ يَبْعَثُهُ عَلى شِرَارِ خَلْقِهِ, وَهُوَ الّذِي يَقُولُ: يا أيها النّاسُ اتّقُوا رَبّكُمْ إنّ زَلْزَلَةَ السّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ... إلى قوله: وَلَكِنّ عَذَابَ اللّهِ شَدِيدٌ».

وهذا القول الذي ذكرناه عن علقمة والشعبيّ ومن ذكرنا ذلك عنه قولٌ, لولا مجيء الصحاح من الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلافه, ورسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بمعاني وحي الله وتنزيله. والصواب من القول في ذلك ما صحّ به الخبر عنه. ذكر الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذكرنا:

18835ـ حدثني أحمد بن المقدام, قال: حدثنا المعتمر بن سليمان, قال: سمعت أبي يحدّث عن قتادة, عن صاحب له حدّثه, عن عمران بن حُصين, قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه وقد فاوت السّير بأصحابه, إذ نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية: «يا أيّها النّاسُ اتّقُوا رَبّكُمْ إنّ زَلْزَلَةَ السّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ». قال: فحَثّوا المطيّ, حتى كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «هَلْ تَدْرُونَ أيّ يَوْمٍ ذَلكَ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «ذلكَ يَوْمَ يُنادَى آدَمُ, يُنادِيهِ رَبّهُ: ابْعَثْ بَعْثَ النارِ, مِنْ كُلّ ألْفٍ تِسْعَ مِئَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ إلى النّارِ» قال: فأبلس القوم, فما وضح منهم ضاحك, فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «ألا احْمَلُوا وأبْشِرُوا, فإنّ مَعَكُمْ خَلِيقَتَيْنِ ما كانَتا فِي قَوْمٍ إلاّ كَثّرَتاهُ, فَمَنْ هَلَكَ مِنْ بَنِي آدَمَ, وَمَنْ هَلَكَ مِنْ بَنِي إبْلِيسَ وَيأجُوجَ وَمأجُوجَ». قال: «أبْشِرُوا, ما أنْتُمْ فِي النّاسِ إلاّ كالشّامَةِ فِي جَنْبِ البَعِيرِ, أو كالرّقْمة في جَناحِ الدّابَة».

حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا يحيى بن سعيد, قال: حدثنا هشام بن أبي عبد الله, عن قتادة, عن الحسن, عن عمران بن حصين, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم. وحدثنا ابن بشار, قال: حدثنا معاذ بن هشام, قال: حدثنا أبي وحدثنا ابن أبي عديّ, عن هشام جميعا, عن قَتادة, عن الحسن, عن عمران بن حصين, عن البنيّ صلى الله عليه وسلم بمثله.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا محمد بن بشر, عن سعيد بن أبي عروبة, عن قَتادة, عن العلاء بن زياد عن عمران, عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, بنحوه.

18836ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا عوف, عن الحسن, قال: بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قفل من غزوة العُسْرة, ومعه أصحابه, بعد ما شارف المدينة, قرأ: يا أيّها النّاسُ اتقُوا رَبكُمْ إنّ زَلْزَلَةَ السّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَها... الآية, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتَدْرُونَ أيّ يوم ذَاكُمْ»؟ قيل: الله ورسوله أعلم. فذكر نحوه, إلا أنه زاد: «وإنّهُ لَمْ يَكُنْ رَسُولانِ إلاّ كانَ بَيْنَهُما فَتْرَةٌ مِنَ الجاهِلِيّةِ, فَهُمْ أهْلُ النّارِ وإنّكُمْ بينَ ظَهْرَانْي خَلِيقَتَيْنِ لا يُعادّهما أحدٌ مِنْ أهْلِ الأرْضِ إلاّ كَثّرُوهُمْ, وَهُمْ يَأجُوجُ وَمأجُوجُ, وَهُمْ أهْلُ النارِ, وَتَكْمُلُ العِدّةُ مِنَ المُنَافِقِينَ».

18837ـ حدثني يحيى بن إبراهيم المسعوديّ, قال: حدثنا أبي, عن أبيه, عن جدّه, عن الأعمش, عن أبي صالح عن أبي سعيد, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «يُقالُ لآدَمَ: أخْرِجْ بَعْثَ النّار, قالَ: فَيَقُولُ: وَما بَعْثُ النّارِ؟ فَيَقُولُ: مِنْ كُلّ ألْفٍ تِسْعَ مئَةٍ وتِسْعَةً وَتِسْعِينَ. فَعِنْدَ ذلكَ يَشِيبُ الصّغِيرُ, وَتَضَعُ الحاملُ حَمَلها, وَتَرَى النّاسَ سُكارَى وَما هُمْ بِسُكارَى, وَلَكِنّ عَذَابَ اللّهِ شَدِيدٌ». قالَ: قُلْنا فَأين الناجي يا رسول الله؟ قال: «أبْشِرُوا فإنّ وَاحِداً منْكُمْ وألْفا منْ يَأجُوجَ وَمأجُوجَ». ثُمّ قالَ: «إنّي لأطْمَعُ أنْ

تَكُونُوا رُبُعَ أهلِ الـجَنّةِ» فَكَبّرْنا وحَمِدْنا اللّهَ. ثم قال: «إنّـي لأَطْمَعُ أنْ تكُونُوا ثُلُثَ أهْلِ الـجَنةِ» فكَبّرْنا وحَمِدْنا اللّهَ. ثم قال: «إنّـي لأطْمَعُ أنْ تَكونُوا نِصْفَ أهْلِ الـجَنةِ إنّـمَا مَثَلُكُمْ فِـي النّاسِ كمَثَلِ الشّعْرَةِ البَـيْضَاءِ فـي الثّوْرِ الأسْوَدِ, أو كَمَثلِ الشّعْرَةِ السّوْدَاءِ فِـي الثوْرِ الأبْـيَضِ».

حدثنا أبو السائب, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن أبـي صالـح, عن أبـي سعيد الـخُدْرِيّ, قـال: قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «يَقُول اللّهُ لآدَمَ يَوْمَ القِـيامَةِ» ثم ذكر نـحوه.

حدثنـي عيسى بن عثمان بـن عيسـى الرملـيّ, قـال: حـدثنا يحيـى بـن عيسى, عن الأعمش, عن أبـي صالـح, عن أبــي سـعيد, قـال: ذكـر رسـول الله صلى الله عليه وسلم الـحشر, قـال: «يقـولُ اللّـهُ يَـوْمَ القِــيامَةِ يـا آدَمُ فَـيَقُولُ: لَبّـيْكَ وَسَعْدَيْكَ والـخَيْرُ بِـيَدَيْكَ فَـيَقُولُ: ابْعَثْ بَعْثا إلــى النّـارِ». ثـم ذكر نـحوه.

18838ـ حدثنا ابن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قَتادة, عن أنس قال: نزلت يا أيّها النّاسُ اتّقُوا رَبّكُمْ إنّ زَلْزَلَةَ السّاعَةِ شَـيْءٌ عَظِيـمٌ... حتـى إلـى: عَذَابَ اللّهِ شَدِيدٌ... الآية علـى النبـيّ صلى اللـه عليـه وسلم وهو فـي مسير, فرجّع بهـا صـوته, حتــى ثـاب إلــيه أصـحابه, فقـال: «أتَدْرُونَ أيّ يَوْمٍ هَذَا؟ هَذَا يَوْمَ يَقُولُ اللّهُ لآدَمَ: يا آدَمُ قُـمْ فـ ابْعَثَ النـارِ مِـنْ كُلّ ألْفٍ تِسْعَ مئَةٍ وَتِسْـعَةً وَتِسْـعِينَ» فكُـبر ذلـك علــى الـمسلــمين, فقـال النبـيّ صلى الله عليه وسلم: «سَدّدُوا وَقارِبُوا وأبْشِرُوا فَوَالّذِي نَفْسِي بِـيَدِهِ ما أنْتُـمْ فِـي النـاسِ إلاّ كالشّـامَةِ فــي جَنْـبِ البَعِيـرِ, أو كالرّقْمَـةِ فِــي ذِرَاعِ الدّابّةِ, وإنّ مَعَكُمْ لَـخَـلِـيقَتَـيْنِ مـا كانَتـا فِـي شَـيْءٍ قَـطّ إلاّ كَثّرَتـاهُ: يَـأجُوجُ وَمأجُوجُ, وَمَنْ هَلَكَ من كَفَرَةِ الـجِنّ والإنْسِ».

18839ـ حدثنا ابن عبد الأعلـى, قـال: حـدثنا ابـن ثـور, عـن معمـر, عـن إسحاق, عن عمرو بن ميـمون, قال: دخـلت علـى ابن مسعود بـيت الـمال, فقال: سمعت النبـيّ صلى الله عليه وسلم يقول: «أتَرْضَوْنَ أن تَكُونُـوا رُبُـعَ أهْلِ الـجَنةِ؟» قُلنا نعم, قال: «أتَرْضَوْنَ أنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أهْـلِ الــجَنةِ؟» قلنـا: نعم قال: «فوَالّذِي نَفْسِي بـيَدِهِ, إنّـي لأرْجُوا أنْ تَكُونّـوا شَـطْرَ أهْـلِ الــجَنّةِ, وَسـأُخْبِرُكُمْ عَـنْ ذلـكَ إنّـه لا يَدْخُــلُ الــجَنّةَ إلاّ نَفْـسٌ مُسْلِــمَةٌ, وَإنّ قِلّــةَ الـمُسْلِـمِينَ فِـي الكُفّـارِ يَوْمَ القِـيامَةِ كالشّعْرَةِ السّوْدَاءِ فِـي الثّــوْرِ الأبْيَـضِ, أو كالشّعْرَةِ البَـيْضَاءِ فِـي الثّوْرِ الأسْوَدِ».

18840ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله: إنّ زَلْزَلَةَ السّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيـمٌ قال: هذا يوم القـيامة.

والزلزلة: مصـدر مـن قـوله القائـل: زلزلـتُ بفلان الأرض أزلزلهـا زلزلـة وزِلزالاً, بكسر الزاي من الزّلزال, كما قال اللـه: إذَا زُلْزِلَـتِ الأرْضُ زِلْزَالَهَـا وكذلك الـمصدر من كل سليـم من الأفعال إذا جـاءت علــى فِعلال فبكسـر أوّله, مثـل وَسْـوس وَسْوَسَـة ووِسْواسـا, فـإذا كـان اسـما كـان بفتـح أوّلـه الزّلزال والوَسْواس, وهو ما وسوس إلـى الإنسان, كما قال الشاعر:

يَعْرِف الـجاهِلُ الـمُضَلّلُ أنّ الدّهْرَ فِـيهِ النّكْرَاءُ والزّلْزَالُ

وقوله تعالـى: يَوْمَ تَرَوْنَها يقول جلّ ثنـاؤه: يـوم تـرون أيهـا النـاس زلزلـة الساعة تذهل من عظمها كل مرضعة مولـود عمـا أرضـعت. ويعنــي بقـوله: تَذْهَلُ تنسى وتترك من شدّة كربها, يقال: ذَهَلْت عن كـذا أذْهَـلَ عنـه ذُهُـولاً

وَذَهِلْت أيضا, وهي قليلة, والفصيح: الفتح في الهاء, فأما في المستقبل فالهاء مفتوحة في اللغتين, لم يسمع غير ذلك ومنه قول الشاعر.

صَحَا قَلْبُهُ يا عَزّ أوْ كادَ يَذْهَلُ

فأما إذا أريد أن الهول أنساه وسلاه, قلت: أذهله هذا الأمر عن كذا يُذهله إذهالاً. وفي إثبات الهاء في قوله: كُلّ مُرْضعَة اختلاف بين أهل العربية وكان بعض نحويّي الكوفيين يقول: إذا أثبتت الهاء في المرضعة فإنما يراد أمّ الصبيّ المرضع, وإذا أسقطت فإنه يراد المرأة التي معها صبيّ ترضعه لأنه أريد الفعل بها. قالوا: ولو أريد بها الصفة فيما يرى لقال مُرْضع. قال: وكذلك كل مُفْعِل أو فاعل يكون للأنثى ولا يكون للذكر, فهو بغير هاء, نحو: نُقْرب, ومُوقِر, ومُشْدن, وحامل, وحائض.

قال أبو جعفر: وهذا القول عندي أولى بالصواب في ذلك لأن العرب من شأنها إسقاط هاء التأنيث من كل فاعل ومفعل إذا وصفوا المؤنث به ولو لم يكن للمذكر فيه حظّ, فإذا أرادوا الخبر عنها أنها ستفعله ولم تفعله, أثبتوا هاء التأنيث ليفرقوا بين الصفة والفعل. منه قول الأعشى فيما هو واقع ولم يكن وقع قبل:

فَمثْلِكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعٍفألْهَيْتُها عَنْ ذِي تَمائِمَ مُحْوِلِ

وربما أثبتوا الهاء في الحالتين وربما أسقطوهما فيهما غير أن الفصيح من كلامهم ما وصفت.

فتأويل الكلام إذن: يوم ترون أيها الناس زلزلة الساعة, تنسى وتترك كلّ والدة مولود ترضع ولدها عما أرضعت. كما:

18841ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كُلّ مُرْضِعَةٍ عَمّا أرْضَعَتْ قال: تترك ولدها للكرب الذي نزل بها.

18842ـ حدثنا القسام, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي بكر, عن الحسن: تَذْهَلُ كُلّ مُرْضِعَةٍ عَمّا أرْضَعَتْ قال: ذهلت عن أولادها بغير فطام. وتَضَعُ كُلّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَها قال: ألقت الحوامل ما في بطونها لغير تمام. وتَضَعُ كُلّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا: يقول: وتسقط كل حامل من شدّة كرب ذلك حملها.

وقوله: وَتَرَى النّاسَ سُكارَى قرأت قرّاء الأمصار وَتَـرَى النّـاسَ سُـكارَى على وجه الخطاب للواحد, كأنه قال: وترى يا محمد الناس سُكارى وما هم بسُكارى. وقد رُوي عن أبي زُرْعة بن عمرو بن جرير: «وَتُـرَى النّـاسَ» بضم التاء ونصب «الناس», من قول القائل: أُرِيْت تُرى, التي تطلب الاسم والفعل, كظنّ وأخواتها.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قرّاء الأمصار, لإجماع الحجة من القرّاء عليه.

واختلف القرّاء في قراءة قوله: سُكارَى فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة: سُكارَى وَما هُمْ بِسُكارَى. وقرأته عامة قرّاء أهل الكوفة: «وَتَرَى النّاسَ سَكْرَى وَما هُمْ بِسَكْرَى».

والصواب من القول في ذلك عندنا, أنهما قراءتان مستفيضتان في قَراءةَ الأمصار, متقاربتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب الصواب. ومعنى الكلام: وترى الناس يا محمد من عظيم ما نزل بهم من الكرب وشدّته سُكارى من الفزع وما هم بسُكارى من شرب الخمر.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
18843ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي بكر, عن الحسن: وَتَرَى النّاسَ سُكارَى من الخوف, وَما هُمْ بِسُكارى من الشراب.
18844ـ قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قوله: وَما هُمْ بِسُكارَى قال: ما هُم بسكارى من الشراب وَلَكِنّ عَذَابَ اللّهِ شَدِيدٌ.
18845ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَتَرَى النّاسَ سُكارَى وَما هُمْ بِسُكارَى قال: ما شربوا خمرا وَلَكِنّ عَذَابَ اللّهِ شَدِيدٌ يقول تعالى ذكره: ولكنهم صاروا سكارى من خوف عذاب الله عند معاينتهم ما عاينوا من كرب ذلك وعظيم هوله, مع علمهم بشدّة عذاب الله.

الآية : 3

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمِنَ النّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتّبِعُ كُلّ شَيْطَانٍ مّرِيدٍ }.
ذكر أن هذه الآية: نزلت في النضر بن الحارث.
18846ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج: وَمِنَ النّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللّهِ بغَيْرِ عِلْمٍ قال: النضْر بن الحارث.
ويعني بقوله: مَنْ يُجادِلُ في اللّهِ بغَيْرِ عِلْمٍ من يخاصم في الله, فيزعم أن الله غير قادر على إحياء من قد بَلي وصار ترابا, بغير علم يعلمه, بل بجهل منه بما يقول. وَيَتّبِعُ في قيله ذلك وجداله في الله بغير علم كُلّ شَيْطانٍ مّرِيدٍ.

الآية : 4

القول في تأويل قوله تعالى: {كُتِبَ عَلَيْهِ أَنّهُ مَن تَوَلاّهُ فَأَنّهُ يُضِلّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىَ عَذَابِ السّعِيرِ }.
يقول تعالى ذكره: قُضي على الشيطان فمعنى: «كُتِبَ» ههنا قُضِي, والهاء التي في قوله «عليه» من ذكر الشيطان. كما:
18847ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر عن قتادة: كُتِبَ عَلَيْهِ أنّهُ مَنْ تَوَلاّهُ قال: كُتب على الشيطان, أنه من اتبع الشيطان من خلق الله.
18848ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: كُتِبَ عَلَيْهِ أنّهُ مَنْ تَوَلاّهُ قال: الشيطان اتبعه.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد أنّهُ مَنْ تَوَلاّهُ, قال: اتبعه.
وقوله: فأنّهُ يُضِلّهُ يقول: فإن الشيطان يضله, يعني: يضلّ من تولاه. والهاء التي في «يضله» عائدة على «من» التي في قوله: مَنْ تَوَلاّهُ وتأويل الكلام: قُضِي على الشيطان أنه يضلّ أتباعه ولا يهديهم إلى الحقّ. وقوله: وَيَهْدِيهِ إلى عَذَابِ السّعِيرِ يقول: وَيَسُوقُ مَنْ اتّبَعَهُ إلى

عذاب جهنـم الـموقدة وسـياقه إيـاه إلـيه بـدعائه إلـى طـاعته ومعصـيته الرحمن, فذلك هدايته من تبعه إلـى عذاب جهنـم.

الآية : 5

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {يَأَيُّهَا النّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مّـنَ الْبَعْـثِ فَإِنّا خَلَقْنَاكُمْ مّن تُرَابٍ ثُمّ مِن نّطْفَةٍ ثُمّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمّ مِن مّضْغَةٍ مّخَلّقَةٍ وَغَيْـرِ مُخَلّقَةٍ لّنُبَيّنَ لَكُمْ وَنُقِرّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَـىَ أَجَـلٍ مّسَـمّى ثُـمّ نُخْرِجُكُـمْ طِفْلاً ثُمّ لِتَبْلُغُوَاْ أَشُدّكُمْ وَمِنكُمْ مّن يُتَوَفّىَ وَمِنكُمْ مّـن يُـرَدّ إِلَـىَ أَرْذَلِ الْعُمُـرِ لِكَيْلاَ يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَـيْئاً وَتَـرَى الأَرْضَ هَامِـدَةً فَـإِذَآ أَنزَلْنَـا عَلَيْهَـا الْمَـآءَ اهْتَزّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلّ زَوْجٍ بَهِيجٍ }.

وهذا احتـجاج من الله علـى الذي أخبر عنه من الناس أنه يجادل فـي الله بغير علـم, اتبـاعا منه للشيطان الـمريد وتنبـيه له علـى موضـع خطـأ قـيـله وإنكاره ما أنكر من قدرة ربه. قال: يا أيهـا النـاس إن كنتـم فـي شـكّ مـن قدرتنا علـى بعثكم من قبوركم بعد مـماتكم وبلاكُم استعظاما منكـم لـذلك, فإن فـي ابتـدائنا خـلق أبـيكم آدم صـلى اللـه عليـه وسـلم مـن تـراب ثـم إنشائناكم من نطفة آدم ثم تصريفناكم أحوالاً حالاً بعد حال, من نطفة إلـى علقة, ثم من علقة إلـى مُضغة, لكم معتبرا ومتعظا تعتـبرون بـه, فتعلـمون أن من قدر علـى ذلك فغير متعذّر علـيه إعادتكم بعد فنائكم كما كنتـم أحيـاء قبل الفناء.

واختلف أهل التأويـل فـي تأويـل قوله: مخـلّقةٍ وغَيْرِ مُخَـلّقَةٍ فقال بعضهم: هي من صفة النطفة. قال: ومعنى ذلك: فإنا خـلقناكم مـن تـراب, ثـم مـن نطفة مخـلقة وغير مخـلقة قالوا: فأما الـمخـلقة فما كان خـلقا سَـوِيّا وأمـا غير مخـلقة فما دفعته الأرحام من النّطَف وألقته قبل أن يكـون خـلقا. ذكـر من قال ذلك:

18849ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا أبو معاوية, عن داود بـن أبـي هنـد, عن عامر, عن علقمة, عن عبد الله, قـال: إذا وقعـت النطفـة فـي الرحـم, بعث الله ملَكا فقال: يا ربّ مخـلقة أو غير مخـلقة؟ فإن قال: غيـر مخـلّقة, مـجّتها الأرحام دما, وإن قال: مخـلقة, قال: يا ربّ فمـا صـفة هـذه النطفـة أذكر أم أنثى؟ ما رزقها ما أجلها؟ أشقـيّ أو سعيد؟ قال: فـيقال لـه: انطلـق إلـى أمّ الكتاب فـاستنسخ منـه صـفة هـذه النطفـة قـال: فـينطلق الـملك فـينسخها فلا تزال معه حتـى يأتـي علـى آخر صفتها.

وقال آخرون: معنى قلك: تامة وغير تامة. ذكر من قال ذلك:

18850ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا سلـيـمان, قال: حدثنا أبو هلال, عن قَتادة فـي قول الله: مُخَـلّقَةٍ وغَيرَ مُخَـلّقَةٍ قال: تامة وغير تامة.

حدثنا ابن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن قَتادة: مُخَـلّقَةٍ وغيرِ مُخَـلّقَةٍ فذكر مثله.

وقال آخرون: معنى ذلك الـمضغة إنسانا وغير مصوّرة, فإذا صوّرت فهـي مخَـلقة وإذا لـم تصوّر فهي غير مخَـلقة. ذكر من قال ذلك:

18851ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن مـحمد بـن عبد الرحمن, عن القاسم بن أبـي بَزّة, عن مـجاهد فـي قوله: مُخَـلّقَةٍ قـال: السّقط, مخـلّقة وغَير مُخَـلّقَة.

حدثني محمد بن عمر, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قول الله: مُخَلَّقَةٍ وَغيرِ مُخَلَّقَةٍ قال: السقط, مخلوق وغير مَخلوق.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, بنحوه.

18852ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا عبد الأعلى, قال: حدثنا داود, عن عامر أنه قال في النطفة والمضغة إذا نكست في الخلق الرابع كانت نَسَمة مخلقة, وإذا قذفتها قبل ذلك فهي غير مخلقة.

18853ـ قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي, عن حماد بن أبي سلمة, عن داود بن أبي هند, عن أبي العالية: مُخَلَّقَةٍ وغَيرِ مُخَلَّقَةٍ قال: السقط.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: المخلقة المصورة خلقا تامّا, وغير مخلقة: السّقط قبل تمام خلقه لأن المخلقة وغير المخلقة من نعت المضغة والنطفة بعد مصيرها مضغة, لم يبق لها حتى تصير خلقا سويّا إلا التصوير وذلك هو المراد بقوله: مُخَلَّقَةٍ وغَيرِ مُخَلَّقَةٍ خلقا سويّا, وغير مخلقة بأن تلقيه الأم مضغة ولا تصوّر ولا ينفخ فيها الروح.

وقوله: لِنُبَيّنَ لَكُمْ يقول تعالى ذكره: جعلنا المضغة منها المخلقة التامة ومنها السقط غير التامّ, لنبين لكم قدرتنا على ما نشاء ونعرّفكم ابتداءنا خلقكم.

وقوله: وَنُقِرّ في الأرْحامِ ما نَشاءُ إلى أجَلٍ مُسَمّى يقول تعالى ذكره: من كنا كتبنا له بقاء وحياة إلَى أمد وغاية, فأنا نقرّه في رحم أمه إلى وقته الذي جعلنا له أن يمكث في رحمها فلا تسقطه ولا يخرج منها حتى يبلغ أجله, فإذا بلغ وقت خروجه من رحمها أذنا له بالخروج منها, فيخرج.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18854ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَنُقِرّ فِي الأرْحامِ ما نَشاءُ إلى أجَلٍ مُسَمّى قال: التمام.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.

18855ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَنُقِرّ فِي الأرْحامِ ما نَشاءُ إلى أجَلٍ مُسَمّى قال: الأجل المسمى: أقامته في الرحم حتى يخرج.

وقوله: ثُمّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً يقول تعالى ذكره: ثم نخرجكم من أرحام أمهاتكم إذا بلغتم الأجل الذي قدرته لخروجكم منها طفلاً صغارا ووحّد «الطفل», وهو صفة للجميع, لأنه مصدر مثل عدل وزور. وقوله: ثُمّ لِتَبْلُغُوا أشُدّكُمْ يقول: ثم لتبلغوا كمال عقولكم ونهاية قواكم بعمركم.

وقد ذكرت اختلاف المختلفين في الأشدّ, والصواب من القول فيه عندنا بشواهده فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

يقول تعالى ذكره: ومنكم أيها الناس من يُتَوفى قبل أن يبلغ أشدّه فيموت, ومنكم من يُنْسَأ في أجله فيعمر حتى يهرم فيردّ من بعد انتهاء

شبابه وبلوغه غاية أشدّه إلى أرذل عمره, وذلك الهرم, حتى يعود كهيئته في حال صباه لا يعقل من بعد عقله الأوّل شيئا. ومعنى الكلام: ومنكم من يردّ إلى أرذل العمر بعد بلوغه أشدّه لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ كان يعلمه شَيْئا.

وقوله: وَتَرَى الأرْضَ هامِدَةً يقول تعالى ذكره: وترى الأرض يا محمد يابسة دارسة الآثار من النبات والزرع. وأصل الهمود: الدروس والدثور, ويقال منه: همدت الأرض تهمد هُمودا ومنه قول الأعشى ميمون بن قيس:

قالَتْ قُتَيْلَةُ ما لِجِسْمِكَ شاحِبا وأرَى ثِيابَكَ بالِياتٍ هُمّدَا

والهُمّد: جمع هامد, كما الرّكّع جمع راكع.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18856ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, في قوله: وَتَرَى الأرْضَ هامدَةً قال: لا نبات فيها.

وقوله: فإذَا أنْزَلْنا عَلَيْها المَاء اهْتَزّتْ يقول تعالى ذكره: فإذا نحن أنزلنا على هذه الأرض الهامدة التي لا نبات فيها والمطرَ من السماء اهْتَزّتْ يقول: تحركت بالنبات, وَرَبَتْ يقول: وأضعفت النبات بمجيء الغيث.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18857ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قَتادة: اهْتَزّتْ وَرَبَتْ قال: عُرِف الغيث في ربوها.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة: اهْتَزّتْ وَرَبَتْ قال: حسنت, وعرف الغيث في ربوها.

وكان بعضهم يقول: معنى ذلك: فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت. ويوجه المعنى إلى الزرع, وإن كان الكلام مخرجه على الخبر عن الأرض. وقرأت قراء الأمصار: وَرَبَتْ بمعنى: الربو, الذي هو النماء والزيادة. وكان أبو جعفر القارىء يقرأ ذلك: «وَرَبأتْ» بالهمز.

18858ـ حُدثت عن الفراء, عن أبي عبد الله التميمي عنه.

وذلك غلط, لأنه لا وجه للرب ههنا, وإنما يقال ربأ بالهمز بمعنى: حرس من الربيئة, ولا معنى للحراسة في هذا الموضع. والصحيح من القراءة ما عليه قراء الأمصار.

وقوله: وأنْبَتَتْ مِنْ كُلّ زَوْجٍ بَهِيجٍ يقول جلّ ثناؤه: وأنبتت هذه الأرض الهامدة بذلك الغيث مِنْ كُلّ نوع بهيج. يعني بالبهيج: البهج, وهو الحسن.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18859ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قَتادة: وأنْبَتَتْ مِنْ كُلّ زَوْجٍ بَهِيجٍ قال: حسن.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, مثله.

الآية : 6 - 7

القول في تأويل قوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنّ اللّهَ هُوَ الْحَقّ وَأَنّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىَ وَأَنّهُ عَلَىَ كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنّ السّاعَةَ آتِيَةٌ لاّ رَيْبَ فِيهَا وَأَنّ اللّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ }.

يعني تعالى ذكره بقوله: ذلك هذا الذي ذكرت لكم أيها الناس من بدئنا خلقكم في بطون أمهاتكم, ووصفنا أحوالكم قبل الميلاد وبعده, طفلاً, وكهلاً, وشيخا هرما وتنبيهناكم على فعلنا بالأرض الهامدة بما ننزل عليها

من الغيث لتؤمنوا وتصدّقوا بأن ذلك الذي فعل ذلك الله الـذي هـو الـحقّ لا شك فـيه, وأن من سواه مـما تعبدون مـن الأوثـان والأصـنام بـاطل لأنهـا لا تقدر علـى فعل شيء من ذلـك, وتعلــموا أن القـدرة التــي جعـل بهـا هـذه الأشياء العجيبة لا يتعذّر علـيها أن يحيـي بهـا الـموتــى بعـد فنائهـا ودروسـها فـي التراب, وأن فـاعل ذلك علـى كلّ ما أراد وشاء من شيء قادر لا يــمتنع علـيه شيء أراده, ولتوقنوا بذلك أن الساعة التــي وعـدتكم أن أبعـث فــيها الـموتـى من قبورهم جائية لا مـحالة لا رَيْبَ فـيها يقول: لا شك فـي مـجيئها وحدوثها, وأنّ اللّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِـي القُبُورِ حينئذٍ مَن فــيها مـن الأمـوات أحيـاء إلـى موقـف الـحساب, فلا تشكّوا فـي ذلك ولا تـمترُوا فـيه.

الآية : 8

القول فـي تأويـل قوله تعالـى:

{ومِنَ النّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللّهِ بِغَيْرِ عِلْـمٍ وَلاَ هُـدًى وَلاَ كِتَابٍ مّنِيرٍ }.

يقول تعالـى ذكره: ومن النـاس مـن يخاصـم فـي توحيـد اللـه وإفـراده بـالألوهة بغير علـم منه بـما يخاصم به. وَلاَ هُدًى يقول: وبغير بـيان معه لـما يقول ولا بُرْهان. وَلا كِتابٍ مَنِيرٍ يقول: وبغير كتاب مـن اللـه أتـاه لصـحة مـا يقول. منـير يقول بنـير عن حجته, وإنـما يقول ما يقول من الـجهل ظنّا منـه وحسبـانا. وذكر أن عُنِـي بهذه الآية والتـي بعدها النضر بن الـحارث من بنـي عبد الدار.

الآية : 9-10

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلّ عَن سَبِيلِ اللّهِ لَـهُ فِـي الدّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ * ذَلِكَ بِمَـا قَـدّمَتْ يَـدَاكَ وَأَنّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلاّمٍ لّلعَبِيدِ }.

يقول تعالـى ذكره: يجادل هذا الذي يجـادل فــي اللـه بغيـر علــم ثانِــيَ عِطْفِهِ.

واختلف أهل التأويـل فـي الـمعنى الذي من أجله وصف بأنه يثنـي عطفـه وما الـمراد من وصفه إياه بذلك, فقال بعضهم: وصفه بذلك لتكبره وتبختره. وذكر عن العرب أنها تقول: جاءنـي فلان ثانـي عطفه: إذا جـاء متبخـترا مـن الكبر ذكر من قال ذلك:

18860ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, فـي قوله: ثانِـيَ عِطْفِهِ يقول: مستكبرا فـي نفسه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: لاوٍ رقبته. ذكر من قال ذلك:

18861ـ حدثنـي مـحمد بن عمـرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: ثانِـي عِطْفِهِ قال: رقبته.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد, مثله.

18862ـ حدثنا ابن عبد الأعلـى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة: ثانِـيَ عِطْفِهِ قال: لاوٍ عنقه.

حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن معمر, عن قَتادة, مثله.

وقال آخرون: معنى ذلك أنه يُعْرِضُ عما يُدْعَى إليه فلا يسمع له. ذكر من قال ذلك:

18863ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: ثانِيَ عِطْفِهِ يقول: يعرض عن ذكري.

18864ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: ثانِيَ عِطْفِهِ عَنْ سَبِيلِ الله قال: لاويا رأسه, معرضا موليا, لا يريد أن يسمع ما قيل له. وقرأ: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ ورأَيْتَهُمْ يَصُدّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آياتُنا وَلّى مُسْتَكْبِرا.

18865ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, قوله: ثانِيَ عِطْفِهِ قال: يعرض عن الحقّ.

قال أبو جعفر: وهذه الأقوال الثلاثة متقاربات المعنى وذلك أن من كان ذا استكبار فمن شأنه الإعراضُ عما هو مستكبر عنه ولَيّ عنقه عنه والإعراض.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله وصف هذا المخاصم في الله بغير علم أنه من كبره إذا دُعي إلى الله أعرض عن داعيه لوى عنقه عنه ولم يسمع ما يقال له استكبارا.

وقوله: لِيُضِلّ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ يقول تعالى ذكره: يجادل هذا المشرك في الله بغير علم معرضا عن الحقّ استكبارا, ليصدّ المؤمنين بالله عن دينهم الذي هداهم له ويستزلهم عنه. لَهُ فِي الدّنْيا خِزْيٌ يقول جلّ ثناؤه: لهذا المجادل في الله بغير علم في الدنيا خزي وهو القتل والذلّ والمهانة بأيدي المؤمنين, فقتله الله بأيديهم يوم بدر. كما:

18866ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قوله: فِي الدّنيْا خِزْيٌ قال: قُتل يوم بدر.

وقوله: وَنُذِيقُهُ يَوْمَ القِيامَةِ عَذَابَ الحَرِيقِ يقول تعالى ذكره: ونحرقه يوم القيامة بالنار. وقوله: ذَلكَ بِمَا قَدّمَتْ يَدَاكَ يقول جلّ ثناؤه: ويقال له إذا أذيق عذاب النار يوم القيامة: هذا العذاب الذي نذيقكه اليوم بما قدمت يداك في الدنيا من الذنوب والآثام واكتسبته فيها من الإجرام. وإنّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلاّمٍ لِلْعَبِيدِ يقول: وفعلنا ذلك لأن الله ليس بظلام للعبيد فيعاقب بعض عَبيده على جُرْم وهو يغفر مثله من آخر غيره, أو يحمل ذنب مذنب على غير مذنب فيعاقبه به ويعفو عن صاحب الذنب ولكنه لا يعاقب أحدا إلا على جرمه ولا يعذب أحدا على ذنب يغفر مثله لآخر إلا بسبب استحق به منه مغفرته.

الآية : 11

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمِنَ النّاسِ مَن يَعْبُدُ اللّهَ عَلَىَ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىَ وَجْهِهِ خَسِرَ الدّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ }.

يعني جلّ ذكره بقوله: وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَعْبُد اللّهَ عَلى حَرْفٍ أعرابا كانوا يقدمون على رسول الله صلى الله عليه وسلم, مهاجرين من باديتهم, فإن نالوا رخاء من عيش بعد الهجرة والدخول في الإسلام أقاموا على الإسلام, وإلا ارتدّوا على أعقابهم فقال الله: وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللّهَ على شكّ,

فإنْ أصابهُ اطمأنّ بهِ وهو السعة من العيش وما يشبهه من أسباب الدنيا اطْمَأَنَ بِهِ يقول: استقرّ بالإسلام وثبت عليه. وَإنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ وهو الضيق بالعيش وما يشبهه من أسباب الدنيا انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ يقول: ارتدّ فانقلب على وجهه الذي كان عليه من الكفر بالله.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18867ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللّهَ عَلى حَرْفٍ... إلى قوله: انْقَلَبَ عَلى وَجْهِهِ قال: الفتنة البلاء, كان أحدهم إذا قدم المدينة وهي أرض وبيئة, فإن صحّ بها جسمه ونُتِجت فرسه مُهرا حسنا وولدت امرأته غلاما رضي به واطمأنّ إليه وقال: ما أصبت منذ كنت علي ديني هذا إلا خيرا وإن أصابه وجع المدينة وولدت امرأته جارية وتأخرت عنه الصدقة, أتاه الشيطان فقال: والله ما أصبت منذ كنت على دينك هذا إلا شرّا وذلك الفتنة.

18868ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, قال: حدثنا عنبسة, عن أبي بكر, عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى, عن القاسم بن أبي بَزّة, عن مجاهد في قول الله: وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللّهَ عَلى حَرْفٍ قال: على شكّ.

18869ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: عَلى حَرْفٍ قال: على شكّ. فإنْ أصابهُ خيرٌ رَخاء وعافية اطمأنّ بهِ: استقرّ. وإن أَصَابَتْه فِتْنَةٌ عذاب ومصيبة انْقَلَبَ ارتدّ عَلى وَجْهِهِ كافرا.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, بنحوه.

قال ابن جُرَيج: كان ناس من قبائل العرب وممن حولهم من أهل القرى يقولون: نأتي محمدا صلى الله عليه وسلم, فإن صادفنا خيرا من معيشة الرزق ثبتنا معه, وإلا لحقنا بأهلنا.

18870ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: مَنْ يَعْبُدُ اللّهَ عَلى حَرْفٍ قال: شك. فإنْ أصابَهُ خَيْرٌ يقول: أكثر ماله وكثرت ما شيته اطمأنّ قال: لم يصبني في ديني هذا منذ دخلته إلا خير وَإنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ يقول: وإن ذهب ماله, وذهبت ما شيته انْقَلَبَ على وَجْهِهِ خَسِرَ الدّنيْا والآخِرَةَ.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, نحوه.

18871ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللّهَ عَلى حَرْفٍ الآية, كان ناس من قبائل العرب وممن حولَ المدينة من القرى كانوا يقولون: نأتي محمدا صلى الله عليه وسلم فننظر في شأنه, فإن صادفنا خيرا ثبتنا معه, وإلا لحقنا بمنازلنا وأهلينا. وكانوا يأتونه فيقولون: نحن على دينك فإن أصابوا معيشة ونَتَجُوا خيلهم وولدت نساؤهم الغلمان, اطمأنوا وقالوا: هذا دين صدق وإن تأخر عنهم الرزق وأزلقت

خيـولهم وولـدت نسـاؤهم البنـات, قـالوا: هـذا ديـن سَـوْء فـانقلبوا علـى وجوههم.

18872ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فـي قوله: وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللّهَ عَلـى حَرْفٍ فإنْ أصَابَهُ خَيْـرٌ اطْمـأنّ بِـهِ وَإنْ أصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلـى وَجْهِهِ خَسِرَ الدّنـيْا والآخِرَةَ قال: هـذا الـمنافق, إن صلـحت له دنـياه أقـام علـى العبـادة, وإن فسـدت علـيه دنـياه وتغيـرت انقلب, ولا يقـيـم علـى العبـادة إلا لـما صَلَـح من دنـياه. وإذا أصابته شـدّة أو فتنة أو اختبـار أو ضيق, ترك دينه ورجع إلـى الكفر.

وقوله: خَسِرَ الدّنـيا والآخِرَةَ يقول: غَبِن هذا الذي وصف جلّ ثناؤه صفته دنـياه لأنه لـم يظفر بحاجته منها بـما كـان مـن عبـادته اللـه علـى الشـك, ووضع فـي تـجارته فلـم يربح والآخِـرَةَ يقـول: وخسـر الآخـرة, فـإنه معـذّب فـيها بنار الله الـموقدة. وقوله: ذلكَ هُوَ الـخُسْرَانُ الـمُبِـينُ يقول: وخسارته الدنـيا والآخرة هي الـخسران, يعنـي الهلاك. الـمُبِـينُ يقول: يبـين لـمن فكّر فـيه وتدبره أنه قد خسر الدنـيا والآخرة.

واختلفت القرّاء فـي قراءة ذلك, فقرأته قرّاء الأمصـار جميعـا غيـر حميـد الأعرج: خَسِرَ الدنـيا والآخِـرَةَ علـى وجـه الـمضيّ. وقـرأه حميـد الأعـرج: «خاسِرا» نصبـا علـى الـحال علـى مثال فـاعل.

الآية : 12

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {يَـدْعُو مِـن دُونِ اللّـهِ مَـا لاَ يَضُـرّهُ وَمَـا لاَ يَنفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضّلاَلُ الْبَعِيدُ }.

يقول تعالـى ذكره: وإن أصابت هذا الذي يعبد الله علـى حرف فتنة, ارتدّ عن دين الله, يدعو من دون الله آلهة لا تضرّه إن لـم يعبـدها فـي الدنـيا ولا تنفعه فـي الآخرة إن عبدها. ذلكَ هُوَ الضّلالُ البَعِيدُ يقول: ارتداده ذلك داعيـا من دون الله هذه الآلهة هو الأخذ علـى غير استقامة والذهاب عن ديـن اللـه ذهابـا بعيدا.

18873ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فـي قوله: يَدْعُو مِنْ دُونِ اللّهِ ما لا يَضُرّهُ وَما لا يَنْفَعُهُ يكفر بعـد إيـمانه ذلـكَ هُـوَ الضّلالُ البَعِيدُ.

الآية : 13

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {يَدْعُو لَمَنْ ضَـرّهُ أَقْـرَبُ مِـن نّفْعِـهِ لَبِئْـسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ }.

يقول تعالـى ذكره: يدعو هذا الـمنقلب علـى وجهه مـن أن أصـابته فتنـة آلهة لضرّها فـي الآخرة لـه, أقـرب وأسـرع إلـيه مـن نفعهـا. وذكـر أن ابـن مسعود كان يقرؤه: «يدعو مَنْ ضَرّه أقرب من نفعه».

واختلف أهل العربـية فـي موضع «مَـنْ», فكـان بعـض نـحوّيـي البصـرة يقول: موضعه نصب ب «يدعو», ويقول: معنـاه: يـدعو لآلهـة ضـرّها أقـرب من نفعها, ويقول: هو شاذّ لأنـه لـم يوجـد فـي الكلام: يـدعو لزيـدا. وكـان بعض نـحويّـي الكوفة يقول: اللام مـن صـلة «مـا» بعـد «مَـنْ» كـأن معنـى الكلام عنده: يدعو من لَضَرّه أقرب من نفعه وحُكي عن العرب سماعا منها: عندي لَـمَا غيرُه خير منه, بـمعنى: عندي ما لغيـره خيـر منـه وأعطيتـك لـما

غيرُه خير منه, بمعنى: ما لغيره خير منه. وقال: جائز في كلّ ما لم يتبين فيه الإعراب الاعتراض باللام دون الاسم.

وقال آخرون منهم: جائز أن يكون معنى ذلك: هو الضلال البعيد يدعو فيكون «يدعو» صلة «الضلال البعيد», وتضمر في «يدعو» الهاء ثم تستأنف الكلام باللام, فتقول لمن ضرّه أقرب من نفعه: لبئس المولى كقولك في الكلام في مذهب الجزاء: لَمَا فَعَلْتَ لَهُو خَيْر لك. فعلى هذا القول «من» في موضع رفع بالهاء في قوله «ضَرّه», لأن «مَنْ» إذا كانت جزاء فإنما يعربها ما بعدها, واللام الثانية في «لبئس المولى» جواب اللام الأولى. وهذا القول الآخر على مذهب العربية أصحّ, والأوّل إلى مذهب أهل التأويل أقرب.

وقوله: لَبِئْسَ المَوْلَى يقول: لبئس ابن العمّ هذا الذي يعبد الله على حرف. وَلَبِئْسَ العَشِيرُ يقول: ولبئس الخليط المعاشر والصاحب, هو, كما:

18874ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلَبِئْسَ العَشِيرُ قال: العشير: هو المعاشر الصاحب.

وقد قيل: عني بالمولى في هذا الموضع: الوليّ الناصر.

وكان مجاهد يقول: عُني بقوله: لَبِئْسَ المَوْلَى وَلَبِئْسَ العَشِيرُ الوثن.

18875ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله»: وَلَبِئْسَ العَشِيرُ قال: الوثن.

الآية : 14

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ اللّهَ يُدْخِلُ الّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصّالِحَاتِ جَنَاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأنْهَارُ إِنّ اللّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ }.

يقول تعالى ذكره: إن الله يدخل الذين صدقوا الله ورسوله, وعملوا بما أمرهم الله في الدنيا, وانتهوا عما نهاهم عنه فيها جَنّاتٍ يعني بساتين, تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنهارُ يقول: تجري الأنهار من تحت أشجارها. إنّ اللّهَ يَفْعَلُ ما يُرِيدُ فيعطي ما شاء من كرامته أهل طاعته وما شاء من الهوان أهل معصيته.

الآية : 15 و16

القول في تأويل قوله تعالى: {مَن كَانَ يَظُنّ أَن لّن يَنصُرَهُ اللّهُ فِي الدّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السّمَآءِ ثُمّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ * وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيّنَاتٍ وَأَنّ اللّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ }.

اختلف أهل التأويل في المعنيّ بالهاء التي في قوله: أنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللّهُ.

فقال بعضهم: عُنِي بها نبي الله صلى الله عليه وسلم. فتأويله على قوله بعض قائلي ذلك: من كان من الناس يحسب أن لن ينصر الله محمدا في الدنيا والآخرة, فليمدد بحبل وهو السبب إلى السماء: يعني سماء البيت, وهو سقفه, ثم ليقطع السبب بعد الاختناق به, فلينظر هل يذهبن

اختناقه ذلك وقطعه السبب بعد الاختناق ما يغيظ يقول: هل يذهبن ذلـك مـا يجد فـي صدره من الغيظ ذكر من قال ذلك:

18876ـ حدثنا نصر بن علـيّ, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي خالد بن قـيس, عن قَتادة: من كان يظن أن لن ينصر الله نبـيه ولا دينـه ولا كتـابه, فلـيـمدُدْ بسببٍ يقول: بحبل إلـى سماء البـيت فلـيختنق به, فَلْـيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنّ كَيْـدُهُ ما يَغِيظُ.

حدثنا ابن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قَتادة: مَنْ كانَ يَظُنّ أنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللّهُ فِـي الدّنـيا والآخِرَةِ قال: مـن كـان يظـنّ أن لن ينصر الله نبـيه صلى الله عليه وسلم, فَلْـيَـمْدُدْ بِسَبَبٍ يقول: بحبـل إلــى سماء البـيت, ثُمّ لـيْقْطَعْ يقول: ثم لـيختنق ثم لــينظر هـل يـذهبنّ كيـده مـا يغيظ.

حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال أخبرنا معمـر, عـن قَتـادة, بنـحوه.

وقال آخرون مـمن قال الهاء فـي «ينصره» من ذكر اسم رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم: السـماء التــي ذكـرت فــي هـذا الــموضع هـي السـماء الـمعروفة. قالوا: معنى الكلام, ما:

18877ـ حدثنـي به يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: مَنْ كانَ يَظُنّ أنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللّهُ فِـي الدّنـيا والآخِرَةِ فقـرأ حتــى بلـغ: هَلْ يُذْهِبَنّ كَيْدُهُ ما يَغِيظُ قال: من كان يظن أن لن ينصر الله نبـيه صلى الله عليه وسلم ويكابد هذا الأمر لـيقطعه عنه ومنه, فلـيقطع ذلك من أصله مــن حيث يأتـيه, فإن أصله فـي السماء, فلـيمدد بسـبب إلــى السـماء, لــيقطع عن النبـيّ صلى الله عليه وسلم الوحي الذي يأتـيه من اللـه, فـإنه لا يكايـده حتـى يقطع أصله عنه, فكايد ذلك حتـى قطع أصله عنه. فَلْـيَنْظُرْ هَلْ يُـذهِبَنّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ما دخـلهم من ذلك وغاظهم الله به من نصرة النبـيّ صلى الله عليه وسلم وما ينزل علـيه.

وقال آخرون مـمن قال «الهـاء» التــي فــي قـوله: «يَنْصُـرَهُ» مـن ذكـر مـحمد صلى الله عليه وسلم معنى النصر ها هنا الرزق. فعلــى قـول هـؤلاء تأويـل الكلام: من كان يظـنّ أن لـن يـرزق اللـه مــحمدا فــي الدنــيا, ولـن يعطيه. وذكروا سماعا من العرب: من ينصرنــي نصـره اللـه, بــمعنى: مـن يعطنـي أعطاه الله. وحكوا أيضا سماعا منهـم: نصـر الــمطر أرض كـذا: إذا جادها وأحياها. واستشهد لذلك ببـيت الفقعسيّ:

وإنّكَ لا تُعْطِي امْرأً فَوْقَ حَظّهِوَلاَ تـمْلِكُ الشّوقّ الّذي الغَيْثُ ناصِرُهُ

ذكر من قال ذلك:

18878ـ حدثنـي أبو كريب, قال: حدثنا ابن عطية, قال: حدثنا إسرائيـل, عن أبـي إسحاق, عن التـميـمي, قال: قلت لابن عبـاس: أرأيت قـوله: مَـنْ كانَ يَظُـنّ أنْ لَـنْ يَنْصُـرَهُ اللّـهُ فِــي الدّنــيا والآخِـرَةِ فَلْـيَـمْدُدْ بِسَـبَبٍ إلــى السّماءِ ثُمّ لْـيَقْطَعْ فَلْـيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنّ كَيْدُهُ ما يَغِيظُ؟ قال: من كان يظنّ أن لن ينصر الله مـحمدا, فلـيربط حبلاً فـي سقـف ثم لـيختنق به حتـى يـموت.

حـدثنا ابـن حميـد, قـال: حـدثنا حكـام عـن عنبسـة, عـن أبــي إسـحاق الهمدانـيّ, عن التـميـمّي, قال: سألت ابن عبـاس, عن قوله: مَنْ كانَ يَظُنّ أنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللّهُ قال: أن لـن يرزقـه اللـه فــي الدنــيا والآخـرة, فَلْـيَـمْدُدْ بِسَبَبٍ إلـى السّماءِ والسبب: الـحَبْل, والسماء: سقـف البـيت فلـيعلق حبلاً

فـي سماء البـيت ثم لـيختنق فَلْـيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنّ كَيْدُهُ هذا الذي صنع ما يجـد من الغيظ.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكـام, عـن عمـرو بـن مطـرف, عـن أبــي إسحاق, عن رجل من بنـي تـميـم, عن ابن عبـاس, مثله.
18879ـ حدثنا مـحمد بن بشار, قـال: حـدثنا عبـد الرحمـن, قـال: حـدثنا سفـيان, عن أبـي إسحاق, عن التـميـميّ, عن ابن عبـاس: مَنْ كانَ يَظُنّ أنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللّهُ فِـي الدّنـيا والآخِرَةِ فَلْـيَـمْدُدْ بِسَبَبٍ إلـى السّماءِ قال: سـماء البـيت.
حدثنا مـحمد بن الـمثنى, قال: حدثنا أبو داود, قال: حدثنا شعبة, عن أبـي إسحاق, قال: سمعت التـميـميّ, يقول: سألت ابن عبـاس, فذكر مثله.
حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنــي عمـي, قـال: ثنــي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: مَنْ كانَ يَظُنّ أنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللّهُ فِـي الدّنـيا والآخِرَةِ... إلـى قوله: ما يَغِيظُ قال: السماء التــي أمـر اللـه أن يــمد إلـيها بسبب سقـف البـيت أمر أن يـمد إلـيه بحبل فـيختنق به, قال: فلـينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ إذا اختنق إن خشي أن لا ينصره الله
وقال آخرون: الهاء فـي «ينصره» من ذكر «مَنْ». وقالوا: معنـي الكلام: من كان يظنّ أن لا يرزقه الله فــي الدنــيا والآخـرة, فلـيــمدد بسـبب إلــى سماء البـيت ثم لـيختنق, فلـينظر هل يذهبن فعله ذلك ما يغيظ, أنه لا يرزق ذكر من قال ذلك:
18880ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, ق ال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قول الله أنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللّهُ قال: يرزقه الله. فَلْـيَـمْدُدْ بِسَـبَبٍ قـال: بحبـل إلــى السـماءِ سماء ما فوقك. ثمّ لْـيَقْطَعْ لـيختنق, هل يذهبن كيده ذلك خنقه أن لا يرزق.
18881ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, ع ن اب ن جُرَيج, عن مـجاهد, فـي قوله: مَنْ كانَ يَظُنّ أنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللّهُ يرزقـه اللـه. فَلْـيَـمْدُدْ بِسَبَبٍ إلـى السّماءِ قال: بحبل إلـى السماء.
قال ابن جُرَيج, عن عطاء الـخراسانـي, عن ابن عبـاس, قال: إلـى السماءِ إلـى سماء البـيت. قال ابن جُرَيج: وقال مـجاهد: ثُمّ لْـيَقْطَعْ قـال: لــيختنق, وذلك كيده ما يَغِيظُ قال: ذلك خنقه أن لا يرزقه الله.
18882ـ حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: حدثنا عبـيد بن سلـيـمان, قال: سمعت الضحاك يقول فـي قـوله: فَلْـيَــمْدُدْ بِسَـبَبٍ يعنــي: بحبل. إلـى السماءِ يعنـي: سماء البـيت.
18883ـ حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا ابن علـية, قـال: أخبرنـا أبـو رجـاء, قال: سُئل عكرمة عـن قـوله: فَلْـيَــمْدُدْ بِسَـبَبٍ إلــى السّـماءِ قـال: سـماء البـيت. ثُمّ لْـيَتْقْطَعْ قال: يختنق.
وأولـى ذلك بـالصواب عندي فـي تأويـل ذلك قول من قال: الهاء من ذكر نبـيّ الله صلى الله عليه وسلم ودينه وذلك أن الله تعالــى ذكـره ذكـر قومـا يعبدونه علـى حرف وأنهم يطمئنون بـالدين إن أصـابوا خيـرا فــي عبــادتهم إياه وأنهم يرتدّون عن دينهم لشدّة تصـيبهم فــيها, ثـم أتبـع ذلـك هـذه الآيـة فمعلوم أنه إنـما أتبعه إياها توبـيخا لهم علـى ارتـدادهم عـن الـدين أو علــى شكهم فـيه نفــاقهم, اسـتبطاء منهـم السـعة فــي العيـش أو السـبوغ فــي الرزق. وإذا كان الواجب أن يكون ذلك عقـيب الـخبر عـن نفــاقهم, فمعنـى

الكلام إذن إذ كان ذلك كذلك: من كان يحسب أن لن يرزق الله محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته في الدنيا فيوسع عليهم من فضله فيها, ويرزقهم في الآخرة من سَنيّ عطاياه وكرامته, استبطاء منه فعل الله ذلك به وبهم, فليمدد بحبل إلى سماء فوقه: إما سقف بيت, أو غيره مما يعلق به السبب من فوقه, ثم يختنق إذا اغتاظ من بعض م ا قضى الله فاستعجل انكشاف ذلك عنه, فلينظر هل يذهبنّ كيده اختناقه كذلك ما يغيظ؟ فإن لم يذهب ذلك غيظه, حتى يأتي الله بالفرج من عنده فيذهبه, فكذلك استعجاله نصر الله محمدا ودينه لن يُؤَخّر ما قضى الله له من ذلك عن ميقاته ولا يعجّل قبل حينه. وقد ذكر أن هذه الآية نزلت في أسد وغطفان, تباطئوا عن الإسلام, وقالوا: نخاف أن لا يُنصر محمد صلى الله عليه وسلم فينقطع الذي بيننا وبين حلفائنا من اليهود فلا يميروننا ولا يُرَوّوننا فقال الله تبارك وتعالى لهم: من استعجل من الله نصر محمد, فليمدد بسبب إلى السماء فليختنق فلينظر استعجاله بذلك في نفسه هل هو مُذْهِبٌ غيظه؟ فكذلك استعجاله من الله نصر محمد غير مقدّم نصره قبل حينه.

واختلف أهل العربية في «ما» التي في قوله: ما يَغِيظُ فقال بعض نحوّيي البصرة هي بمعنى «الذي», وقال: معنى الكلام: هل يذهبنّ كيده الذي يغيظه. قال: وحذفت الهاء لأنها صلة «الذي», لأنه إذا صارا جميعا اسما واحدا كان الحذف أخفّ. وقال غيره: بل هو مصدر لا حاجة به إلى الهاء, هل يذهبنّ كيده غيظه.

وقوله: وكَذلكَ أنْزَلْناهُ آياتٍ بَيّناتٍ يقول تعالى ذكره: وكما بيّنت لكم حُجَجي على من جحد قدرتي على إحياء من مات من الخلق بعد فنائه فأوضحتها أيها الناس, كذلك أنزلنا إلىء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هذا القرآن آيات بيّنات, يعني دلالات واضحات, يهدين من أراد الله هدايته إلى الحقّ. وأنّ اللّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ يقول جلّ ثناؤه: ولأن الله يوفق للصواب ولسبيل الحقّ من أراد, أنزل هذا القرآن آيات بيّنات و «أنّ» في موضع نصب.

الآية : 17

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ الّذِينَ آمَنُواْ وَالّذِينَ هَادُواْ وَالصّابِئِينَ وَالنّصَارَىَ وَالْمَجُوسَ وَالّذِينَ أَشْرَكُوَاْ إِنّ اللّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنّ اللّهَ عَلَىَ كُلّ شَيْءٍ شَهِيدٌ }.

يقول تعالى ذكره: إن الفصل بين هؤلاء المنافقين الذين يعبدون الله على حرف, والذين أشركوا بالله فعبدوا الأوثان والأصنام, والذين ه ادوا, وهم اليهود والصابئين والنصارى والمجوس الذي عظموا النيران وخدموها, وبين الذين آمنوا بالله ورسله إلى الله, وسيفصل بينهم يوم القيامة بعدل من القضاء وفصله بينهم إدخاله النار الأحزاب كلهم والجنة المؤمنين به وبرسله فذلك هو الفصل من الله بينهم.

وكان قَتادة يقول في ذلك, ما:

18884ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, في قوله: إنّ الّذِينَ آمَنُوا وَالّذِينَ هادُوا وَالصّابِئِينَ والنّصَارَى والمَجُوسَ وَالّذِينَ أشْرَكُوا قال: الصابئون: قوم يعبدون

الـملائكة, ويصلّون للقبلة, ويقرءون الزبور. والـمـجوس: يعبـدون الشـمس والقمر والنـيران. والذين أشركوا: يعبدون الأوثـان. والأديـان سـتة: خمسـة للشيطان, وواحد للرحمن.

وأدخـلت «إنّ» فـي خبر «إنّ» الأولـى لـما ذكرت من الـمعنى, وأن الكلام بـمعنى الـجزاء, كأنه قـيـل: من كان علـى دين من هـذه الأديـان ففصـل مـا بـينه وبـين من خالفه علـى الله. والعرب تدخـل أحيانا فـي خبر «إنّ» «إنّ» إذا كان خبر الاسم الأوّل فـي اسم مضاف إلـى ذكره, فتقـول: إنّ عبـد اللـه إنّ الـخير عنده لكثـير, كما قال الشاعر.

إنّ الـخَـلِـيفَةَ إنّ اللّهَ سَرْبَلَهُسِرْبـالَ مُلْكٍ بِهِ تُرْجَى الـخَوَاتِـيـمُ

وكان الفرّاء يقول: من قال هذا لـم يقل: إنك إنك قـائم, ولا إن إيـاك إنـه قائم لأن الاسمين قد اختلفـا, فحسن رفـض الأوّل, وجعـل الثانــي كـأنه هـو الـمبتدأ, فحسن للاختلاف وقبح للاتفـاق.

وقوله: إنّ اللّهَ عَلـى كُلّ شَيْءٍ شَهِيدٌ يقول: إن الله علـى كل شيء مـن أعمال هؤلاء الأصناف الذين ذكرهم اللَه جلّ ثنـاؤه, وغيـر ذلـك مـن الأشـياء كلها شهيد لا يخفـى عنه شيء من ذلك.

الآية : 18

القـول فــي تأويــل قـوله تعالــى: {أَلَـمْ تَـرَ أَنّ اللّـهَ يَسْـجُدُ لَـهُ مَـن فِـي السّمَاوَاتِ وَمَـن فِـي الأَرْضِ وَالشّـمْسُ وَالْقَمَـرُ وَالنّجُـومُ وَالْجِبَـالُ وَالشّـجَرُ وَالدّوَآبّ وَكَثِيرٌ مّنَ النّاسِ وَكَثِيرٌ حَقّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللّهُ فَمَـا لَـهُ مِـن مّكْرِمٍ إِنّ اللّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ }.

يقول تعالـى ذكره لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: ألـم تر يا مــحمد بقلبك, فتعلـم أن الله يسجد له من فـي السموات من الـملائكة, ومـن فــي الأرض من الـخـلق من الــجنّ وغيرهـم, والشـمس والقمـر والنــجوم فــي السماء, والـجبـال, والشجر, والدوابّ فـي الأرض وسجود ذلك ظلالـه حيـن تطلع علـيه الشمس وحين تزول إذا تـحوّل ظلّ كل شيء فهو سجوده. كما:

18885ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جُرَيج, عن مـجاهد, قوله: أَلَـمْ تَرَ أنّ اللّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِـي السّمَوَاتِ وَمَــنْ فِـي الأَرْضِ والشّمْسُ والقَمَرُ والنّــجُومُ والـجِبــالُ والشّـجَرُ والـدّوَابّ قـال: ظلال هذا كله.

وأما سجود الشمس والقمر والنـجوم, فإنه كما:

18886ـ حدثنا به ابن بشار, قال: حدثنا ابن أبـي عديّ ومـحمد بن جعفر, قالا: حدثنا عوف, قال: سمعت أبـا العالـية الرياحي يقول: مـا فــي السـماء نـجم ولا شمس ولا قمر إلا يقع لله ساجدا حين يغيـب, ثـم لا ينصـرف حتــى يؤذن له فـيأخذ ذات الـيـمين وزاد مـحمد: حتـى يرجع إلـى مطلعه.

وقـوله: وكَثــيرٌ مـنَ النّـاسِ يقـول: ويسـجد كثــير مـن بنــي آدم, وهـم الـمؤمنون بـالله. كما:

18887ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جُرَيج, عن مـجاهد: وكَثِـيرٌ مِنَ النّاسِ قال: الـمؤمنون.

وقوله: وكَثِـيرٌ حَقّ عَلَـيْهِ العَذَابُ يقول تعالـى ذكره: وكثـير مـن بنــي آدم حق علـيه عذاب الله فوجب علـيه بكفره به, وهو مع ذلك يسـجد للـه ظلـه. كما:

18888ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد: وكَثِيرٌ حَقّ عَلَيْهِ العَذَابُ وهو يسجد مع ظله.

فعلى هذا التأويل الذي ذكرناه عن مجاهد, وقع قوله: وكَثِيرٌ حَقّ عَلَيْهِ العَذَابُ بالعطف على قوله: وكَثِيرٌ مِنَ النّاسِ ويكون داخلاً في عداد من وصفه الله بالسجود له, ويكون قوله: حَقّ عَلَيْهِ العَذَابُ من صلة «كثير», ولو كان «الكثير» الثاني ممن لم يدخل في عداد من وصفه بالسجود كان مرفوعا بالعائد من ذكره في قوله: حَقّ عَلَيْهِ العَذَابُ وكان معنى الكلام حينئذٍ: وكثير أتى السجود, لأن قوله: حَقّ عَلَيْهِ العَذَابُ يدلّ على معصية الله وإبائه السجود, فاستحقّ بذلك العذاب.

يقول تعالى ذكره: ومن يهنه الله من خلقه فَبُشْقِه, فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ بالسعادة يسعده بها لأن الأمور كلها بيد الله, يوفّق من يشاء لطاعته ويخذل من يشاء, ويُشقي من أراد ويسعد من أحبّ.

وقوله: إنّ اللّهَ يَفْعَلُ ما يَشاءُ يقول تعالى ذكره: إن الله يفعل في خلقه ما يشاء من إهانة من أراد إهانته وإكرام من أراد كرامته لأن الخلق خلقه والأمر أمره. لا يُسْئَلُ عَمّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ. وقد ذُكر عن بعضهم أنه قرأه: «فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرَمٍ» بمعنى: فما من إكرام, وذلك قراءة لا أستجيز القراءة بها لإجماع الحجة من القرّاء على خلافه.

الآية : 19 -22

القول في تأويل قوله تعالى: {هَـَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُواْ فِي رَبّهِمْ فَالّذِينَ كَفَرُواْ قُطّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مّن نّارٍ يُصَبّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُمْ مّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ * كُلّمَآ أَرَادُوَاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ }.

اختلف أهل التأويل في المعنيّ بهذين الخصمين اللذين ذكرهما الله, فقال بعضهم: أحد الفريقين: أهل الإيمان, والفريق الآخر: عبدة الأوثان من مشركي قريش الذين تبارزوا يوم بدر. ذكر من قال ذلك:

18889ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا أبو هاشم عن أبي مجاز, عن قيس بن عبادة قال: سمعت أبا ذرّ يُقْسم قَسَما أن هذه الآية: هَذَان خَصْمان اخْتَصَمُوا فِي رَبّهِمْ نزلت في الذين بارزوا يوم بدر: حمزة وعليّ وعبيدة بن الحارث, وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة. قال: وقال عليّ: إني لأوّل أو من أوّل من يجثو للخصومة يوم القيامة بين يدي الله تبارك وتعالى.

حدثنا عليّ بن سهل, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا سفيان, عن أبي هاشم, عن أبي مجاز, عن قيس بن عباد, قال: سمعت أبا ذرّ يقسم بالله قسما لنزلت هذه الآية في ستة من قريش: حمزة بن عبد المطلب وعليّ بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم, وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة هَذَان خَصْمان اخْتَصَمُوا في رَبّهِمْ... إلى آخر الآية: إنّ اللّهَ يُدْخِلُ الّذِينَ آمَنُوا وَعملُوا الصّالحاتِ... إلى آخر الآية.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن أبي هاشم, عن أبي مجاز, عن قيس بن عباد, قال: سمعت أبا ذرّ يقسم, ثم ذكر نحوه.

18890ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا محمد بن محبب, قال: حدثنا سفيان, عن منصور بن المعتمر, عن هلال بن يساف, قال: نزلت هذه الآية في الذين تبارزوا يوم بدر: هَذَانِ خَصْمانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبّهِمْ.
18891ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة بن الفضل, قال: ثني محمد بن إسحاق, عن بعض أصحابه, عن عطاء بن يسار, قال: نزلت هؤلاء الآيات: هَذَان خَصْمان اخْتَصَمُوا فِي رَبّهِمْ في الذين تبارزوا يوم بدر: حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث, وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة. إلى قوله: وَهُدُوا إلى صِرَاطِ الحَمِيدِ.
18892ـ قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن أبي هاشم, عن أبي مُجَلّز, عن قيس بن عباد, قال: والله لأنزلت هذه الآية: هَذَانِ خَصْمانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبّهِمْ في الذين خرج بعضهم إلى بعض يوم بدر: حمزة وعليّ وعُبيدة رحمة الله عليهم, وشيبة وعتبة والوليد بن عتبة.
وقال آخرون ممن قال أحد الفرقين فريق الإيمان: بل الفريق الآخر أهل الكتاب. ذكر من قال ذلك:
18893ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: هَذَانِ خَصْمانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبّهِمْ قال: هم أهل الكتاب, قالوا للمؤمنين: نحن أولى بالله, وأقدم منكم كتابا, ونبينا قبل نبيكم. وقال المؤمنون: نحن أحقّ بالله, آمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم, وآمنا بنبيكم وبما أنزل الله من كتاب, فأنتم تعرفون كتابنا ونبينا, ثم تركتموه وكفرتم به حسدا. وكان ذلك خصومتهم في ربهم.
وقال آخرون منهم: بل الفريق الآخر الكفار كلهم من أيّ ملة كانوا. ذكر من قال ذلك:
18894ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: حدثنا أبو تُمَيلة, عن أبي حمزة, عن جابر, عن مجاهد وعطاء بن أبي رَياح وأبي قَزَعة, عن الحسين, قال: هم الكافرون والمؤمنون اختصموا في ربهم.
18895ـ قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد: مثل الكافر والمؤمن قال ابن جُرَيج: خصومتهم التي اختصموا في ربهم, خصومتهم في الدنيا من أهل كل دين, يرون أنهم أولى بالله من غيرهم.
18896ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا أبو بكر بن عياش, قال: كان عاصم والكلبي يقولان جميعا في: هَذانِ خَصْمانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبّهِمْ قال: أهل الشرك والإسلام حين اختصموا أيهم أفضل, قال: جعل الشرك ملة.
18897ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى. وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: هَذَانِ خَصْمانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبّهِمْ قال: مثل المؤمن والكافر اختصامهما في البعث.
وقال آخرون: الخصمان اللذان ذكرهما الله في هذه الآية: الجنة والنار. ذكر من قال ذلك:
18898ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو تميلة, عن أبي حمزة, عن جابر, عن عكرِمة: هَذَانِ خَصْمانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبّهِمْ قال:

هما الجنة والنار اختصمتا, فقالت النار: خلقني الله لعقوبته وقالت الجنة: خلقني الله لرحمته فقد قصّ الله عليك من خبرهما ما تسمع.

وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب وأشبهها بتأويل الآية, قول من قال: عُني بالخصمين جميع الكفار من أيّ أصناف الكفر كانوا وجميع المؤمنين. وإنما قلت ذلك أولى بـ الصواب, لأنه تعالى ذكره ذكر قبل ذلك صنفين من خلقه: أحدهما أهل طاعة له بـ السجود له, والآخر: أهل معصية له, قد حقّ عليه العذاب, فقال: أَلَمْ تَرَ أنّ اللّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأرْضِ والشّمْسُ والقَمَرُ ثم قال: وكَثِيرٌ مِنَ النّاسِ وكَثِيرٌ حَقّ عَلَيْهِ العَذَابُ, ثم أتبع ذلك صفة الصنفين كليهما وما هو فاعل بهما, فقال: فالذين كَفرُوا قُطّعَتْ لهُمْ ثيابٌ منْ نارٍ وقال الله: إنّ اللّهَ يُدْخِلُ الّذِينَ آمَنُوا وَعمِلُوا الصّالِحاتِ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنهارُ فكان بيّنا بذلك أن ما بين ذلك خبر عنهما.

فإن قال قائل: فما أنت قائل فيما رُوي عن أبي ذرّ في قوله: إنّ ذَلكَ نزل في الذين بارزوا يوم بدر؟ قيل: ذلك إن شاء الله كما رُوي عنه ولكن الآية قد تنزل بسبب من الأسباب, ثم تكون عامة في كل ما كان نظير ذلك السبب. وهذه من تلك, وذلك أن الذين تبارزوا إنما كان أحد الفريقين أهل شرك وكفر بالله, والآخر أهل إيمان بالله وطاعة له, فكل كافر في حكم فريق الشرك منهما في أنه لأهل الإيمان خصم, وكذلك كل مؤمن في حكم فريق الإيمان منهما في أنه لأهل الشرك خصم.

فتأويل الكلام: هذان خصمان اختصموا في دين ربهم, واختصامهم في ذلك معاداة كل فريق منهما الفريق الآخر ومحاربته إياه على دينه.

وقوله: فالّذِينَ كَفَرُوا قُطّعَتْ لَهُمْ ثِيابٌ مِنْ نارٍ يقول تعالى ذكره: فأما الكافر بالله منهما فإنه يقطع له قميص من نحاس من نار. كما:

18899ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد: فالّذِينَ كَفَرُوا قُطّعَتْ لَهُمْ ثِيابٌ مِنْ نارٍ قال: الكافر قطعت له ثياب من نار, والمؤمن يدخله الله جنات تجري من تحتها الأنهار.

18900ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن جعفر, عن سعيد, في قوله: فالّذِينَ كَفَرُوا قُطّعَتْ لَهُمْ ثِيابٌ مِنْ نارٍ قال: ثياب من نحاس, وليس شيء من الآنية أحمى وأشد حرّا منه.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: الكفار قطعت لهم ثياب من نار, والمؤمن يدخل جنات تجري من تحتها الأنهار.

وقوله: يُصَبّ مِنْ فَوْقِ رؤسِهِمُ الحَمِيمُ يقول: يصبّ على رؤسهم ماء مُغْلًي. كما:

18901ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا إبراهيم بن إسحاق الطَالقاني, قال: حدثنا ابن المبارك, عن سعيد بن زيد, عن أبي السّمْح, عن ابن حجيرة, عن أبي هريرة, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, قال: «إنّ الحَمِيمَ لَيُصَبّ عَلى رُؤُسِهِمْ, فَيَنْفُذُ الجُمْجَمَةَ حتى يَخْلُصَ إلى جَوْفِهِ, فَيَسْلُتَ ما فِي جَوْفِهِ حتى يَبْلُغَ قَدَمَيْهِ, وَهِيَ الصّهْرُ, ثُمّ يُعادُ كَما كانَ».

حدثني محمد بن المثنى, قال: حدثنا يعمر بن بشر, قال: حدثنا ابن المبارك, قال: أخبرنا سعيد بن زيد, عن أبي السمح, عن ابن حجيرة, عن أبي هريرة, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم بمثله, إلا أنه قال: «فَيَنْفُذُ الجُمْجُمَةَ حَى يَخْلُصَ إلى جَوْفِهِ فَيَسْلُتَ مَا في جَوْفِهِ».

وكان بعضهم يزعم أن قوله: ولَهُمْ مَقامِعُ مِنْ حَدِيدٍ من المؤخّر الذي معناه التقديم, ويقول: وجه الكلام: فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار ولهم مقامع من حديد يصبّ من فوق رؤسهم الحميم ويقول: إنما وجب أن يكون ذلك كذلك, لأن الملك يضربه بالمقمع من الحديد حتى يثقب رأسه, ثم يصبّ فيه الحميم الذي انتهى حرّه فيقطع بطنه. والخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ذكرنا, يدلّ على خلاف ما قال هذا القائل وذلك أنه صلى الله عليه وسلم أخبر أن الحميم إذا صبّ على رؤسهم نفذ الجمجمة حتى يخلص إلى أجوافهم, وبذلك جاء تأويل أهل التأويل, ولو كانت المقامع قد تثقب رؤوسهم قبل صبّ الحميم عليها, لم يكن لقوله صلى الله عليه وسلم: «إنّ الحَميمَ يَنْفُذُ الجُمْجُمَةَ» معنى ولكن الأمر في ذلك بخلاف ما قال هذا القائل.

وقوله: يُصْهَرُ بِهِ ما فِي بُطُونِهِمْ وَالجُلُودُ يقول: يذاب بالحميم الذي يصبّ من فوق رؤسهم ما في بطونهم من الشحوم, وتشوى جلودهم منه فتتساقط. والصهر: هو الإذابة, يقال منه: صهرت الألية بالنار: إذا أذبتها أصهرها صهرا ومنه قول الشاعر.

تَرْوِي لَقًى أُلِقيَ في صَفْصَفٍتَصْهَرُهُ الشّمْسُ وَلا يَنْصَهِرْ

ومنه قول الراجز:.

شَكّ السّفافِيدِ الشّوَاءَ المُصْطَهَرْ

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18902ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: يُصْهَرُ بِهِ قال: يُذاب إذابة.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.

قال ابن جُرَيج يُصْهَرُ بِهِ: قال: ما قطع لهم من العذاب.

18903ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة: يُصْهَرُ بِهِ ما فِي بُطُونِهِمْ قال: يُذاب به ما في بطونهم.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, مثله.

18904ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: فالّذينَ كَفَرُوا قُطّعَتْ لَهُمْ ثيابٌ منْ نارٍ... إلى قوله: يُصْهَرُ بهِ ما في بُطُونِهِمْ والجُلُودُ يقول: يسقون ما إذا دخل بطونهم أذابها والجلود مع البطون.

18905ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن جعفر وهارون بن عنترة, عن سعيد بن جبير, قال: قال هارون: إذا عام أهل النار وقال جعفر: إذا جاع أهل النار استغاثوا بشجرة الزقوم, فيأكلون منها, فاختلست جلود وجوههم, فلو أن مارّا مرّ بهم يعرفهم يعرف جلود وجوههم فيها, ثم يصبّ عليهم العطش, فيستغيثوا, فيُغاثوا بماء كالمُهل, وهو الذي قد انتهى

حرّه, فإذا أدنوه من أفواههم انشوى من حرّه لحوم وجوههم التي قد سقطت عنها الجلود و يُصْهَرُ بِهِ ما فِي بُطُونِهِمْ يعني أمعاءهم, وتساقط جلودهم, ثم يضربون بمقامع من حديد, فيسقط كل عضو على حاله, يدعون بالويل والثبور.

وقوله: ولَهُمْ مَقامِعُ مِنْ حَدِيدٍ تضرب رؤسهم بها الخزنة إذا أرادوا الخروج من النار حتى ترجعهم إليها.

وقوله: كُلّما أرَادُوا أنْ يَخْرُجُوا مِنْها مِنْ غَمّ أُعِيدُوا فِيها يقول: كلما أراد هؤلاء الكفار الذين وصف الله صفتهم الخروج من النار مما نالهم من الغمّ والكرب, ردّوا إليها. كما:

18906ـ حدثنا مجاهد بن موسى, قال: حدثنا جعفر بن عون, قال: أخبرنا الأعمش, عن أبي ظبيان, قال: النار سوداء مظلمة لا يضيء لهبها ولا جمرها, ثم قرأ: كُلّما أرَادُوا أنْ يَخْرُجُوا مِنها مِنْ غَمّ أُعِيدُوا فِيها وقد ذكر أنهم يحاولون الخروج من النار حين تجيش جهنم فتلقي من فيها إلى أعلى أبوابها, فيريدون الخروج فتعيدهم الخزان فيها بالمقامع, ويقولون لهم إذا ضربوهم بالمقامع: ذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيق.

وعني بقوله: ذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيق ويقال لهم ذوقوا عذاب النار, وقيل عذاب الحريق والمعنى: المحرق, كما قيل: العذاب الأليم, بمعنى: المؤلم.

الآية : 23 و 24

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ اللّهَ يُدْخِلُ الّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصّالِحَاتِ جَنّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأنْهَارُ يُحَلّوْنَ فِيهَا مِنْ أسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ * وَهُدُوَاْ إِلَى الطّيّبِ مِ نَ الْقَوْلِ وَهُدُوَاْ إِلَىَ صِرَاطِ الْحَمِيدِ }.

يقول تعالى ذكره: وأما الذين آمنوا بالله ورسوله فأطاعوهما بما أمرهم الله به من صالح الأعمال, فإن الله يُدخلهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار, فيحلّيهم فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: وَلُؤْلُؤا فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة وبعض أهل الكوفة نصبا مع التي في الملائكة, بمعنى: يحلون فيها أساور من ذهب ولؤلؤا, عطفا باللؤلؤ على موضع الأساور لأن الأساور وإن كانت مخفوضة من أجل دخول «مِنْ» فيها, فإنها بمعنى النصب قالوا: وهي تعدّ في خط المصحف بالألف, فذلك دليل على صحة القراءة بالنصب فيه. وقرأت ذلك عامة قرّاء العراق والمصرين: «وَلُؤْلُؤٍ» خفضا عطفا على إعراب الأساور الظاهر.

واختلف الذي قرءوا ذلك كذلك في وجه إثبات الألف فيه, فكان أبو عمرو بن العلاء فيما ذكر لي عنه يقول: أثبتت فيه كما أثبتت في «قالوا» و «كالوا». وكان الكسائي يقول: أثبتوها فيه للهمزة, لأن الهمزة حرف من الحروف.

والقول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء, متفقتا المعنى صحيحتا المخرج في العربية فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

وقوله: وَلِبـاسُهُمْ فـيها حَرِيرٌ يقول: ولبوسهم التـي تلـي أبشارهم فــيها ثـياب حرير. وقـوله: وَهُـدُوا إلــى الطّيّـبِ مِـنَ القَـوْلِ يقـول تعالــى ذكـره: وهداهم ربهم فـي الدنـيا إلـى شهادة أن لَا إله إلا الله. كما:

18907ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: ابن زيد, فـي قوله: وَهُدُوا إلـى الطّيبِ منَ القَوْلِ قال: هدوا إلـى الكلام الطيـب: لا إلـه إلا اللـه, والله أكبر, والـحمد لله قال الله: إلَـيْهِ يَصْعَدُ الكَلـمُ الطّيّبُ وَالعَمَلُ الصّالِــحُ يَرْفَعُهُ.

18908ـ حدثنا علـيّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثنـي معاوية, عن علــيّ, عن ابن عبـاس: وَهُدُوا إلـى الطّيّبِ مِنَ القَوْلِ قال: ألهموا.

وقوله: وَهُدُوا إلـى صِراطِ الـحَمِيدِ يقول جلّ ثناؤه: وهـداهم ربهـم فــي الدنـيا إلـي طريق الربّ الـحميد, وطريقه: دينه ديـن الإسـلام الـذي شـرعه لـخـلقه وأمرهم أن يسـلكوه والــحميد: فعيــل, صـرّف مـن مفعـول إلــيه, ومعناه: أنه مـحمود عند أولـيائه مـن خــلقه, ثـم صـرّف مـن مــحمود إلــى حميد.

الآية : 25

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {إِنّ الّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدّونَ عَن سَـبِيلِ اللّـهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنّاسِ سَوَآءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيــهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ }.

يقول تعالـى ذكره: إن الذين جحدوا توحيد الله وكذّبوا رسله وأنكروا مـا جاءهم به من عند ربهم ويَصُدّونَ عَنْ سَبِـيـلِ اللـه يقـول: ويــمنعون النـاس عن دين الله أن يدخـلوا فـيه, وعن الـمسجد الـحرام الذي جعله الله للنـاس الذين آمنوا به كافة لـم يخصص منهـا بعضـا دون بعـض سَـوَاءً العـاكِفُ فِــيهِ والبــادِ يقـول: معتـدل فــي الـواجب علــيه مـن تعظيــم حرمـة الــمسجد الـحرام, وقضـاء نسـكه بـه, والنـزول فــيه حيـث شـاء العـاكف فــيه, وهـو الـمقـيـم به والبـاد: وهو الـمنتاب إلـيه من غيره.

واختلف أهل التأويـل فـي تأويـل ذلك, فقال بعضهم: معناه: سواء العاكف فـيه وهو الـمقـيـم فـيه والبـاد, فـي أنه لـيس أحدهما بأحقّ بـالــمنزل فــيه من الآخر. ذكر من قال ذلك:

18909ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عمرو, عن يزيد بن أبـي زياد, عن ابن سابط, قال: كان الـحجاج إذا قدموا مكة لـم يكن أحد من أهل مكة بأحق بــمنزله منهـم, وكـان الرجـل إذا وجـد سـعة نـزل. ففشـا فــيهم السرق, وكل إنسان يسرق من ناحيته, فـاصطنع رجل بـابــا, فأرسـل إلــيه عمر: أتـخذت بـابــا مـن حجـاج بــيت اللـه؟ فقـال: لا, إنــما جعلتـه لــيحرز متاعهم. وهو قوله: سَوَاءً العاكِفُ فِيهِ والبْادِ قـال: البــاد فــيه كالـمقـيــم, لـيس أحد أحقّ بـمنزله من أحد إلا أن يكون أحد سبق إلـى منزل.

18910ـ حدثنا مـحمد بن بشار, قـال: حـدثنا عبـد الرحمـن, قـال: حـدثنا سفـيان, عن أبـي حصين, قال: قلت لسعيد بن جُبـير: أعتكف بـمكة؟ قــال: أنت عاكف. وقرأ: سَوَاءً العاكِفُ فِـيهِ والبْـادِ.

18911ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام عن عنبسة, عمن ذكره, عــن أبـي صالـح: سَوَاءً العاكِفُ فِـيهِ والبْـادِ العاكف: أهله, والبـاد: الـمنتاب فــي الـمنزل سواء.

18912ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: سَوَاءً العاكِفُ فِيهِ والبْادِ يقول: ينزل أهل مكة وغيرهم في المسجد الحرام.
18913ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: سَوَاءً العاكِفُ فِيهِ والبْادِ قال: العاكف فيه: المقيم بمكة والباد: الذي يأتيه هم في سواء في البيوت.
18914ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة: سَواءً العاكِفُ فِيهِ وَالبادِ سواء فيه أهله وغير أهله.
حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, مثله.
18915ـ حدثنا ابن حميد, قال حدثنا جرير, عن منصور, عن مجاهد, في قوله: سَوَاءً العاكفُ فِيهِ والبْادِ قال: أهل مكة وغيرهم في المنازل سواء.
وقال آخرون في ذلك نحو الذي قلنا فيه. ذكر من قال ذلك:
18916ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: سَوَاءً العاكِفُ فِيهِ قال: الساكن, والبَادِ الجانب سواء حقّ الله عليهما فيه.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد في قوله: سَوَاءً العاكِفُ فِيهِ قال: الساكن والباد: الجانب.
18917ـ قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو تميلة, عن أبي حمزة, عن جابر, عن مجاهد وعطاء: سَوَاءً العاكِفُ فِيهِ قالا: من أهله, والبَادِ الذي يأتونه من غير أهله هما في حرمته سواء.
وإنما اخترنا القول الذي اخترنا في ذلك لأن الله تعالى ذكره ذكر في أوّل الآية صدّ من كفر به من أراد من المؤمنين قضاء نسكه في الحرم عن المسجد الحرام, فقال: إنّ الّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ وَالمَسْجِدِ الحَرَامِ ثم ذكر جلّ ثناؤه صفة المسجد الحرام, فقال: الّذِي جَعَلْناهُ للنّاسِ فأخبر جلّ ثناؤه أنه جعله للناس كلهم, فالكافرون به يمنعون من أراده من المؤمنين به عنه. ثم قال: سَوَاءً العاكِفُ فِيهِ وَالبْادِ فكان معلوما أن خبره عن استواء العاكف فيه والباد, إنما هو في المعنى الذي ابتدأ الله الخبر عن الكفار أنهم صدّوا عنه المؤمنين به وذلك لا شكّ طوافهم وقضاء مناسكهم به والمقام, لا الخبر عن ملكهم إياه وغير ملكهم. وقيل: إنّ الّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ فعطف ب «يصدّون» وهو مستقبل على «كفروا» وهو ماض, لأن الصدّ بمعنى الصفة لهم والدوام. وإذا كان ذلك معنى الكلام, لم يكن إلا بلفظ الاسم أو الاستقبال, ولا يكون بلفظ الماضي. وإذا كان ذلك كذلك, فمعنى الكلام: إن الذين كفروا من صفتهم الصدّ عن سبيل الله, وذلك نظير قول الله: الّذِين آمَنُوا وَتَطْمَئِنّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللّهِ. وأما قوله: سَوَاءٌ العاكِفُ فِيهِ فإن قرّاء الأمصار على رفع «سواءٌ» ب «العاكف, و«العاكف» به, وإعمال «جعلناه» في الهاء المتصلة به, واللام التي في قوله «للناس», ثم استأنف الكلام ب «سواء» وكذلك تفعل العرب ب «سواء» إذا جاءت بعد حرف قد تمّ الكلام به, فتقول: مررت برجل سواء عنده الخير والشرّ, وقد يجوز في ذلك الخفض. وإنما يختار الرفع في ذلك لأن «سواء» في

مذهب واحد عندهم, فكأنهم قالوا: مررت برجل واحدٍ عنده الـخير والشـرّ. وأما من خفضه فإنه يوجهه إلـى معتدل عنده الـخير والشرّ, ومن قـال ذلـك فـي سواء فـاستأنف به ورفع لـم يقله فـي «معتـدل», لأن «معتـدل» فعـل مصرّح, وسواء مصدر فـاخراجهم إياه إلــى الفعـل كـاخراجهم حسـب فــي قولهم: مررت برجل حسبك من رجل إلـى الفعل. وقد ذُكر عن بعض القرّاء أنه قرأه: سواءً نصبـا علـى إعمال «جعلناه» فـيه, وذلـك وإن كـان لـه وجـه فـي العربـية, فقراءة لا أستـجيز القراءة بها لإجماع الـحجة من القرّاء علـى خلافه.

وقوله: وَمَنْ يُرِدْ فِـيهِ بإلْـحادٍ بِظُلْـمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِـيـمٍ يقول تعالــى ذكره: ومن يرد فـيه إلـحادا بظلـم نذقه مـن عـذاب أليــم, وهـو أن يـميــل فـي البـيت الـحرام بظلـم. وأدخـلت البـاء فــي قـوله «بإلــحاد» والــمعنى فـيه ما قلت, كما أدخـلت فـي قوله: تنبت بـالدهن والـمعنى: تنبـت الـدهن, كما قال الشاعر:

بِوَادِ يَـمَانٍ يُنْبِتُ الشّتّ صَدْرُهُوأسْفَلُهُ بـالـمرْخِ والشّبَهانِ

والـمعنى: وأسفله ينبت الـمرخ والشبهان وكما قال أعشى بنـي ثعلبة:

ضَمِنَتْ بِرِزْقِ عِيالِنا أرْماحُنابـينَ الـمَرَاجِلِ والصّرِيجِ الأجْرَدِ

بـمعنى: ضمنت رزق عيالنا أرماحنا فـي قول بعـض نـحويــي البصريــين. وأما بعض نـحويــي الكوفيــين فـإنه كـان يقـول: أدخــلت الــياء فــيه, لأن تأويـله: ومن يرد بأن يـلـحد فـيه بظلـم. وكان يقول: دخول البـاء فـي «أن» أسهل منه فـي «إلـحاد» وما أشبهه, لأن «أن» تضمر الـخوافض معها كثـيرا وتكون كالشرط, فـاحتـملت دخول الـخافض وخروجه لأن الإعراب لا يتبــين فـيها, وقال فـي الـمصادر: يتبـين الرفع والـخفض فـيها, قال: وأنشدنـي أبو الـجَرّاح:

فَلَـمّا رَجَتْ بـالشّرْبِ هَزّ لها العَصَاشَحِيحٌ لهُ عِنْدَ الأَداءِ نَهِيـمُ

وقال امرؤ القـيس:

ألا هَلْ أتاها والـحَوَادِثُ جمّةٌبأنّ أمرأ القَـيْسِ بْنَ تَـمْلِكَ بَـيْقَرَا

قال: فأدخـل البـاء علـى «أن» وهي فـي موضع رفـع كمـا أدخــلها علـ ى «إلـحاد» وهو فـي موضع نصب. قال: وقد أدخـلوا البـاء علــى مـا إذا أرادوا بها الـمصدر, كما قال الشاعر:

أَلَـمْ يَأتِـيكَ والأنْبـاءُ تَنْـمِيبِـمَا لاقَتْ لَبُونُ بَنِـي زِيادِ

وقال: وهو فـي «ما» أقلّ منه فـي «أن», لأن «أن» أقلّ شبها بـالأسماء من «ما». قال: وسمعت أعرابــيّا مـن ربــيعة, وسـألته عـن شـيء, فقـال: أرجو بذاك يريد أرجو ذاك.

واختلف أهل التأويـل فـي معنى الظلــم الـذي مـن أراد الإلــحاد بـه فــي الـمسجد الـحرام أذاقه الله مـن العـذاب الأليــم, فقـال بعضـهم: ذلـك هـو الشرك بـالله وعبـادة غيره به أي بـالبـيت ذكر من قال ذلك:

18918ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا أبو صالـح, قـال: ثنــي معاويـة, عـن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: وَمَنْ يُرِدْ فِـيهِ بـإلْـحاد بِظُلْـمٍ يقول: بشرك.

18919ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسةَ, عن مــحمد بـن عبد الرحمن, عن القاسم بن أبـي بَزّة, عن مــجاهد, فــي قـوله: وَمَـنْ يُـرِدْ فِـيهِ بإلْـحاد بِظُلْـمٍ هو أن يعبد فـيه غير الله.

18920ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا المعتمر بن سليمان, عن أبيه, قال: وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بإلْحادٍ بِظُلْمٍ قال: هو الشرك, من أشرك في بيت الله عذّبه الله.

18921ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر عن قَتادة, مثله وقال آخرون: هو استحلال الحرام فيه أو ركوبه. ذكر من قال ذلك:

18922ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بإلْحادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ يعني أن تستحلّ من الحرام ما حرّم الله عليك من لسان أو قتل, فتظلم من لا يظلمك وتقتل من لا يقتلك فإذا فعل ذلك فقد وجب له عذاب أليم.

18923ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بإلْحادٍ بِظُلْمٍ قال: يعمل فيه عملاً سيئا.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد مثله.

18924ـ حدثنا أبو كريب ونصر بن عبد الرحمن الأَوْدِيّ قالا: حدثنا المحاربيّ, عن سفيان عن السّديّ, عن مرّة عن عن عبد الله, قال: ما من رجل يهمّ بسيئة فتكتب عليه, ولو أن رجلاً بعد أن بين همّ أن يقتل رجلاً بهذا البيت, لأذاقه الله من العذاب الأليم.

حدثنا مجاهد بن موسى, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا شعبة, عن السديّ, عن مرّة, عن عبد الله قال مجاهد, قال يزيد, قال لنا شعبة, رفعه, وأنا لا أرفعه لك في قول الله: وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بإلْحاد بِظُلْم نُذِقْهُ مِنْ عَذَاب أَلِيم قال: «لو أن رجلاً همّ فيه بسيئة وهو بعدن أَبْيَنَ, لأذاقه الله عذابا أليما».

18925ـ حدثنا الفضل بن الصباح, قال: حدثنا محمد بن فضيل, عن أبيه, عن الضحاك بن مزاحم, في قوله: وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بإلْحَاد بِظُلْم قال: إن الرجل ليهمّ بالخطيئة بمكة وهو في بلد آخر ولم يعملها, فتكتب عليه.

18926ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قول الله: وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بإلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَاب أَلِيم قال: الإلحاد: الظلم في الحرم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك الظلم: استحلال الحرم متعمدا. ذكر من قال ذلك:

18927ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قال ابن عباس: بإلْحَادٍ بِظُلْمٍ قال: الذي يريد استحلاله متعمدا, ويقال الشرك.

وقال آخرون: بل ذلك احتكار الطعام بمكة. ذكر من قال ذلك:

18928ـ حدثني هارون بن إدريس الأصمّ, قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي, عن أشعث, عن حبيب بن أبي ثابت في قوله: وَمَنْ

يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ قال: هم المحتكرون الطعام بمكة.
وقال آخرون: بل ذلك كل ما كان منهيّا عنه من الفعل, حتى قول القائل: لا والله, وبلى والله. ذكر من قال ذلك:
18929ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن منصور, عن مجاهد, عن عبد الله بن عمرو, قال: كان له فسطاطان: أحدهما في الحلّ, والآخر في الحرم, فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحلّ, فسئل عن ذلك, فقال: كنا نحدّث أن من الإلحاد فيه أن يقول الرجل: كلا والله, وبلى والله.
18930ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن أبي ربعي, عن الأعمش, قال: كان عبد الله بن عمرو يقول: لا والله وبلى والله من الإلحاد فيه.
قال أبو جعفر: وأولى الأقوال التي ذكرناها في تأويل ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن ابن مسعود وابن عباس, من أنه معنيّ بالظلم في هذا الموضع كلّ معصية لله وذلك أن الله عمّ بقوله: وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإلْحَادٍ بِظُلْمٍ ولم يخصص به ظلم دون ظلم في خبر ولا عقل, فهو على عمومه. فإذا كان ذلك كذلك, فتأويل الكلام: ومن يرد في المسجد الحرام بأن يميل بظلم, فيعصى الله فيه, نذقه يوم القيامة من عذاب موجع له. وقد ذُكر عن بعض القرّاء أنه كان يقرأ ذلك: «وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ» بفتح الياء, بمعنى: ومن يَرِدْه بإلحاد من وَرَدْت المكان أرِدْه. وذلك قراءة لا تجوز القراءة عندي بها لخلافها ما عليه الحجة من القرّاء مجمعة مع بعدها من فصيح كلام العرب. وذلك أنّ «يَرِدْ» فعل واقع, يقال منه: هو يَرِد مكان كذا أو بلدة كذا غدا, ولا يقال: يَرِدُ في مكان كذا. وقد زعم بعض أهل المعرفة بكلام العرب أن طيّئا تقول: رغبت فيك, تريد: رغبت بك, وذكر أن بعضهم أنشده بيتا:
وأرْغَبُ فِيها عَنْ لَقِيطٍ وَرَهْطِهِوَلَكِنّنِي عَنْ سِنْبِسٍ لَسْتُ أرْغَبُ
بمعنى: وأرغب بها. فإن كان ذلك صحيحا كما ذكرنا, فإنه يجوز في الكلام, فأما القراءة به غير جائزة لِما وصفت.

الآية : 26

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذْ بَوَّأْنَا لإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاّ تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهّرْ بَيْتِيَ لِلطّآئِفِينَ وَالْقَآئِمِينَ وَالرّكّعِ السّجُودِ }.
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم, مُعْلِمَه عظيم ما ركب من قومه قريش خاصة دون غيرهم من سائر خلقه بعبادتهم في حرمه, والبيت الذي أمر إبراهيم خليله صلى الله عليه وسلم ببنائه وتطهيره من الآفات والرّيَب والشرك: واذكر يا محمد كيف ابتدأنا هذا البيت الذي يعبد قومك فيه غيري, إذ بوأنا لخليلنا إبراهيم, يعني بقوله: «بوأنا»: وطّأنا له مكان البيت. كما:
18931ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور عن معمر, عن قَتادة, قوله: وَإِذْ بَوّأْنَا لإِبْرَاهِيمَ مَكانَ البَيْتِ قال: وضع الله البيت مع آدم صلى الله عليه وسلم حين أهبط آدم إلى الأرض وكان مهبطه بأرض الهند, وكان رأسه في السماء ورجلاه في الأرض, فكانت الملائكة تهابه فنقص

إلى ستين ذراعا. وإن آدم لـمّا فَقَد أصوات الـملائكة وتسبـيحهم, شكا ذلك إلى الله, فقال الله: يا آدم إني قد أهبطت لك بـيتا يُطـاف بـه كمـا يطـاف حول عرشي, ويُصلّى عنده كما يصلّى حول عرشي, فـانطَلِقْ إلـيه فخـرج إليه, ومدّ له فـي خطوه, فكان بـين كل خطوتـين مفـازة, فلـم تـزل تلـك الـمفـاوز علـى ذلك حتـى أتـى آدم البـيت, فطاف به ومن بعده من الأنبـياء.

18932ـ حدثنـي موسى, قال: حدثنا عمـرو, قـال: حـدثنا أسبــاط, عـن السديّ, قـال: لــما عهـد اللـه إلــى إبراهيــم وإسماعيــل أن طهـرا بـيتــي للطائفـين, انطلق إبراهيـم حتـى أتـى مكـة, فقـام هـو وإسماعيــل, وأخـذا الـمعاول, لا يدريان أين البـيت, فبعث الله ريحا يقال لها ريـح الــخَجُوج, لهـا جناحان ورأس فـي صورة حية, فكنست لهما مـا حـول الكعبـة عـن أسـاس البـيت الأوّل, واتبعاها بـالـمعاول يحفران, حتـى وضعا الأسـاس فـذلك حيـن يقول: وَإِذْ بَوّأْنا لإِبْرَاهِيـمَ مَكانَ البَـيْتِ.

ويعنـي بـالبـيت: الكعبة, أنْ لا تُشْرِكْ بِـي شَيْئا فـي عبـادتك إيـاي, وَطَهّـرْ بَـيْتِـيَ الذي بنـيته من عبـادة الأوثان. كما:

18933ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبــي عـن سفــيان عـن لــيث, عـن مـجاهد, فـي قوله: وَطَهّرْ بَـيْتِـيَ قال: من الشرك.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن عطاء, عن عبـيد بن عمير, قال: من الآفـات والرّيب.

18934ـ حدثنا ابن عبد الأعلـى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة: طَهّرَا بَـيْتِـيَ قال: من الشرك وعبـادة الأوثان.

وقوله: للطّائِفِـينَ يعنـي للطائفـين به. والقَائِمِينَ بـمعنى الـمصلـين الذين هم قـيام فـي صلاتهم. كما:

18935ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: حدثنا أبو ثُـمَيلة, عن أبــي حمـزة, عـن جـابر, عـن عطـاء فــي قـوله: وَطَهّـرْ بَـيْتِــيَ للطّائِفِــينَ والقائِمِينَ قال: القائمون فـي الصلاة.

18936ـ حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة: والقَائِمِينَ قال: القائمون الـمصلون.

حدثنا ابن عبد الأعلـى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة, مثله.

18937ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قــوله: والقــائمِينَ وَالرّكّـعِ السّـجُودِ قــال: القــائم والراكـع والسـاجد هــو الـمصلـي, والطائف هو الـذي يطـوف بـه. وقـوله: وَالرّكّـعِ السّـجُودِ يقـول: والركع السجود فـي صلاتهم حول البـيت.

الآية : 27 -29

القول فـيتأويـل قوله تعالـى: {وَأَذّن فِي النّاسِ بِالْحَجّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىَ كُلّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلّ فَجّ عَمِيقٍ * لّيَشْهَدُواْ مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ اسْـمَ اللّـهِ فِيَ أَيّامٍ مّعْلُومَاتٍ عَلَىَ مَا رَزَقَهُمْ مّن بَهِيمَـةِ الأنْعَـامِ فَكُلُـواْ مِنْهَـا وَأَطْعِمُـواْ الْبَآئِسَ الْفَقِيرَ * ثُمّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطّوّفُواْ بِالْبَيْتِ الْعَتِيـقِ}.

يقول تعالـى ذكره: عهدنا إلـيه أيضا أن أذّن فــي النـاس بـالــحجّ يعنــي بقوله: وأذّنْ أعلـم وناد فـي الناس أن حجوا أيها الناس بــيت اللـه الــحرام. يَأْتُوكَ رِجالاً يقول: فإن الناس يأتون البـيت الذي تأمرهم بحجه مشاة علــى

أرجلهم, وَعَلى كُلّ ضَامِرٍ يقول: وركبانا على كلّ ضامر, وهي الإبل المهازيل. يَأتِينَ مِنْ كُلّ فَجّ عَمِيقٍ يقول: تأتي هذه الضوامر من كلّ فجّ عميق يقول: من كلّ طريق ومكان ومسلك بعيد. وقيل: «يأتين», فجمع لأنه أريد بكل ضامر: النوق. ومعنى الكلّ: الجمع, فلذلك قيل: «يأتين». وقد زعم الفراء أنه قليل في كلام العرب: مررت على كلّ رجل قائمين قال: وهو صواب, وقول الله: وَعَلى كُلّ ضَامِرٍ يَأتِينَ ينبيء عن صحة جوازه. وذُكر أن إبراهيم صلوات الله عليه لما أمره الله بالتأذين بالحجّ, قام على مقامه فنادى: يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحجّ فحجوا بيته العتيق.

وقد اختُلف في صفة تأذين إبراهيم بذلك. فقال بعضهم: نادي بذلك, كما:

18938ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن قابوس, عن أبيه, عن ابن عباس, قال: لما فرغ إبراهيم من بناء البيت قيل له: أذّنْ فِي النّاسَ بالحَجّ قال: ربّ وَما يبلغ صوتي؟ قال: أذّنْ وعليّ البلاغ فنادى إبراهيم: أيها الناس كُتب عليكم الحجّ إلى البيت العتيق فحجوا قال: فسمعه ما بين السماء والأرض, أفلا ترى الناس يجيئون من أقصى الأرض يلبّون؟

18939ـ حدثنا الحسن بن عرفة, قال: حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان الضبي, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جُبير, عن ابن عباس, قال: لما بنى إبراهيم البيت أوحى الله إليه, أن أذّن في الناس بالحجّ قال: فقال إبراهيم: ألا إن ربكم قد اتخذ بيتا, وأمركم أن تحجوه, فاستجاب له ما سمعه من شيء من حجر وشجر وأكمة أو تراب أو شيء: لبّيك اللهمّ لبّيك

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا ابن واقد, عن أبي الزبير, عن مجاهد, عن ابن عباس:, قوله: وأذّنْ فِي النّاسَ بالحَجّ قال: قام إبراهيم خليل الله على الحجر, فنادى: يا أيها الناس كُتب عليكم الحجّ, فأسمع من في أصلاب الرجال وأرحام النساء, فأجابه من آمن ممن سبق في علم الله أن يحجّ إلى يوم القيامة: لبّيك اللهمّ لبّيك

18940ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان,ٍعن عطاءٍ بن السائب, عن سعيد بن جُبير: وأذّنْ فِي النّاسَ بالحَجّ يَأْتُوكَ رِجالاً قال: وقرت في قلب كلّ ذكر وأنثى.

18941ـ حدثني ابن حميد, قال: حدثنا حكام عن عمرو, عن عطاء, عن سعيد بن جُبير, قال: لما فرغ إبراهيم من بناء البيت, أوحى الله إليه, أن أذّنْ في الناس بالحجّ قال: فخرج فنادى في الناس: يا أيها الناس إن ربكم قد اتخذ بيتا فحجوه فلم يسمعه يومئذٍ من إنس, ولا جنّ, ولا شجر, ولا أكمة, ولا تراب, ولا جبل, ولا ماء, ولا شيء إلا قال: لبّيك اللهم لبّيك

18942ـ قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: قام إبراهيم على المقام حين أمر أن يؤذّن في الناس بالحجّ.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, في قوله: وأَذّنْ فِي النّاسِ بالْحَجّ قال: قام إبراهيم على مقامه, فقال: يا أيها الناس أجيبوا ربكم فقالوا: لبّيك اللهمّ لبيك فمن حَجّ اليوم فهو ممن أجاب إبراهيم يومئذٍ.

18943ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن داود, عن عكرمة بن خالد المخزومي, قال: لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت, قام على المقام, فنادى نداء سمعه أهل الأرض: إن ربكم قد بنى لكم بيتا فحجّوه قال داود: فأرجوا من حجّ اليوم من إجابة إبراهيم عليه السلام.

18944ـ حدثني محمد بن سنان القزاز, قال: حدثنا حجاج, قال: حدثنا حماد, عن أبي عاصم الغَنَوِيّ, عن أبي الطفيل, قال: قال ابن عباس: هل تدري كيف كانت التلبية؟ قلت: وكيف كانت التلبية؟ قال: إن إبراهيم لما أمر أن يؤذّن في الناس بالحجّ, خفضت له الجبال رؤسها, ورُفِعَت القُرى, فأذّن في الناس.

18945ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن مجاهد, قوله: وأَذّنْ فِي النّاسِ بالحَجّ قال إبراهيم: كيف أقول يا ربّ؟ قال: قل: يا أيها الناس استجيبوا لربكم قال: وقَرّت في قلب كلّ مؤمن. وقال آخرون في ذلك, ما:

18946ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن سلمة, عن مجاهد, قيل لإبراهيم: أذّن في الناس بالحجّ قال: يا ربّ كيف أقول؟ قل لَبّيك اللهمّ لبيك قال: فكانت أوّل التلبية.

وكان ابن عباس يقول: عُنِي بالناس في هذا الموضع: أهل القبلة. ذكر الرواية بذلك:

18947ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وأَذّنْ فِي النّاسَ بالحَجّ يعني بالناس: أهل القبلة, ألم تسمع أنه قال: إنّ أوّلَ بَيْتٍ وُضِعَ للنّاسِ لَلّذِي بِبَكّة مُباركا... إلى قوله: وَمَنْ دَخَلَهُ آمِنا يقول: ومن دخله من الناس الذين أمر أن يؤذن فيهم, وكتب عليهم الحجّ, فإنه آمن, فعظّموا حرمات الله تعالى, فإنها من تقوى القلوب.

وأما قوله: يَأْتُوكَ رِجالاً وَعَلى كُلّ ضَامِرٍ فإن أهل التأويل قالوا فيه نحو قولنا. ذكر من قال ذلك:

18948ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قال ابن عباس: يَأْتُوكَ رِجالاً قال: مشاة.

18949ـ قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو معاوية عن الحجاج بن أرطاة, قال: قال ابن عباس:: ما آسَى على شيء فاتني إلا أن لا أكون حججت ماشيا, سمعت الله يقول: يَأْتُوكَ رِجالاً.

18950ـ قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: حجّ إبراهيم وإسماعيل ماشيين.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة, عن ابن عباس: يَأْتُوكَ رِجالاً قال: على أرجلهم.

18951ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَعَلى كُلّ ضَامِرٍ قال: الإبل.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قال ابن عباس: وَعَلى كُلّ ضَامِرٍ قال: الإبل.

18952ـ حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي, قال: حدثنا المحاربي, عن عمر بن ذرّ, قال: قال مجاهد: كانوا لا يركبون, فأنزل الله: يَأْتُوكَ رِجالاً وَعَلى كُلّ ضَامِرٍ قال: فأمرهم بالزاد, ورخص لهم في الركوب والمتجر.
وقوله: مِنْ كُلّ فَجّ عمِيقٍ.
18953ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: مِنْ كُلّ فَجّ عَمِيقٍ يعني: من مكان بعيد.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قال ابن عباس: مِنْ كُلّ فَجّ عَمِيقٍ قال: بعيد.
18954ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة: فَجّ عمِيقٍ قال: مكان بعيد.
حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة مثله.
وقوله: لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ اختلف أهل التأويل في معنى المنافع التي ذكرها الله في هذا الموضع فقال بعضهم: هي التجارة ومنافع الدنيا. ذكر من قال ذلك:
18955ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, قال: حدثنا عمرو عن عاصم, عن أبي رزين, عن ابن عباس: لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ قال: هي الأسواق.
18956ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو تُمَيلة, عن أبي حمزة, عن جابر بن الحكم, عن مجاهد عن ابن عباس, قال: تجارة.
18957ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان, عن عاصم بن بهدلة, عن أبي رزين, في قوله: لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ قال: أسواقهم.
18958ـ قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن واقد, عن سعيد بن جُبير: لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ قال: التجارة.
حدثنا عبد الحميد بن بيان, قال: أخبرنا إسحاق عن سفيان, عن واقد, عن سعيد بن جبير, مثله.
حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن سفيان, عن واقد, عن سعيد, مثله.
حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا سنان, عن عاصم بن أبي النجود, عن أبي رزين: لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ قال: الأسواق.
وقال آخرون: هي الأجْر في الآخرة, والتجارة في الدنيا. ذكر من قال ذلك:
18959ـ حدثنا ابن بشار, وسوار بن عبد الله, قالا: حدثنا يحيى بن سعيد, قال: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: لِيشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ قال: التجارة, وما يرضي الله من أمر الدنيا والآخرة.
حدثنا عبد الحميد بن بيان, قال: حدثنا إسحاق, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.
حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

حدثنا عبد الحميد بن بيان, قال: حدثنا سفيان, قال: أخبرنا إسحاق, عن أبي بشر, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ قال: الأجر في الآخرة, والتجارة في الدنيا.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

وقال آخرون: بل هي العفو والمغفرة. ذكر من قال ذلك:

18960ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن سفيان, عن جابر, عن أبي جعفر: لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ قال: العفو.

18961ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني أبو تُمَيلة, عن أبي حمزة, عن جابر, قال: قال محمد بن عليّ: مغفرة.

وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: عني بذلك: ليشهدوا منافع لهم من العمل الذي يرضي الله والتجارة وذلك أن الله عمّ لهم منافع جميع ما يَشْهَد له الموسم ويأتي له مكة أيام الموسم من منافع الدنيا والآخرة, ولم يخصص من ذلك شيئا من منافعهم بخبر ولا عقل, فذلك على العموم في المنافع التي وصفت.

وقوله: وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللّهِ فِي أيّامٍ مَعْلُوماتٍ عَلى ما رَزَقَهُمْ مِنَ بَهِيمَةِ الأنْعامِ يقول تعالى ذكره: وكي يذكروا اسم الله على ما رزقهم من الهدايا والبُدْنَ التي أهدوها من الإبل والبقر والغنم, في أيّامٍ مَعْلُومَاتٍ وهنّ أيام التشريق في قول بعض أهل التأويل. وفي قول بعضهم أيام العَشْر. وفي قول بعضهم: يوم النحر وأيام التشريق.

وقد ذكرنا اختلاف أهل التأويل في ذلك بالروايات, وبيّنا الأولى بالصواب منها في سورة البقرة, فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع غير أني أذكر بعض ذلك أيضا في هذا الموضع.

18962ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, في قوله: وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللّهِ فِي أيّامٍ مَعْلُوماتٍ يعني أيام التشريق.

18963ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك في قوله: أيّامٍ مَعْلُوماتٍ يعني أيام التشريق, عَلى ما رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأنْعامِ يعني البدن.

18964ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة: فِي أيّامٍ مَعْلُوماتٍ قال: أيام العشر, والمعدودات: أيام التشريق.

وقوله: فَكُلُوا مِنْها يقول: كلوا من بهائم الأنعام التي ذكرتم اسم الله عليها أيها الناس هنالك. وهذا الأمر من الله جلّ ثناؤه أمر إباحة لا أمر إيجاب وذلك أنه لا خلاف بين جميع الحُجة أن ذابح هديه أو بدنته هنالك, إن لم يأكل من هديه أو بدنته, أنه لم يضيع له فرضا كان واجبا عليه, فكان معلوما بذلك أنه غير واجب. ذكر الرواية عن بعض من قال ذلك من أهل العلم:

18965ـ حدثنا سوّار بن عبد الله, قال: حدثنا يحيى بن سعيد, عن ابن جُرَيج, عن عطاء, قوله: فَكُلُوا مِنْها وأطْعِمُوا البائِسَ الفَقِيرَ قال: كان لا يرى الأكل منها واجبا.

18966ـ حدثنا يعقوب بـن إبراهيــم, قـال: حـدثنا هشيــم, قـال: أخبرنـا حصين, عن مـجاهد, أنه قال: هي رُخصة: إن شاء أكل, وإن شاء لــم يأكـل, وهي كقـوله: وَإِذَا حَلَلْتُــمْ فــاصْطادُوا فـإِذَا قُضِـيَتِ الصّـلاةُ فــانْتَشِرُوا فـ ي الأَرْض يعنـي قوله: فَكُلُوا مِنْها وأَطْعِمُوا القانِعَ والـمُعْتَرّ.

18967ـ قال: حدثنا هشيـم, قال: أخبرنا مغيرة, عن إبراهيـم, فـي قوله: فَكُلُوا مِنْها قال: هي رخصة, فإن شاء أكل وإن شاء لـم يأكل.

18968ـ قال: حدثنا هشيـم, قال: أخبرنا حجاج, عـن عطـاء فــي قـوله: فَكُلُوا مِنْها قال: هي رخصة, فإن شاء أكلها وإن شاء لـم يأكل.

18969ـ حدثنـي علـيّ بن سهل, قال: حدثنا زيد, قال: حدثنا سفـيان, عن حصين, عن مـجاهد, فـي قوله: فَكُلُوا مِنْها قال: إنـما هي رخصة.

وقوله: وأَطْعِمُوا البـائِسَ الفَقِـيرَ يقول: وأطعموا مـما تذبحون أو تنـحرون هنالك من بهيـمة الأنعـام مـن هـديكم وبُـدْنكم البــائسَ, وهـو الـذي بـه ضـرّ الـجوع والزّمانة والـحاجة, والفقـيرَ: الذي لا شيء له.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

18970ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قـوله: فَكُلُـوا مِنْهـا وأَطْعِمُـوا البــائِسَ الفَقِـيرَ يعنـي: الزّمِن الفقـير.

18971ـ حدثنا ابن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن رجل, عن مـجاهد: البـائِسَ الفَقِـيرَ: الذي يـمد إلـيك يديه.

18972ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد فــي قوله: البَـائِسَ الفَقِـيرَ قال: هو القانع.

18973ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, ع ـن اب ـن جُرَيج, قال: أخبرنـي عمر بن عطاء, عن عكرِمة, قال: البــائسَ: الــمضطر الذي علـيه البؤس, والفقـير: الـمتعفّف.

قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد, قوله: البـائِسَ الذي يبسط يديه.

وقوله: ثُمّ لِـيَقْضُوا تَفَثَهُمْيقول: تعالـى ذكره: ثم لـيقضوا ما علـيهم مـن مناسـك حجهـم: مـن حلـق شـعر, وأخـذ شـارب, ورمـي جمـرة, وطـواف بـالبـيت.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

18974ـ حدثنا ابن أبـي الشوارب, قال: ثنـي يزيد, قال: أخبرنا الأشـعث بن سوار, عن نافع, عن ابن عمر, أنه قال: ثُمّ لْـيَقْضُوا تَفَثَهُمْ قـال: مـا هـم علـيه فـي الـحجّ.

18975ـ حدثنا حميد بن مسعدة, قال: حدثنا يزيد, قال: ثنـي الأشعث, عن نافع, عن ابن عمر, قال: التفَث: الـمناسك كلها.

18976ـ قال: حدثنا هشيـم, قال: أخبرنا عبد الـملك, عن عطاء, عن ابن عبـاس, أنه قال, فـي قوله: ثُمّ لْـيَقْضُوا تَفَثَهُمْ قـال: التفَـث: حلـق الـرأس, وأخذ من الشاربـين, ونتف الإبط, وحلق العانة, وقصّ الأظفـار, والأخـذ مـن العارضين, ورمي الـجمار, والـموقـف بعرفة والـمزدلفة.

18977ـ حدثنا حميد, قال: حدثنا بشر بن الـمفضل, قال: حدثنا خالد, عن عكرِمة, قال: التفَث: الشعر والظّفر.

حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا ابن علـية, عن خالد, عن عكرِمة, مثله.

18978ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني أبو صخر, عن محمد بن كعب القُرَظيّ, أنه كان يقول في هذه الآية: ثُمّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ: رمي الجِمار, وذبح الذبيحة, وأخذ من الشاربين واللحية والأظفار, والطواف بالبيت وبالصفا والمروة.

18979ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن الحكم, عن مجاهد أنه قال في هذه الآية: ثُمّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ قال: هو حلق الرأس. وذكر أشياء من الحجّ قال شعبة: لا أحفظها.

قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن شعبة, عن الحكم, عن مجاهد, مثله.

18980ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: ثُمّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ قال: حلق الرأس, وحلق العانة, وقصّ الأظفار, وقصّ الشارب, ورمي الجمار, وقصّ اللحية.

18981ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله. إلا أنه لم يقل في حديثه: وقصّ اللحية.

18982ـ حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي, قال: حدثنا المحاربي, قال: سمعت رجلاً يسأل ابن جُرَيج, عن قوله: ثُمّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ قال: الأخذ من اللحية, ومن الشارب, وتقليم الأظفار, ونتف الإبط, وحلق العانة, ورمي الجمار.

18983ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا منصور, عن الحسن, وأخبرنا جويبر, عن الضحاك أنهما قالا: حلق الرأس.

18984ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ثُمّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ يعني: حلق الرأس.

18985ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: التفث: حلق الرأس, وتقليم الظفر.

18986ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: ثُمّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ يقول: نسكهم.

18987ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: ثُمّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ قال: التفث: حرمهم.

18988ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: ثُمّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ قال: يعني بالتفث: وضع إحرامهم من حلق الرأس, ولبس الثياب, وقصّ الأظفار ونحو ذلك.

18989ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن عطاء بن السائب, قال: التفث: حلق الشعر, وقصّ الأظفار والأخذ من الشارب, وحلق العانة, وأمر الحجّ كله.

وقوله: وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ يقول: وليوفوا الله بما نذروا من هَدْي وبدنة وغير ذلك.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18990ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ نحر ما نذروا من البدن.

18991ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى. وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ نذر الحجّ والهَدي, وما نذر الإنسان من شيء يكون في الحجّ.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد: وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ قال: نذر الحجّ والهدي, وما نذر الإنسان على نفسه من شيء يكون في الحجّ.

وقوله: وَلْيَطّوّفُوا بالبَيْتِ العَتيقِ يقول: وليطوّفوا ببيت الله الحرام.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: العَتِيق في هذا الموضع, فقال بعضهم: قيل ذلك لبيت الله الحرام, لأن الله أعتقه من الجبابرة أن يصلوا إلى تخريبه وهدمه. ذكر من قال ذلك:

18992ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الزهري, أن ابن الزبير, قال: إنما سمي البيت العتيق, لأن الله أعتقه من الجبابرة.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الزهري, عن ابن الزبير, مثله.

18993ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: إنما سمي العتيق, لأنه أعتق من الجبابرة.

18994ـ قال: حدثنا سفيان, قال: حدثنا أبو هلال, عن قَتادة: وَلْيَطّوفوا بالْبَيْتِ العَتِيقِ قال: أُعْتِق من الجبابرة.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: البَيْتِ العَتِيقِ قال: أعتقه الله من الجبابرة, يعني الكعبة.

وقال آخرون: قيل له عتيق لأنه لم يملكه أحد من الناس. ذكر من قال ذلك:

18995ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا سفيان, عن عبيد, عن مجاهد, قال: إنما سمي البيت العتيق لأنه ليس لأحد فيه شيء.

وقال آخرون: سمي بذلك لقِدمه. ذكر من قال ذلك:

18996ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: البَيْتِ العَتِيقِ قال: العتيق: القديم, لأنه قديم, كما يقال: السيف العتيق, لأنه أوّل بيت وُضع للناس بناه آدم, وهو أوّل من بناه, ثم بوّأ الله موضعه لإبراهيم بعد الغرق, فبناه إبراهيم وإسماعيل.

قال أبو جعفر: ولك هذه الأقوال التي ذكرناها عمن ذكرناها عنه في قوله: البَيْتِ العَتِيقِ وجه صحيح, غير أن الذي قاله ابن زيد أغلب معانيه عليه في الظاهر. غير أن الذي رُوي عن ابن الزبير أولى بالصحة, إن كان ما:

18997ـ حدثني به محمد بن سهل البخاري, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: أخبرني الليث, عن عبد الرحمن بن خالد بن مسافر, عن الزهريّ, عن محمد بن عروة, عن عبد الله بن الزبير, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّمَا سُمّيَ البَيْتُ العَتِيقُ لأنّ اللّهَ أعْتَقَهُ مِنَ الجَبابِرَةِ فَلَمْ يَظْهَرْ عَلَيْهِ قَطّ صَحِيحا».

18998ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال الزهريّ: بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنّمَا سُمّيَ البَيْتُ العَتِيقُ لأنّ اللّهَ أعْتَقَهُ» ثم ذكر مثله.

وعني بالطواف الذي أمر جلّ ثناؤه حاجّ بيته العتيق به في هذه الآية طواف الإفاضة الذي يُطاف به بعد التعريف, إما يوم النحر وإما بعده, لا خلاف بين أهل التأويل في ذلك. ذكر الرواية عن بعض من قال ذلك:

18999ـ حدثنا عمرو بن سعيد القرشي, قال: حدثنا الأنصاري, عن أشعث, عن الحسن: وَلْيَطّوّفُوا بالبَيْتِ العَتِيقِ قال: طواف الزيارة.

19000ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا خالد, قال: حدثنا الأشعث, أن الحسن قال في قوله: وَلْيَطّوّفُوا بالبَيْتِ العَتِيقِ قال: الطواف الواجب.

19001ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَلْيَطّوّفُوا بالبَيْتِ العَتِيقِ يعني: زيارة البيت.

19002ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, عن حجاج وعبد الملك, عن عطاء, في قوله: وَلْيَطّوّفُوا بالبَيْتِ العَتِيقِ قال: طواف يوم النحر.

19003ـ حدثني أبو عبد الرحمن البرقي, قال: حدثنا عمرو بن أبي سلمة, قال: سألت زُهَيرا عن قول الله: وَلْيَطّوّفُوا بالبَيْتِ العَتِيقِ قال: طواف الْوَداع.

واختلف القرّاء في قراءة هذه الحروف, فقرأ ذلك عامة قراء الكوفة «ثُمّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطّوّفُوا» بتسكين اللام في كل ذلك طلب التخفيف, كما فعلوا في «هو» إذا كانت قبله واو, فقالوا وَهْوَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصّدُورِ فسكّنوا الهاء, وكذلك يفعلون في لام الأمر إذا كان قبلها حرف من حروف النسق كالواو والفاء وثم. وكذلك قرأت عامة قرّاء أهل البصرة, غير أن أبا عمرو بن العلاء كان يكسر اللام من قوله: «ثُمّ لِيَقْضُوا» خاصة من أجل أن الوقوف على «ثم» دون «ليقضوا» حسن, وغير جائز الوقوف على الواو والفاء. وهذا الذي اعتلّ به أبو عمرو لقراءته علة حسنة من جهة القياس, غير أن أكثر القرّاء على تسكينها.

وأولى الأقوال بالصواب في ذلك عندي, أن التسكين في لام «ليقضوا» والكسر قراءتان مشهورتان ولغتان سائرتان, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب الصواب. غير أن الكسر فيها خاصة أقيس, لما ذكرنا لأبي عمرو من العلة, لأن من قرأ: وَهُوْ عَلِيمٌ بذَاتِ الصّدُورِ فهو بتسكين الهاء مع الواو والفاء, ويحركها في قوله: ثُمّ هُوَ يَوْمَ القِيامَةِ مِنَ المُحْضَرِينَ فذلك الواجب عليه أن يفعل في قوله: «ثُمّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ» فيحرّك اللام إلى الكسر ثم «ثم» وإن سكّنها في قوله: وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ. وقد ذكر عن أبي عبد الرحمن السّلَميّ والحسن البصري تحريكها مع «ثم» والواو, وهي لغة مشهورة, غير أن أكثر القرّاء مع الواو والفاء على تسكينها, وهي أشهر اللغتين في العرب وأفصحها, فالقراءة بها أعجب إليّ من كسرها.

الآية : 30

القول في تأويل قوله تعالى: {ذَلِكَ وَمَن يُعَظّمْ حُرُمَاتِ اللّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لّهُ عِندَ رَبّهِ وَأُحِلّتْ لَكُمُ الأنْعَامُ إِلاّ مَا يُتْلَىَ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُواْ الرّجْسَ مِنَ الأوْثَانِ وَاجْتَنِبُواْ قَوْلَ الزّورِ }.

يعني تعالى ذكره بقوله ذلكَ: هذا الذي أمر به من قضاء التفث والوفاء بالنذور والطواف بالبيت العتيق, هو الفرض الواجب عليكم يا أيها الناس

فـي حجكم. وَمَنْ يُعَظّمْ حُرُماتِ اللّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْد رَبّهِ يقول: ومن يجتنب ما أمره الله بـاجتنابه فـي حال إحرامه تعظيـما منه لـحدود اللـه أن يواقعهـا وحُرَمه أن يستـحلها, فهو خير له عند ربه فـي الآخرة. كما:

19004ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جُرَيج, قال: قال مـجاهد, فـي قـوله: ذلـكَ وَمَـنْ يُعَظّـمْ حُرُمـاتِ اللّـهِ قـال: الـحُرْمة: مكة والـحجّ والعُمرة, وما نَهَى الله عنه من معاصيه كلها.

حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسـى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن قال: حـدثنا ورقـاء جميعـا, عـن ابـن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.

19005ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله: وَمَنْ يُعَظّمْ حُرُماتِ اللّهِ قال: الـحرمات: الــمَشْعَر الــحرام, والبــيت الـحرام, والـمسجد الـحرام, والبلد الـحرام هؤلاء الـحرمات.

وقوله: وأُحِلّتْ لَكُمُ الأَنْعامُ يقول جلّ ثناؤه: وأحلّ اللـه لكـم أيهـا النـاس الأنعام أن تأكلوها إذا ذكّيتـموها, فلـم يحرّم علـيكم منهـا بحيـرة, ولا سـائبة, ولا وَصِيـلة, ولا حاما, ولا مـا جعلتــموه منهـا لآلهتكـم. إلاّ مـا يُتْلَــى عَلَــيْكُمْ يقول: إلا ما يتلـى علـيكم فــي كتـاب اللـه, وذلـك: الــميتة, والـدم, ولــحم الــخنزير, ومـا أهـلّ لغيـر اللـه بـه, والـمنــخنقة, والــموقوذة, والــمتردّية, والنطيحة, وما أكل السبع, وما ذُبح علـى النّصب فإن ذلك كله رجس. كما:

19006ـ حدثنا ابن عبد الأعلـى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة: إلاّ ما يُتْلَـى عَلَـيْكُمْ قال: إلا الـميتة, وما لـم يذكر اسم الله علـيه.

حدثنا الـحسن, قال: حدثنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمـر, عـن قَتـادة, مثله.

وقوله: فـاجْتَنِبُوا الرّجْسَ مِنَ الأَوْثانِ يقول: فـاتقوا عبـادة الأوثان, وطاعة الشيطان فـي عبـادتها فإنها رجس.

وبنـحو الذي قلنا فـي تأويـل ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

19007ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: فــاجْتَنِبُوا الرّجْـسَ مِـنَ الأَوْثـانِ يقول تعالـى ذكره: فـاجتنبوا طاعة الشيطان فـي عبـادة الأوثان.

19008ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جُرَيج فـي قوله: الرّجْسَ مِنَ الأَوْثانِ قال: عبـادة الأوثان.

وقوله: وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزّورِ يقول تعالـى ذكره: واتقوا قول الكذب والفرية علـى الله بقـولكم فــي الآلهـة: مـا نَعْبُـدُهُمْ إلاّ لِــيُقَرّبُونا إلــى اللّــهِ زُلْفَــى وقولكم للـملائكة: هي بنات الله, ونــحو ذلـك مـن القـول, فـإن ذلـك كـذب وزور وشرك بـالله.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

19009ـ حدثنا مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقـاء جميعـا, عـن ابـن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: قَوْلَ الزّورِ قال: الكذب.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد مثله.

19010ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزّورِ حُنَفاءَ لِلّهِ غيرَ مُشْرِكِينَ بِهِ يعني: الافتراء على الله والتكذيب.

19011ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن عاصم, عن وائل بن ربيعة, عن عبد الله, قال: تعدل شهادة الزور بالشرك. وقرأ: فاجْتَنِبُوا الرّجْسَ مِنَ الأَوْثانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزّورِ.

19012ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا أبو بكر, عن عاصم, عن وائل بن ربيعة, قال: عُدِلت شهادة الزور الشرك. ثم قرأ هذه الآية: فاجْتَنِبُوا الرّجْسَ مِنَ الأَوْثانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزّورِ.

19013ـ حدثني أبو السائب, قال: حدثنا أبو أُسامة, قال: حدثنا سفيان العصفري, عن أبيه, عن خُرَيم بن فاتك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عُدِلَتْ شَهادَةُ الزّورِ بـ الشّرْكِ بـ اللّهِ». ثم قرأ: فاجْتَنِبُوا الرّجْسَ مِنَ الأَوْثانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزّورِ.

19014ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا مروان بن معاوية, عن سفيان العُصفريّ, عن فاتك بن فضالة, عن أيمن بن خريم, أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قام خطيبا فقال: «أيّها النّاسُ عُدِلَتْ شَهادَةُ الزّورِ بالشّرْكِ باللّهِ» مرّتين. ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: فاجْتَنِبُوا الرّجْسَ مِنَ الأَوْثانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزّورِ.

ويجوز أن يكون مرادا به: اجتنبوا أن ترجسوا أنتم أيها الناس من الأوثان بعبادتكم إياها.

فإن قال قائل: وهل من الأوثان ما ليس برجس حتى قيل: فاجتنبوا الرجس منها؟ قيل: كلها رجس. وليس المعنى ما ذهبت إليه في ذلك, وإنما معنى الكلام: فاجتنبوا الرجس الذي يكون من الأوثان أي عبادتها, فالذي أمر جلّ ثناؤه بقوله: فاجْتَنِبُوا الرّجْسَ منها اتقاء عبادتها, وتلك العبادة هي الرجس على ما قاله ابن عباس ومن ذكرنا قوله قبل.

الآية : 31

القول في تأويل قوله تعالى: {حُنَفَآءَ لِلّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَكَأَنّمَا خَرّ مِنَ السّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ الطّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ }.

يقول تعالى ذكره: اجتنبوا أيها الناس عبادة الأوثان, وقول الشرك, مستقيمين لله على إخلاص التوحيد له, وإفراد الطاعة والعبادة له خالصا دون الأوثان والأصنام, غير مشركين به شيئا من دونه فإنه من يُشرك بالله شيئا من دونه فمثله في بعده من الهدى وإصابة الحقّ وهلاكه وذهابه عن ربه, مَثل من خرّ من السماء فتخطفه الطير فهلك, أو هوت به الريح في مكان سحيق, يعني من بعيد, من قولهم: أبعده الله وأسحقه, وفيه لغتان: أسحقته الريح وسحقته, ومنه قيل للنخلة الطويلة: نخلة سحوق ومنه قول الشاعر:

كانَتْ لَنا جارَةٌ فَأزْعَجَهاقاذُورَةٌ تَسْحَقُ النّوَى قُدُمَا

ويُروى: «تُسْحِقُ». يقول: فهكذا مَثل المشرك بالله في بُعده من ربه ومن إصابة الحقّ, كبُعد هذا الواقع من السماء إلى الأرض, أو كهلاك من اختطفته الطير منهم في الهواء.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
19015ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قَتادة: فَكأنّمَا خَرّ منَ السّماءِ قال: هذا مَثَل ضربه الله لمن أشرك بالله في بُعده من الهُدى وهلاكه فَتَخْطَفُهُ الطّيْرُ أوْ تَهْوِى بِهِ الرّيحُ فِي مَكانٍ سَحِيقٍ.
حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, مثله.
19016ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: فِي مَكانٍ سَحِيقٍ قال: بعيد.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.
وقيل: فَتَخْطَفُهُ الطّيْرُ وقد قيل قبله: فكأنّمَا خَرّ منَ السّماءِ وخرّ فعل ماض, وتخطفه مستقبل, فعطف بالمستقبل على الماضي, كما فعل ذلك في قوله: إنّ الّذِينَ كَفَرُوا ويَصُدّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ وقد بيّنت ذلك هناك.
الآية : 32
القول في تأويل قوله تعالى: {ذَلِكَ وَمَن يُعَظّمْ شَعَائِرَ اللّهِ فَإِنّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ }.
يقول تعالى ذكره: هذا الذي ذكرت لكم أيها الناس وأمرتكم به من اجتناب الرجس من الأوثان واجتناب قول الزور, حنفاء لله, وتعظيم شعائر الله, وهو استحسان البُدن واستسمانها وأداء مناسك الحجّ على ما أمر الله جلّ ثناؤه, من تقوى قلوبكم.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
19017ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم, قال: حدثنا محمد بن زياد, عن محمد بن أبي ليلى, عن الحكم, عن مِقْسم, عن ابن عباس, في قوله: وَمَنْ يُعَظّمْ شَعائِرَ اللّهِ فإنّها مِنْ تَقْوَى القُلوبِ قال: استعظامها, واستحسانها, واستسمانها.
19018ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن محمد بن عبد الرحمن, عن القاسم بن أبي بَزّة عن مجاهد, في قوله: وَمَنْ يُعَظّمْ شَعائِرَ اللّهِ قال: الاستسمان والاستعظام.
19019ـ وبه عن عنبسة, عن ليث, عن مجاهد, مثله, إلا أنه قال: والاستحسان.
حدثنا عبد الحميد بن بيان الواسطيّ, قال: أخبرنا إسحاق, عن أبي بشر, وحدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَمَنْ يُعَظّمْ شَعائِرَ اللّهِ قال: استعظام البدن, واستسمانها, واستحسانها.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.

19020ـ حدثنا محمد بن المثني, قال: حدثنا يزيد بن هارون, قال: أخبرنا داود بن أبي هند, عن محمد بن أبي موسى, قال: الوقوف بعرفة من شعائر الله, وبجَمْع من شعائر الله, ورمي الجمار من شعائر الله, والبُدْن من شعائر الله, ومن يعظمها فإنها من شعائر الله في قوله: وَمَنْ يُعَظّمْ شَعائِرَ اللّهِ فمن يعظمها فإنها من تقوى القلوب.

19021ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَمَنْ يُعَظّمْ شَعائِرَ اللّهِ قال: الشعائر: الجمار, والصفا والمروة من شعائر الله, والمَشْعَر الحرام والمزدلفة, قال: والشعائر تدخل في الحرم, هي شعائر, وهي حرم.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن تعظيم شعائره, وهي ما جعله أعلاما لخلقه فيما تعبّدهم به من مناسك حجهم, من الأماكن التي أمرهم بأداء ما افترض عليهم منها عندها والأعمال التي ألزمهم عملها في حجهم: من تقوى قلوبهم لم يخصص من ذلك شيئا, فتعظيم كلّ ذلك من تقوى القلوب, كما قال جلّ ثناؤه وحقّ على عباده المؤمنين به تعظيم جميع ذلك. وقال: إنّها مِنْ تَقْوَى القُلُوبِ وأنّث ولم يقل: «فإنه», لأنه أريد بذلك. فإن تلك التعظيمة مع اجتناب الرجس من الأوثان من تقوى القلوب, كما قال جلّ ثناؤه: إنّ رَبّكَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ. وعني بقوله: فإنّها مِنْ تَقْوَى القُلوبِ فإنها من وجل القلوب من خشية الله, وحقيقة معرفتها بعظمته وإخلاص توحيده.

الآية : 33

القول في تأويل قوله تعالى: {لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىَ أَجَلٍ مّسَمّى ثُمّ مَحِلّهَآ إِلَىَ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ }.

اختلف أهل التأويل في معنى المنافع التي ذكر الله في هذه الآية وأخبر عباده أنها إلى أجل مسمى, على نحو اختلافهم في معنى الشعائر التي ذكرها جلّ ثناؤه في قوله: وَمَنْ يُعَظّمْ شَعائِرَ اللّهِ فإنّهَا مِنْ تَقْوَى القُلُوبِ فقال الذين قالوا عني بالشعائر البدن. معنى ذلك: لكم أيها الناس في البدن منافع. ثم اختلف أيضا الذين قالوا هذه المقالة في الحال التي لهم فيها منافع, وفي الأجل الذي قال عزّ ذكره: إلى أجَلٍ مُسَمّى فقال بعضهم: الحال التي أخبر الله جلّ ثناؤه أن لهم فيها منافع, هي الحال التي لم يوجبها صاحبها ولم يسمها بدنة ولم يقلّدْها. قالوا: ومنافعها في هذه الحال: شرب ألبانها, وركوب ظهورها, وما يرزقهم الله من نتاجها وأولادها. قالوا: والأجل المسمى الذي أخبر جلّ ثناؤه أن ذلك لعباده المؤمنين منها إليها, هو إلى إيجابهم إياها, فإذا أوجبوها بطل ذلك ولم يكن لهم من ذلك شيء. ذكر من قال ذلك:

19022ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا يحيى بن عيسى, عن ابن أبي ليلى, عن الحكم, عن مقسم, عن ابن عباس في: لَكُمْ فِيها مَنَافِعُ إلى أجَلٍ مُسَمّى قال: ما لم يُسَمّ بُدْنا.

19023ـ حدثنا عبد الحميد بن بيان, قال: أخبرنا إسحاق بن يوسف, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قوله: لَكُمْ فِيها مَنَافِعُ إلى أجَلٍ مُسَمّى قال: الركوب واللبن والولد, فإذا سميت بدنة أو هديا ذهب كله.

حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن الحكم, عن مجاهد, في هذه الآية: لَكُمْ فِيها مَنَافِعُ إلى أجَلٍ مُسَمّى قال: لكم في ظهورها وألبانها وأوبارها, حتى تصير بُدْنا.

قال: حدثنا ابن عديّ, قال: حدثنا شعبة, عن الحكم, عن مجاهد, بمثله.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن ابن أبي نجيح, وليث عن مجاهد: لَكُمْ فِيها مَنَافِعُ إلى أجَلٍ مُسَمّى قال: في أشعارها وأوبارها وألبانها, قبل أن تسميها بدنة.

قال: حدثنا هارون بن المغيرة, عن عنبسة, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: لَكُمْ فِيها مَنَافِعُ إلى أجَلٍ مُسَمّى قال: في البدن لحومها وألبانها وأشعارها وأوبارها وأصوافها قبل أن تسمى هديا.

19024ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله, وزاد فيه: وهي الأجل المسمى.

19025ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا حجاج, عن عطاء أنه قال في قوله: لَكُمْ فِيها مَنَافِعُ إلى أجَلٍ مُسَمّى ثُمّ مَحِلّها إلى البَيْت العَتِيق قال: منافع في ألبانها وظهورها وأوبارها, إلى أجَلٍ مُسَمّى: إلى أن تقلد.

19026ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا جويبر, عن الضحاك, مثل ذلك.

19027ـ حدثني يعقوب, قال: قال ابن علية: سمعت ابن أبي نجيح يقول في قوله: لَكُمْ فِيها مَنافعُ إلى أجَلٍ مُسَمّى قال: إلى أن تُوجِبها بَدَنة.

19028ـ قال: حدثنا ابن علية, عن ابن أبي نجيح, عن قَتادة: لَكُمْ فِيها مَنافِعُ إلى أجَلٍ مُسَمّى يقول: في ظهورها وألبانها, فإذا قلدت فمحلها إلى البيت العتيق.

وقال آخرون ممن قال الشعائر البدن في قوله: وَمَنْ يُعَظّمْ شَعائِرَ الله فإنّها مِنْ تَقْوَى القُلُوب والهاء في قوله: لَكُمْ فِيها من ذكر الشعائر, ومعنى قوله: لَكُمْ فِيها مَنافِعُ لكم في الشعائر إلى تعظمونها لله منافع بعد اتخاذكموها لله بدنا أو هدايا, بأن تركبوا ظهورها إذا احتجتم إلى ذلك, وتشربوا ألبانها إن اضطررتم إليها. قالوا: والأجل المسمى الذي قال جلّ ثناؤه: إلى أجَل مُسَمّى إلى أن تنحر. ذكر من قال ذلك:

19029ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن ابن أبي نجيح, عن عطاء: لَكُمْ فِيها مَنافِعُ إلى أجَلٍ مُسَمّى قال: هو ركوب البدن, وشرب لبنها إن احتاج.

19030ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال عطاء بن أبي رباح في قوله: لَكُمْ فِيها مَنافِعُ إلى أجَلٍ مُسَمّى قال: إلى أن تنحر, قال: له أن يحملها عليها المُعِيْي والمنقطع به من الضرورة, كان النبيّ صلى الله عليه وسلم يأمر بالبدنة إذا احتاج إليها سيدها أن يحمل عليها ويركب عند منهوكه. قلت لعطاء: ما؟ قال: الرجل الراجل, والمنقطع به, والمتبع وإن نتجت, أن يحمل عليها ولدها,

ولا يشرب من لبنها إلا فضلاً عن ولدها, فإن كان في لبنها فضل فليشرب من أهداها ومن لم يهدها.

وأما الذين قالوا: معنى الشعائر في قوله: وَمَنْ يُعَظّمْ شَعائِرَ الله: شعائر الحجّ, وهي الأماكن التي يُنْسك عندها لله, فإنهم اختلفوا أيضا في معنى المنافع التي قال الله: لَكُمْ فِيها مَنافِعُ فقال بعضهم: معنى ذلك: لكم في هذه الشعائر التي تعظمونها منافع بتجارتكم عندها وبيعكم وشرائكم بحضرتها وتسوّقكم. والأجل المسمى: الخروج من الشعائر إلى غيرها ومن المواضع التي ينسك عندها إلى ما سواها في قول بعضهم.

19031ـ حدثني الحسن بن عليّ الصّدائَي, قال: حدثنا أبو أسامة عن سليمان الضبي, عن عاصم بن أبي النّجود, عن أبي رزين, عن ابن عباس, في قوله: لَكُمْ فِيها مَنافِعُ قال: أسواقهم, فإنه لم يذكر منافع إلا للدنيا.

19032ـ حدثني محمد بن المثنى, قال: حدثنا يزيد بن هارون, قال: أخبرنا داود بن أبي هند, عن محمد بن أبي موسى, قوله: لَكُمْ فِيها مَنافِعُ إلى أجَلٍ مُسَمّى قال: والأجل المسمى: الخروج منه إلى غيره.

وقال آخرون منهم: المنافع التي ذكرها الله في هذا الموضع: العمل لله بما أمر من مناسك الحجّ. قالوا: والأجل المسمّى: هو انقضاء أيام الحجّ التي يُنْسَك لله فيهنّ. ذكر من قال ذلك:

19033ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: لَكُمْ فِيها مَنافِعُ إلى أجَلٍ مُسَمّى ثُمّ مَحِلّها إلى البَيْتَ العَتِيق فقرأ قول الله: وَمَنْ يُعَظّمْ شَعائِرَ اللَّه فإنّها مِنْ تَقْوَى القُلُوب لكم في تلك الشعائر منافع إلى أجل مسمى, إذا ذهبت تلك الأيام لم تر أحدا يأتي عرفة يقف فيها يبتغي الأجر, ولا المزدلفة, ولا رمي الجمار, وقد ضربوا من البلدان لهذه الأيام التي فيها المنافع, وإنما منافعها إلى تلك الأيام, وهي الأجل المسمى, ثم محلّها حين تنقضي تلك الأيام إلى البيت العتيق.

قال أبو جعفر: وقد دللنا قبل على أن قول الله تعالى ذكره: وَمَنْ يُعَظّمْ شَعائِرَ اللّهِ معنيّ به: كلّ ما كان من عمل أو مكان جعله الله علما لمناسك حجّ خلقه, إذ لمن يخصص من ذلك جلّ ثناؤه شيئا في خبر ولا عقل. وإذ كان ذلك كذلك فمعلوم أن معنى قوله: لَكُمْ فِيها مَنافِعُ إلى أجَلٍ مُسَمّى في هذه الشعائر منافع إلى أجل مسمى, فما كان من هذه الشعائر بدنا وهديا, فمنافعها لكم من حين تملكون إلى أن أوجبتموها هدايا وبدنا, وما كان منها أماكن ينسك لله عندها, فمنافعها التجارة لله عندها والعمل بما أمر به إلى الشخوص عنها, وما كان منها أوقاتا بأن يُطاع الله فيها بعمل أعمال الحجّ وبطلب المعاش فيها بالتجارة, إلى أن يطاف بالبيت في بعض, أو يوافى الحرم في بعض ويخرج عن الحرم في بعض.

وقال اختلف الذين ذكرنا اختلافهم في تأويل قوله: لَكُمْ فِيها مَنافِعُ إلى أجَلٍ مُسَمّى في تأويل قوله: ثُمّ مَحِلّها إلى البَيْتِ العَتِيقِ فقال الذين قالوا عني بالشعائر في هذا الموضع البُدْن: معنى ذلك ثم محل البدن إلى أن تبلغ مكة, وهي التي بها البيت العتيق. ذكر من قال ذلك:

19034ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: أخبرنا هشيم, قال: أخبرنا حجاج, عن عطاء: ثُمّ مَحِلّها إلى البَيْتِ العَتِيقِ إلى مكة.
19035ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: ثُمّ مَحِلّها إلى البَيْتِ العَتِيقِ يعني محل البدن حين تسمى إلى البيت العتيق.
19036ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جرَيج, عن مجاهد, قال: ثُمّ مَحِلّها حين تسمى هديا إلى البيت العتيق, قال: الكعبة أعتقها من الجبابرة.
فوجه هؤلاء تأويل ذلك إلى ثَمّ منحر البدن والهدايا التي أوجبتموها إلى أرض الحرم. وقالوا: عني بالبيت العتيق أرض الحرم كلها. وقالوا: وذلك نظير قوله: فَلا يَقْرَبُوا المَسْجِدَ الحَرَامَ والمراد: الحرم كله.
وقال آخرون: معنى ذلك: ثم محلكم أيها الناس من مناسك حجكم إلى البيت العتيق أن تطوفوا به يوم النحر بعد قضائكم ما أوجبه الله عليكم في حجكم. ذكر من قال ذلك:
19037ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا يزيد بن هارون, قال: أخبرنا داود بن أبي هند, عن محمد بن أبي موسى: ثُمّ مَحِلّها إلى البَيْتِ العَتِيقِ قال: محلّ هذه الشعائر كلها الطواف بالبيت.
وقال آخرون: معنى ذلك: ثم محلّ منافع أيام الحجّ إلى البيت العتيق بانقضائها. ذكر من قال ذلك:
19038ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: ثُمّ مَحِلّها إلى البَيْتِ العَتِيقِ حين تنقضي تلك الأيام, أيام الحجّ إلى البيت العتيق.
وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ثم محلّ الشعائر التي لكم فيها منافع إلى أجل مسمى إلى البيت العتيق, فما كان من ذلك هديا أو بدنا فبموافاته الحرم في الحرم, وما كان من نُسُك فالطواف بالبيت.
وقد بيّنا الصواب في ذلك من القول عندنا في معنى الشعائر.

الآية : 34

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلِكُلّ أُمّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً لّيَذْكُرُواْ اسْمَ اللّهِ عَلَىَ مَا رَزَقَهُمْ مّن بَهِيمَةِ الأنْعَامِ فَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُواْ وَبَشّرِ الْمُخْبِتِينَ }.
يقول تعالى ذكره: وَلِكُلّ أُمّةٍ ولكلّ جماعة سَلَف فيكم من أهل الإيمان بالله أيها الناس, جعلنا ذبحا يُهَرِيقون دمه لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللّهِ عَلى ما رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأنْعامِ بذلك لأن من البهائم ما ليس من الأنعام, كالخيل والبغال والحمير. وقيل: إنما قيل للبهائم بهائم لأنها لا تتكلم.
وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: جَعَلْنا مَنْسَكا قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
19039ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَلِكُلّ أُمّةٍ جَعَلْنا مَنْسَكا قال: إهراق الدماء لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللّهِ عَلَيْها.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.

وقوله: فَإِلهُكُمْ إلَهٌ وَاحِدٌ يقول تعالى ذكره: فاجتنبوا الرجس من الأوثان, واجتنبوا قول الزور, فإلهكم إله واحد لا شريك له, فإياه فاعبدوا وله أخلصوا الألوهة. وقوله: فَلَهُ أسْلِمُوا يقول: فلإلهكم فاخضعوا بالطاعة, وله فذلّوا بالإقرار بالعبودية.) وقوله: وَبَشّرِ المُخْبِتِينَ يقول تعالى ذكره: وبشر يا محمد الخاضعين لله بالطاعة, المذعنين له بالعبودية, المنيبين إليه بالتوبة. وقد بيّنا معنى الإخبات بشواهده فيما مضى من كتابنا هذا.

وقد اختلف أهل التأويل في المراد به في هذا الموضع, فقال بعضهم: أريد به: وبشّر المطمئنين إلى الله. ذكر من قال ذلك:

19040ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَبَشّرِ المُخْبِتِينَ قال: المطمئنين.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, قوله: وَبَشّرِ المُخْبِتِينَ المطمئنين إلى الله.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى. وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَبَشّرِ المُخْبِتِينَ قال: المطمئنين.

19041ـ حدثنا الحسن, قال: حدثنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, في قوله: وَبَشّرِ المُخْبِتِينَ قال: المتواضعين.

وقال آخرون في ذلك بما:

19042ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا محمد بن مسلم, عن عثمان بن عبد الله بن أوس, عن عمرو بن أوس, قال: المخبتون: الذين لا يَظْلمون, وإذا ظُلموا لم ينتصروا.

حدثني محمد بن عثمان الواسطي, قال: حدثنا حفص بن عمر, قال: حدثنا محمد بن مسلم الطائفي, قال: ثني عثمان بن عبد الله بن أوس, عن عمرو بن أوس مثله.

الآية : 35

القول في تأويل قوله تعالى: {الّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصّابِرِينَ عَلَىَ مَآ أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصّلاَةِ وَمِمّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ }.

فهذا من نعت المخبتين يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وبشّر يا محمد المخبتين الذين تخشع قلوبهم لذكر الله وتخضع من خشيته, وَجَلاً من عقابه وخوفا من سخطه. كما:

19043ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: الّذِينَ إذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ قال: لا تقسو قلوبهم. والصّابِرِينَ عَلى ما أصَابَهُمْ من شدّة في أمر الله, ونالهم من مكروه في جنبه. والمُقِيمِي الصّلاَةِ المفروضة. وَمِمّا رَزَقْناهُمْ من الأموال. يُنْفِقُونَ في الواجب عليهم إنفاقها فيه, في زكاة ونفقة عيال ومن وجبت عليه نفقته وفي سبيل الله.

الآية : 36

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مّن شَعَائِرِ اللّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُواْ اسْمَ اللّهِ عَلَيْهَا صَوَآفّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرّ كَذَلِكَ سَخّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلّكُمْ تَشْكُرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: والبُدْنَ وهي جمع بَدَنة, وقد يقال لواحدها: بَدَن, وإذا قيل بَدَن احتمل أن يكون جمعا وواحدا, يدلّ على أنه قد يقال ذلك للواحد قول الراجز:

عَلِيّ حِينَ تَمْلِكُ الأُمُورَاصَوْمَ شُهُورٍ وَجَبَتْ نُذُورَا
وَحَلْقَ رأسِي وَافِيا مَصْفُورَاوَبَدَنا مُدَرّعا مَوْفُورَا

والبَدَن: هو الضخم من كلّ شيء, ولذلك قيل لامرىء القيس بن النعمان صاحب الخورنق والسّدِير: البَدَن, لضخمه واسترخاء لحمه, فإنه يقال: قد بَدّن تبدينا. فمعنى الكلام: والإبل العظام الأجسام الضخام, جعلناها لكم أيها الناس من شعائر الله يقول: من أعلام أمر الله الذي أمركم به في مناسك حجكم إذا قلدتموها وجللتموها وأشعرتموها, علم بذلك وشعر أنكم فعلتم ذلك من الإبل والبقر. كما:

19044ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى, عن ابن جُرَيج, قال: قال عطاء: والبُدْنَ جَعَلْناها لَكُمْ مِن شَعائِرِ اللّهِ قال: البقرة والبعير.

وقوله: لَكُمْ فِيها خَيْرٌ يقول: لكم في البدن خير وذلك الخير هو الأجر في الآخرة بنحرها والصدقة بها, وفي الدنيا: الركوب إذا احتاج إلى ركوبها.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19045ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: لَكُمْ فِيها خَيْرٌ قال: أجر ومنافع في البدن.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.

19046ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن إبراهيم: لَكُمْ فِيها خَيْرٌ قال: اللبن والركوب إذا احتاج.

حدثنا عبد الحميد بن بيان, قال: أخبرنا إسحاق, عن شريك, عن منصور, عن إبراهيم: لَكُمْ فِيها خَيْرٌ قال: إذا اضطررت إلى بدنتك ركبتها وشربت لبنها.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن إبراهيم: لَكُمْ فِيها خَيْرٌ من احتاج إلى ظهر البدنة ركب, ومن احتاج إلى لبنها شرب.

وقوله: فاذْكُرُوا اسْمَ اللّهِ عَلَيْها صَوَافّ يقول تعالى ذكره: فاذكروا اسم الله على البدن عند نحركم إياها صوافّ.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الأمصار: فاذْكُرُوا اسْمَ اللّهِ عَلَيْها صَوَافّ بمعنى مصطفة, واحدها: صافة, وقد صفت بين أيديها. ورُوي عن الحسن ومجاهد وزيد بن أسلم وجماعة أخر معهم, أنهم قرءوا ذلك: «صَوَافِيَ» بالياء منصوبة, بمعنى: خالصة لله لا شريك له فيها صافية له. وقرأ بعضهم ذلك: «صَوَافٍ» بإسقاط الياء وتنوين الحرف, على مثال: عوارٍ وعوادٍ. ورُوي عن ابن مسعود أنه قرأه: «صَوَافِنٌ» بمعنى: مُعْقلة.

والصواب من القراءة في ذلك عندي قراءة من قرأه بتشديد الفاء ونصبها, لإجماع الحجة من القرّاء عليه بالمعنى الذي ذكرناه لمن قرأه كذلك. ذكر من تأوّله بتأويل من قرأه بتشديد الفاء ونصبها:

19047ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا جابر بن نوح, عن الأعمش, عن أبي ظبيان, عن ابن عباس, في قوله: فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافّ قال: الله أكبر الله أكبر, اللهمّ منك ولك. صوافّ: قياما على ثلاث أرجل. فقيل لابن عباس: ما نصنع بجلودها؟ قال: تصدّقوا بها, واستمتعوا بها.

19048ـ حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم, قال: حدثنا أيوب بن سويد, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن أبي ظبيان, عن ابن عباس, في قوله: صَوَافّ قال: قائمة, قال: يقول: الله أكبر, لا إله إلا الله, اللهمّ منك ولك.

حدثني محمد بن المثنى, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن شعبة, عن سليمان, عن أبي ظبيان, عن ابن عباس: فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافّ قال: قياما على ثلاث قوائم معقولة باسم الله, الله أكبر, اللهمّ منك ولك.

19049ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا حصين, عن مجاهد, عن ابن عباس, في قوله: صَوَافّ قال: معقولة إحدى يديها, قال: قائمة على ثلاث قوائم.

19050ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافّ يقول: قياما.

19051ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافّ والصوافّ: أن تعقل قائمة واحدة, وتصفها على ثلاث فتنحرها كذلك.

19052ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا يعلى بن عطاء, قال: أخبرنا بجير بن سالم, قال: رأيت ابن عمر وهو ينحر بدنته, قال: فقال: صَوَافّ كما قال الله, قال: فنحرها وهي قائمة معقولة إحدى يديها.

19053ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: أخبرنا ليث, عن مجاهد, قال: الصّوافّ: إذا عقلت رجلها وقامت على ثلاث.

19054ـ قال: حدثنا ليث, عن مجاهد, في قوله: فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافّ قال: صوافّ بين أوظافها.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: صَوَافّ قال: قيام صواف على ثلاث قوائم.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد: فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافّ قال: بين وظائفها قياما.

19055ـ حدثنا ابن البرقي, قال: حدثنا ابن أبي مريم, قال: أخبرنا يحيى بن أيوب, عن خالد بن يزيد, عن ابن أبي هلال, عن نافع, عن عبد الله: أنه كان ينحر البُدن وهي قائمة مستقبلة البيت تصفّ أيديها بالقيود, قال: هي التي ذكر الله: فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافّ.

19056ـ حدثنا ابن حميد, قال: ثني جرير, عن منصور, عن رجل, عن أبي ظبيان, عن ابن عباس, قال: قلت له: قول الله فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ

عَلَـيْها صَوَافّ؟ قال: إذا أردت أن تنـحر البدنة فـانـحرها, وقل: اللـه أكـبر, لا إله إلا الله, اللهم منك ولك, ثم سمّ ثم انـحرها. قلت: فأقول ذلك للأضحية؟ قال: وللأضحية.

ذكر من تأوّله بتأويـل من قرأه: «صَوَافِـيَ» بـالـياء:

19057ـ حدثنا ابن عبد الأعلـى, قال: حدثنا الـمعتـمر, عـن أبـيه, عـن الـحسن أنه قال: «فـاذْكُرُوا اسْمَ اللّهِ عَلَـيْها صَوَافِـيَ» قال: مُخْـلَصين.

قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, قال: قال الـحسن: «صَوَافِـيَ»: خالصة.

حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمـر, قـال: قـال الـحسن: «صَوَافِـيَ»: خالصة لله.

19058ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حـدثنا سفـيان, عن قـيس بن مسلـم, عـن شقـيق الضبـيّ: «فـاذْكُرُوا اسْـمَ اللّـهِ عَلَـيْها صَوَافِـيَ» قال: خالصة.

19059ـ قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا أيـمن بن نابل, قال: سألت طاوسا عن قوله: «فـاذْكُرُوا اسْمَ اللّهِ عَلَـيْها صَوَافِـيَ» قال: خالصا.

19060ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فـي قوله: «فـاذْكُرُوا اسْمَ اللّهِ عَلَـيْها صَوَافِـيَ» قال: خالصة لـيس فـيها شـريك كما كان الـمشركون يفعلـون, يجعلـون للـه ولآلهتهـم صوافـي صافـية للـه تعالـى.

ذكر من تأوّله بتأويـل من قرأه «صَوَافِنَ»:

19061ـ حدثنا ابن عبد الأعلـى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة: فـي حرف ابن مسعود: «فـاذْكُرُوا اسْـمَ اللّـهِ عَلَـيْها صَـوَافنَ»: أي معقلـة قـياما.

حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عـن قَتـادة: فـي حرف ابن مسعود: «فـاذْكُرُوا اسْمَ اللّهِ عَلَـيْها صَوَافنَ» قال: أي معقلة قـياما.

19062ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حـدثنا سفـيان, عن منصور, عن مـجاهد, قال: من قرأهـا «صَـوَافِنَ» قـال: معقولـة. قـال: ومن قرأها: صَوَافّ قال: تصفّ بـين يديها.

19063ـ حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: أخبرنا عبـيد, قال: سمعت الضحاك يقول فـي قوله: فـاذْكُرُوا اسْـمَ اللّـهِ عَلَـيْها صَـوَافّ يعنـي صـوافن, والبدنـة إذا نـحرت عقلـت يـد واحـدة, فكـانت علـى ثلاث, وكذلك تُنـحر.

قال أبو جعفر: وقد تقدم بـيان أولـى هذه الأقوال بتأويـل قـوله: صَـوَافّ وهي الـمصطفة بـين أيديها الـمعقولة إحدى قوائمها.

وقوله: فإذَا وَجَبَتْ جُنُوبُها يقول: فإذا سقطت فوقعت جنوبها إلـى الأرض بعـد النـحر, فَكُلُـوا مِنْها وهـو مـن قـولهم: قـد وجبـت الشـمس: إذا غـابت فسقطت للتغيب, ومنه قول أوس ابن حجر:

أَلَـمْ تُكْسَفِ الشّمْسُ والبَدْرُ والْكوَاكِبُ للْـجَبَلِ الوَاجِبِ

يعنـي بـالواجب: الواقع.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

19064ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: ثني عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: فإذَا وَجَبَتْ جُنُوبُها سقطت إلى الأرض.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.
19065ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, في قوله: فإذَا وَجَبَتْ جُنُوبُها قال: إذا فرغت ونُحِرت.
19066ـ حدثني محمد بن عمارة, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قال: أخبرنا إسرائيل, عن أبي يحيى, عن مجاهد: فإذَا وَجَبَتْ نحرت.
19067ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: فإذَا وَجَبَتْ جُنُوبُها قال: إذا نحرت.
19068ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فإذَا وَجَبَتْ جُنُوبُها قال: فإذا ماتت.
وقوله: فَكُلُوا مِنْها وهذا مخرجه مخرج الأمر ومعناه الإباحة والإطلاق يقول الله: فإذا نحرت فسقطت ميتة بعد النحر فقد حلّ لكم أكلها, وليس بأمر إيجاب.
وكان إبراهيم النخعي يقول في ذلك ما:
19069ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن إبراهيم, قال: المشركون كانوا لا يأكلون من ذبائحهم, فرخص للمسلمين, فأكلوا منها, فمن شاء أكل ومن شاء لم يأكل.
19070ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا سفيان, عن حصين, عن مجاهد, قال: إن شاء أكل وإن شاء لم يأكل, فهي بمنزلة: فإذَا حَلَلْتُمْ فاصْطادُوا.
19071ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: فَكُلُوا مِنْها وأطْعِمُوا القانِعَ والمُعْتَرّ يقول: يأكل منها ويطعم.
19072ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا يونس, عن الحسن. وأخبرنا مغيرة, عن إبراهيم, وأخبرنا حجاج, عن عطاء. وأخبرنا حصين, عن مجاهد, في قوله: فَكُلُوا مِنْها قال: إن شاء أكل وإن شاء لم يأكل, قال مجاهد: هي رخصة, هي كقوله: فإذَا قُضِيَتِ الصّلاةُ فانْتَشِرُوا فِي الأرْضِ ومثل قوله: وَإذَا حَلَلْتُمْ فاصْطادُوا, وقوله: وأطْعِمُوا القانِعَ والمُعْتَرّ يقول: فأطعموا منها القانع.
واختلف أهل التأويل في المعنيّ بالقانع والمعترّ, فقال بعضهم: القانع الذي يقنع بما أعطي أو بما عنده ولا يسأل, والمعترّ: الذي يتعرّض لك أن تطعمه من اللحم ولا يسأل. ذكر من قال ذلك:
19073ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, في قوله: وأطْعِمُوا القانِعَ والمُعْتَرّ قال: القانع: المستغني بما أعطيته وهو في بيته, والمعترّ: الذي يتعرّض لك ويلمّ بك أن تطعمه من اللحم ولا يسأل. وهؤلاء الذين أمر أن يطعموا من البُدن.

19074ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن ليث, عن مجاهد, قال: القانع: جارك الذي يقنع بما أعطيته, والمعتر: الذي يتعرّض لك ولا يسألك.
19075ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني أبو صخر, عن القرظي أنه كان يقول في هذه الآية: وأطْعِمُوا القانِعَ والمُعْتَرّ القانع: الذي يقنع بالشيء اليسير يرضى به, والمعتر: الذي يمرّ بجانبك لا يسأل شيئا فذلك المعتر.
وقال آخرون: القانع: الذي يقنع بما عنده ولا يسأل والمعتر: الذي يعتريك فيسألك. ذكر من قال ذلك:
19076ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: القانِعَ والمُعْتَرّ يقول: القانع المتعفف والمُعْتَرّ يقول: السائل.
19077ـ حدثنا ابن أبي الشوارب, قال: حدثنا عبد الواحد, قال: حدثنا خصيف, قال: سمعت مجاهدا يقول: القانع: أهل مكة والمعتر: الذي يعتريك فيسألك.
حدثني أبو السائب, قال: حدثنا عطاء, عن خصيف, عن مجاهد مثله.
19078ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا مسلم بن إبراهيم, قال: ثني كعب بن فروخ, قال: سمعت قَتادة يحدث, عن عكرمة, في قوله: القانِعَ والمُعْتَرّ قال: القانع: الذي يقعد في بيته, والمعتر: الذي يسأل.
19079ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الأعلى, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قال: القانع: المتعفف الجالس في بيته والمعتر: الذي يعتريك فيسألك.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: القانِعَ والمُعْتَرّ قال: القانع: الطامع بما قِبلك ولا يسألك والمعتر: الذي يعتريك ويسألك.
19080ـ حدثني نصر بن عبد الرحمن, قال: حدثنا المحاربي, عن سفيان, عن منصور, عن مجاهد وإبراهيم قالا: القانع: الجالس في بيته والمعتر: الذي يسألك.
19081ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الأعلى, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة في القانع والمعتر, قال: القانع: الذي يقنع بما في يديه والمعتر: الذي يعتريك, ولكليهما عليك حقّ يا ابن آدم.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن مجاهد: فَكُلُوا منْها وأطْعمُوا القانِعَ والمُعْتَرّ قال: القانع الذي يجلس في بيته. والمعتر: الذي يعتريك.
وقال آخرون: القانع: هو السائل, والمعتر: هو الذي يعتريك ولا يسأل. ذكر من قال ذلك:
19082ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الأعلى, قال: حدثنا يونس, عن الحسن, قال: القانع: الذي يقنع إليك ويسألك والمعتر: الذي يتعرّض لك ولا يسألك.
19083ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن منصور بن زاذان, عن الحسن, في هذه الآية: وأطْعِمُوا القانِعَ

والـمُعْتَرّ قـال: القـانع: الـذي يقنـع, والـمعترّ: الـذي يعتريـك. قـال: وقـال الكلبـي: القانع: الذي يسألك والـمعترّ: الذي يعتريك, يتعرّض ولا يسألك.

حدثنـي نصـر بـن عبـد الرحمـن الأودي, قـال: حـدثنا الـمحاربـي, عـن سفـيان, عن يونس, عن الـحسن, فـي قوله: وأطْعِمُوا القانِعَ والـمُعْتَرّ قال: القانع: الذي يسألك, والـمعترّ: الذي يتعرّض لك.

19084ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, عـن أبـيه, قـال: قـال سعيد بن جُبـير: القانع: السائل.

19085ـ حدثنـي مـحمد بن إسماعيـل الأحمسي, قال: ثنـي غالب, قـال: ثنـي شريك, عن فرات القزاز, عن سعيد بن جُبـير, فـي قوله: القـانِعَ قـال: هو السائل, ثم قال: أما سمعت قول الشماخ.

لَـمَالُ الـمَرْءِ يُصْلِـحُهُ فَـيُغْنمَفـاقَرهُ أعَفّ مِنَ القُنُوعِ

قال: من السؤال.

حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا ابن علـية, قال: أخبرنا يونس, عن الـحسن, أنه قال فـي قوله: وأطْعِمُوا القانِعَ والـمُعْتَرّ قـال: القـانع: الـذي يقنـع إلـيك يسألك, والـمعترّ: الذي يريك نفسه ويتعرّض لك ولا يسألك.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قـال: حـدثنا هشـام, قـال: أخبرنـا منصور ويونس, عن الـحسن, قال: القانع: السائل, والـمعترّ: الذي يتعـرّض ولا يسأل.

19086ـ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرنـي عبد اللـه بـن عياش, قال: قال زيد بن أسلـم: القانع: الذي يسأل الناس.

وقال آخرون: القانع: الـجار, والـمعترّ: الذي يعتريك من الناس. ذكر مـن قال ذلك:

19087ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: سمعت لـيثا, عن مـجاهد, قال: القانع: جارك وإن كان غنـيّا, والـمعترّ: الذي يعتريك.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن ابن أبـي نـجيح, قال: قال مـجاهد, فـي قوله: وأطْعِمُوا القانِعَ والـمُعْتَرّ قال: القانع: جارك الغنـيّ, والـمعترّ: من اعتراك من الناس.

19088ـ حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا هشيـم, قـال: أخبرنـا مغيـرة, عـن إبراهيـم, فـي قوله: وأطْعِمُـوا القـانِعَ والـمُعْتَرّ أنـه قـال: أحـدهما السـائل, والآخر الـجار.

وقال آخرون: القانع: الطوّاف, والـمعترّ: الصديق الزائـر. ذكـر مـن قـال ذلك:

19089ـ حدثنـي مـحمد بن عبد اللـه بـن عبـد الـحكم, قـال: ثنـي أبـي وشعيب بن اللـيث, عن اللـيث, عن خالد بن يزيد, عن ابن أبـي هلال, قـال: قـال زيـد بـن أسلـم, فـي قـول اللـه تعالـى: القـانِعَ والـمُعْتَرّ فـالقانع: الـمسكين الذي يطوف, والـمعترّ: الصديق والضعيف الذي يزور.

وقال آخرون: القانع: الطامع, والـمعترّ: الذي يعترّ بـالبدن. ذكر مـن قـال ذلك:

19090ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, ق ال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء جميعـا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: القانِعَ قـال: الطـامع والـمعترّ: مـن يعترّ بـالبدن من غنـيّ أو فقـير.

19091ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: أخبرني عمر بن عطاء, عن عكرِمة, قال: القانع: الطامع.
وقال آخرون: القانع: هو المسكين, والمعترّ: الذي يتعرّض للحم. ذكر من قال ذلك:
19092ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وأطْعِمُوا القانِعَ والمُعْتَرّ قال: القانع: المسكين, والمعترّ: الذي يعترّ القوم للحمهم وليس بمكسين, ولا تكون له ذبيحة, يجيء إلى القوم من أجل لحمهم, والبائس الفقير: هو القانع.
وقال آخرون بما:
19093ـ حدثنا به ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن فرات, عن سعيد بن جُبير, قال: القانع: الذي يقنع, والمعترّ: الذي يعتريك.
19094ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن يونس, عن الحسن بمثله.
19095ـ قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن إبراهيم ومجاهد: القانِعَ والمُعْتَرّ القانع: الجالس في بيته, والمعترّ: الذي يتعرّض لك.
وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: عني بالقانع: السائل لأنه لو كان المعنيّ بالقانع في هذا الموضع المكتفي بما عنده والمستغني به, لقيل: وأطعموا القانع والسائل, ولم يقل: وأطعموا القانع والمعترّ. وفي إتباع ذلك قوله: والمعترّ الدليل الواضح على أن القانع معنيّ به السائل, من قولهم: قنع فلان إلى فلان, بمعنى سأله وخضع إليه, فهو يقنع قنوعا ومنه قول لبيد:
وأعْطانِي المَوْلى عَلى حِينَ فَقْرِهِإذَا قالَ أبْصِرْ خَلّتِي وَقُنُوعي
وأما القانع الذي هو بمعنى المكتفي, فإنه من قَنِعْت بكسر النون أقنع قناعة وقنعا وقنعانا. وأما المعترّ: فإنه الذي يأتيك معترّا بك لتعطيه وتطعمه.
وقوله: كَذلكَ سَخّرْناها لَكُمْ يقول هكذا سخرنا البدن لكم أيها الناس لَعَلّكُمْ تَشكُرونَ يقول: لتشكروني على تسخيرها لكم.

الآية : 37

القول في تأويل قوله تعالى: {لَن يَنَالَ اللّهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَآؤُهَا وَلَـكِن يَنَالُهُ التّقْوَىَ مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبّرُواْ اللّهَ عَلَىَ مَا هَدَاكُمْ وَبَشّرِ الْمُحْسِنِينَ }.
يقول تعالى ذكره: (لن) يصل إلى الله لحوم بدنكم ولا دماؤها, ولكن يناله اتقاؤكم إياه إن اتقيتموه فيها فأردتم بها وجهه وعملتم فيها بما ندبكم إليه وأمركم به في أمرها وعظمتم بها حرماته.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
19096ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى, عن سفيان, عن منصور, عن إبراهيم, في قول الله: لَنْ يَنالَ اللّهَ لُحُومُها وَلا دِماؤُها وَلَكِنْ يَنالُهُ التّقْوَى مِنْكُمْ قال: ما أريد به وجه الله.
19097ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: لَنْ يَنالَ اللّهَ لُحُومُها وَلا دِماؤُها وَلَكِنْ يَنالُهُ التّقْوَى مِنْكُمْ قال: إن اتقيت الله في هذه البُدن, وعملت فيها لله, وطلبت ما قال الله تعظيما

لشعائر الله ولحرمات الله, فإنه قال: وَمَنْ يُعَظّمْ شَعائِرَ اللّهِ فإنّهَا مِنْ تَقْوَى القُلُوبِ قال: وَمَنْ يُعَظّمْ حُرُماتِ اللّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبّهِ قال: وجعلته طيباً, فذلك الذي يتقبل الله. فأما اللحوم والدماء, فمن أين تنال الله؟

وقوله: كَذلكَ سَخّرَها لَكُمْ يقول: هكذا سخر لكم البُدن لِتُكَبّرُوا اللّهَ عَلى ما هَداكُمْ يقول: كي تعظموا الله على ما هداكم, يعني على توفيقه إياكم لدينه وللنسك في حجكم. كما:

19098ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: لِتُكَبّرُوا اللّهَ عَلى ما هَداكُمْ قال: على ذبحها في تلك الأيام.

وَبَشّرِ المُحْسِنِينَ يقول: وبشّر يا محمد الذين أطاعوا الله فأحسنوا في طاعتهم إياه في الدنيا بالجنة في الآخرة.

الآية : 38

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ اللّهَ يُدَافِعُ عَنِ الّذِينَ آمَنُوَاْ إِنّ اللّهَ لاَ يُحِبّ كُلّ خَوّانٍ كَفُورٍ }.

يقول تعالى ذكره: إن الله يدفع غائلة المشركين عن الذين آمنوا بالله وبرسوله, إن الله لا يحبّ كلّ خوان يخون الله فيخالف أمره ونهيه ويعصيه ويطيع الشيطان كَفُورٍ يقول: جَحود لنعمه عنده, لا يعرف لمنعمها حقه فيشكره عليها. وقيل: إنه عني بذلك دفع الله كفار قريش عمن كان بين أظهرهم من المؤمنين قبل هجرتهم.

الآية : 39

القول في تأويل قوله تعالى: {أُذِنَ لِلّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنّ اللّهَ عَلَىَ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ }.

يقول تعالى ذكره: أَذن الله للمؤمنين الذين يقاتلون المشركين في سبيله بأن المشركين ظلموهم بقتالهم.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء المدينة: أُذِنَ بضم الألف, يُقاتَلُونَ بفتح التاء بترك تسمية الفاعل في «أُذِنَ» و«يُقاتَلُون» جميعا. وقرأ ذلك بعض الكوفيين وعامة قرّاء البصرة: أَذِنَ بترك تسمية الفاعل, و«يُقاتِلُونَ» بكسر التاء, بمعنى يقاتل المأذون لهم في القتال المشركين. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين وبعض المكيين: «أَذِنَ» بفتح الألف, بمعنى: أذن الله, و«يُقاتِلُونَ» بكسر التاء, بمعنى: إن الذين أذن الله لهم بالقتال يقاتلون المشركين. وهذه القراءات الثلاث متقاربات المعنى لأن الذين قرءوا أُذِنَ على وجه ما لم يسمّ فاعله يرجع معناه في التأويل إلى معنى قراءة من قرأه على وجه ما سمي فاعله. وإن من قرأ «يُقاتِلونَ ويُقاتَلُونَ» بالكسر أو الفتح, فقريب معنى أحدهما من معنى الآخر وذلك أن من قاتل إنسانا فالذي قاتله له مقاتل, وكل واحد منهما مقاتل. فإذ كان ذلك كذلك فبأية هذه القراءات قرأ القاريء فمصيب الصواب.

غير أن أحبّ ذلك إليّ أن أقرأ به: «أَذِنَ» بفتح الألف, بمعنى: أذن الله, لقرب ذلك من قوله: إنّ اللّهَ لا يُحِبّ كُلّ خَوّانٍ كَفُورٍ أذن الله في الذين لا يحبهم للذين يقاتلونهم بقتالهم, فيردّ «أَذِنَ» على قوله: إنّ اللّهَ لا يُحِبّ, وكذلك أحبّ القراءات إليّ في «يُقاتِلُونَ» كسر التاء, بمعنى: الذين

يقاتلون من قد أخبر الله عنهم أنه لا يحبهم, فيكون الكلام متصلاً معنى بعضه ببعض.

وقد اختُلف في الذين عُنوا بالإذن لهم بهذه الآية في القتال, فقال بعضهم: عني به: نبيّ الله وأصحابه. ذكر من قال ذلك:

19099ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بأنّهُمْ ظُلِمُوا وَإنّ اللّهَ عَلى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ يعني محمدا وأصحابه إذا أُخرجوا من مكة إلى المدينة يقول الله: فإنّ اللّهَ عَلى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ وقد فعل.

19100ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن مسلم البطين, عن سعيد بن جُبير, قال: لما خرج النبيّ صلى الله عليه وسلم من مكة, قال رجل: أخرجوا نبيهم فنزلت: أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بأنّهُمْ ظُلِمُوا... الآية, الّذِينَ أُخرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بغيرِ حقَ النبيّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

19101ـ حدثنا يحيى بن داود الواسطي, قال: حدثنا إسحاق بن يوسف, عن سفيان, عن الأعمش, عن مسلم, عن سعيد بن جُبير, عن ابن عباس, قال: لما خرج النبيّ صلى الله عليه وسلم من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم, إنا لله وإنا إليه راجعون, ليهلكُنّ قال ابن عباس: فأنزل الله: أُذِنَ لِلَّذِينَ يَقاتَلونَ بأنّهُمْ ظُلِمُوا وَإنّ اللّهَ عَلى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ قال أبو بكر: فعرفت أنه سيكون قتال. وهي أوّل آية نزلت.

قال ابن داود: قال ابن إسحاق: كانوا يقرءون: أُذِنَ ونحن نقرأ: «أَذِنَ».

19102ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا إسحاق, عن سفيان, عن الأعمش, عن مسلم, عن سعيد بن جُبير, عن ابن عباس, قال: لما خرج النبيّ صلى الله عليه وسلم, ثم ذكر نحوه, إلا أنه قال: فقال أبو بكر: قد علمت أنه يكون قتال. وإلى هذا الموضع انتهى حديثه, ولم يزد عليه.

حدثني محمد بن خلف العسقلاني, قال: حدثنا محمد بن يوسف, قال: حدثنا قيس بن الربيع, عن الأعمش, عن مسلم, عن سعيد بن جُبير, عن ابن عباس, قال: لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة, قال أبو بكر: إنا لله وإنا إليه راجعون, أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم, والله ليهلكُنّ جميعا فلما نزلت: أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بأنّهُمْ ظُلِمُوا... إلى قوله: الّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بغَيْرِ حَقّ عرف أبو بكر أنه سيكون قتال.

19103ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: أُذِنَ لِلّذِينَ يُقاتَلُونَ بأنّهُمْ ظُلِمُوا قال: أذن لهم في قتالهم بعد ما عفا عنهم عشر سنين. وقرأ: الّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بغَيْرِ حَقّ وقال: هؤلاء المؤمنون.

19104ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول, في قوله: الّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بغَيْرِ حَقّ.

وقال آخرون: بل عُني بهذه الآية قوم بأعيانهم كانوا خرجوا من دار الحرب يريدون الهجرة, فمُنِعوا من ذلك. ذكر من قال ذلك:

19105ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: أُذِنَ لِلّذِينَ يُقاتَلُونَ بأنّهُمْ

ظُلِـمُوا قال: أناس مؤمنون خرجوا مهاجرين من مكة إلـى الـمدينة, فكـانوا يـمنعون, فأذن اللّهِ للـمؤمنـين بقتال الكفـار, فقاتلوهم.

19106ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جُرَيج, عن مـجاهد, فـي قوله: أُذِنَ للّذِينَ يُقاتَلُونَ بأنّهُمْ ظُلِـمُوا قـال: نـاس من الـمؤمنـين خرجوا مهاجرين مـن مكـة إلـى الـمدينة, وكـانوا يـمنعون, فأدركهم الكفـار, فأذن للـمؤمنـين بقتال الكفـار فقاتلوهم. قال ابـن جُرَيـج: يقول: أوّل قتال أذن الله به للـمؤمنـين.

19107ـ حدثنا ابن عبد الأعلـى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة: فـي حرف ابن مسعود: «أُذِنَ للّذِينَ يُقاتَلُونَ فـي سَبِـيـلِ اللّهِ» قـال قَتـادة: وهي أوّل آية نزلت فـي القتال, فأذن لهم أن يقاتلوا.

19108ـ حدثنا الـحَسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن معمر, عـن قَتـادة, فـي قوله: أُذِنَ للّذِينَ يُقاتَلُونَ بأنّهُمْ ظُلِـمُوا قـال: هـي أوّل آيـة أنزلـت فـي القتال, فأذن لهم أن يقاتلوا.

وقد كان بعضهم يزعم أن الله إنـما قال: أذن للذين يقاتلون بـالقتال مـن أجل أن أصحاب رسول الله صلى الله عليـه وسـلم, كـانوا اسـتأذنوا رسـول الله صلى الله عليه وسلم فـي قتل الكفـار إذَا آذوهم واشتدّوا علـيهم بـمكة قبل الهجرة غيـلة سرّا فأنزل الله فـي ذلك: إنّ اللّهَ لا يُحِبّ كُلّ خَوّانٍ كَفُـورٍ فَلَـمّا هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلـى الـمدينة, أطلـق لهم قتلهم وقتالهم, فقال: أُذِنَ للّذِينَ يُقاتَلُونَ بأنّهُمْ ظُلِـمُوا. وهذا قـول ذكـر عن الضحاك بن مزاحم من وجه غير ثبت.

وقوله: وَإنّ اللّهَ عَلـى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ يقول جلّ ثناؤه: وإن الله علـى نصر الـمؤمنـين الذين يقـاتلون فـي سبيـل اللـه لقـادر, وقـد نصـرهم فـأعزّهم ورفعهم وأهلك عدوّهم وأذلهم بأيديهم.

الآية : 40

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {الّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقّ إِلاّ أَن يَقُولُواْ رَبّنَا اللّهُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النّـاسَ بَعْضَـهُمْ بِبَعْـضٍ لّهُـدّمَتْ صَـوَامِعُ وَبِيَـعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسمُ اللّهِ كَثِيـراً وَلَيَنصُـرَنّ اللّـهُ مَـن يَنصُـرُهُ إِنّ اللّهَ لَقَوِيّ عَزِيزٌ }.

يقول تعالـى ذكره: أذن للذين يقاتلون الّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بِغَيْرِ حَقّ ف «الذين» الثانـية ردّ علـى «الـذين» الأولـى. وعنـى بـالـمخرجين مـن دورهم: الـمؤمنـين الذين أخرجهم كفـار قريـش مـن مكـة. وكـان إخراجهـم إياهم من دورهم وتعذيبهم بعضـهم علـى الإيـمان بـالله ورسـوله, وسـبّهم بعضهم بألسنتهم ووعيدهم إيـاهم, حتـى اضـطرّوهم إلـى الـخروج عنهـم. وكان فعلهم ذلك بهم بغير حقّ لأنهم كـانوا علـى بـاطل والـمؤمنون علـى الـحقّ, فلذلك قال جلّ ثناؤه: الّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بغَيْـرِ حَـقّ. وقـوله: إلا أنْ يَقُولُوا رَبّنا اللّهُ يقول تعالـى ذكره: لـم يخرجوا من ديارهم إلا بقـولهم: ربنا الله وحده لا شريك له ف «أنْ» فـي موضع خفض ردّا علـى البـاء فـي قوله: بِغَيْرِ حَقّ, وقد يجوز أن تكون فـي موضع نصب علـى وجه الاستثناء.

وقوله: وَلَوْلا دَفْعُ اللّهِ النّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ اختلف أهل التأويـل فـي معنى ذلك, فقال بعضهم: معنى ذلك: ولولا دفـع اللـه الـمشركين بـالـمسلـمين. ذكر من قال ذلك:

19109ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قوله: وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ دفع المشركين بالمسلمين.

وقال آخرون: معنى ذلك: ولولا القتال والجهاد في سبيل الله. ذكر من قال ذلك:

19110ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهَ النّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ قال: لولا القتال والجهاد.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولولا دفع الله بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن بعدهم من التابعين. ذكر من قال ذلك:

19111ـ حدثنا إبراهيم بن سعيد, قال: حدثنا يعقوب بن إبراهيم, عن سيف بن عمرو, عن أبي روق, عن ثابت بن عوسجة الحضْرميّ, قال: حدثني سبعة وعشرون من أصحاب عليّ وعبد الله منهم لاحق بن الأقمر, والعيزار بن جرول, وعطية القرظيّ, أن عليّا رضي الله عنه قال: إنما أنزلت هذه الآية في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لولا دفاع الله بأصحاب محمد عن التابعين لَهُدّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: لولا أن الله يدفع بمن أوجب قبول شهادته في الحقوق تكون لبعض الناس على بعض عمن لا يجوز قبول شهادته وغيره, فأحيا بذلك مال هذا ويوقي بسبب هذا إراقة دم هذا, وتركوا المظالم من أجله, لتظالَمَ النّاسُ فُهدمت صوامع. ذكر من قال ذلك:

19112ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ يقول: دفع بعضهم بعضا في الشهادة, وفي الحقّ, وفيما يكون من قبل هذا. يقول: لولاهم لأهلكت هذه الصوامع وما ذكر معها.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنه لولا دفاعه الناس بعضهم ببعض, لهُدم ما ذكر, من دفعه تعالى ذكره بعضَهم ببعض, وكفّه المشركين بالمسلمين عن ذلك ومنه كفه ببعضهم التظالم, كالسلطان الذي كفّ به رعيته عن التظالم بينهم ومنه كفّه لمن أجاز شهادته بينهم ببعضهم عن الذهاب بحقّ من له قِبله حق, ونحو ذلك. وكلّ ذلك دفع منه الناس بعضهم عن بعض, لولا ذلك لتظالموا, فهدم القاهرون صوامع المقهورين وبيَعهم وما سمّى جلّ ثناؤه. ولم يضع الله تعالى دلالة في عقل على أنه عني من ذلك بعضا دون بعض, ولا جاء بأن ذلك كذلك خبر يجب التسليم له, فذلك على الظاهر والعموم على ما قد بيّنته قبل لعموم ظاهر ذلك جميع ما ذكرنا.

وقوله: لَهُدّمَتْ صَوَامِعُ اختلف أهل التأويل في المعنيّ بالصوامع, فقال بعضهم: عُني بها صوامع الرهبان. ذكر من قال ذلك:

19113ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا عبد الوهاب, قال: حدثنا داود, عن رُفيع في هذه الآية: لَهُدّمَتْ صَوَامِعُ قال: صوامع الرهبان.

19114ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا,

عـن ابـن أبــي نــجيح, عـن مــجاهد, قـوله: لَهُـدّمَتْ صَـوَامِعُ قـال: صـوامع الرهبـان.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد: لَهُدّمَتْ صَوَامِعُ قال: صوامع الرهبـان.
19115ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله: لَهُدّمَتْ صَوَامِعُ قال: صوامع الرهبـان.
19116ـ حُدثت عن الـحسين, قال: حدثنا سمعت أبـا معاذ, يقول: أخبرنا عبـيد, قال: سمعت الضحاك يقول: فـي قوله: لَهُدّمَتْ صَوَامِعُ وهي صـوامع الصغار يبنونها.
وقال آخرون: بل هي صوامع الصابئين. ذكر من قال ذلك:
19117ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة: صَوَامِعُ قال: هي للصابئين.
حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عـن قَتـادة, مثله.
واختلفت القرّاء فـي قراءة قوله: لَهُدّمَتْ. فقرأ ذلك عامة قرّاء الـمدينة: «لَهُـدِمَتْ» خفــيفة. وقرأتـه عامــة قـرّاء أهـل الكوفـة والبصـرة: لَهُـدّمَتْ بـالتشديد بـمعنى تكرير الهدم فـيها مرّة بعد مرّة. والتشديد فـي ذلك أعجب القراءتـين إلـيّ. لأن ذلك من أفعال أهل الكفر بذلك.
وأما قوله وَبِـيَعٌ فإنه يعنـي بها: بـيع النصارى.
وقد اختلف أهل التأويـل فـي ذلك, فقال بعضهم مثل الذي قلنا فـي ذلك. ذكر من قال ذلك:
19118ـ حدثنـي مـحمد بن الـمثنى, قال: حدثنا عبد الأعلـى, قال: حدثنا داود, عن رُفـيع: وَبِـيَعٌ قال: بـيع النصارى.
19119ـ حدثنا ابن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قَتادة: وَبِـيَعٌ للنصارى.
حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عـن قتـادة, مثله.
19120ـ حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: أخبرنا عبـيد, قال: سمعت الضحاك يقول: البِـيَعُ: بـيع النصارى.
وقال آخرون: عُنـي بـالبـيع فـي هذا الـموضع: كنائس الـيهود. ذكر من قال ذلك:
19121ـ حدثنا مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقـاء جميعـا, عـن ابـن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قال: وَبِـيَعٌ قال: وكنائس.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد, مثله.
19122ـ وحدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فــي قوله: وَبِـيَعٌ قال: البِـيَعُ الكنائس.
قوله: وَصَلَوَاتٌ اختلف أهـل التأويــل فــي معنـاه, فقـال بعضـهم: عنــي بـالصلوات الكنائس. ذكر من قال ذلك:

19123ـ حدثني محمد سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, في قوله: وَصَلَوَاتٌ قال: يعني بالصلوات الكنائس.
19124ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَصَلَوَاتٌ: كنائس اليهود, ويسمون الكنيسة صَلُوتَا.
19125ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة: وَصَلَوَاتٌ كنائس اليهود.
حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, مثله.
وقال آخرون: عني بالصلوات مساجد الصابئين. ذكر من قال ذلك:
19126ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا عبد الأعلى, قال: حدثنا داود, قال: سألت أبا العالية عن الصلوات, قال: هي مساجد الصابئين.
19127ـ قال: حدثنا عبد الوهاب, قال: حدثنا داود, عن رُفيع, نحوه.
وقال آخرون: هي مساجد للمسلمين ولأهل الكتاب بالطرق. ذكر من قال ذلك:
19128ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَصَلَوَاتٌ قال: مساجد لأهل الكتاب ولأهل الإسلام بالطرق.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, نحوه.
19129ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَصَلَوَاتٌ قال: الصلوات صلوات أهل الإسلام, تنقطع إذا دخل العدوّ عليهم, انقطعت العبادة, والمساجد تهدم, كما صنع بختنصر.
وقوله: وَمَساجِدُ يُذْكَرُ فِيها اسْمُ اللَّهِ كَثِيرا اختلف في المساجد التي أريدت بهذا القول, فقال بعضهم: أريد بذلك مساجد المسلمين. ذكر من قال ذلك:
19130ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا عبد الوهاب, قال: حدثنا داود, عن رُفيع, قوله: وَمَساجِدُ قال: مساجد المسلمين.
19131ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, قال: حدثنا معمر, عن قَتادة: وَمَساجِدُ يُذْكَرُ فِيها اسْمُ اللَّهِ كَثِيرا قال: المساجد: مساجد المسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا.
حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن معمر, عن قَتادة, نحوه.
وقال آخرون: عني بقوله: وَمَساجِدُ: الصوامع والبيع والصلوات. ذكر من قال ذلك:
19132ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول, في قوله: وَمَساجِدُ يقول في كلّ هذا يذكر اسم الله كثيرا, ولم يخصّ المساجد.
وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول: الصلوات لا تهدم, ولكن حمله على فعل آخر, كأنه قال: وتركت صلوات. وقال بعضهم: إنما يعني:

مواضع الصلوات. وقال بعضهم: إنـما هـي صـلوات, وهـي كنـائس الـيهود, تُدعى بـالعبرانـية: صَلُوتَا.
وأولـى هذه الأقوال فـي ذلك بـالصواب قول من قال: معنى ذلك: لهدمت صوامع الرهبـان وبِـيعَ النصارى, وصلوات الـيهود, وهي كنائسـهم, ومسـاجد الـمسلـمين التـي يذكر فـيها اسم الله كثـيرا.
وإنـما قلنا هذا القول أولـى بتأويـل ذلك لأن ذلك هو الـمعروف فـي كلام العرب الـمستفـيض فـيهم, وما خـالفه مـن القـول وإن كـان لـه وجـه فغيـر مستعمل فـيـما وجهه إلـيه مَنْ وجهه إلـيه.
وقوله: وَلَـيَنْصُرَنّ اللّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ يقول تعالـى ذكره: ولـيعيننّ اللـه مـن يقاتل فـي سبيـله, لتكـون كلـمته العلـيا علـى عـدوّه فَنْصُـر اللـه عبـده: معونته إياه, ونَصْرُ العبد ربه: جهاده فـي سبـيـله, لتكون كلـمته العلـيا.
وقوله: إنّ اللّهَ لَقَوِيّ عَزِيزٌ يقول تعالـى ذكره: إن الله لقويّ علـى نصر من جاهد فـي سبـيـله من أهل ولايته وطاعته, عزيـز فـي مُلكـه, يقـول: منـيع فـي سلطانه, لا يقهره قاهر, ولا يغلبه غالب.

الآية : 41

القول فـي تأويـل قـوله تعالـى: {الّـذِينَ إِنْ مّكّنّـاهُمْ فِـي الأرْضِ أَقَـامُواْ الصّلاَةَ وَآتَوُاْ الزّكَـاةَ وَأَمَرُواْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلّهِ عَاقِبَـةُ الأُمُـورِ}.
يقول تعالـى ذكره: أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلـموا, الـذين إن مكّنـاهم فـي الأرض أقاموا الصـلاة. و«الـذين» هـا هنـا ردّ علـى «الـذين يقـاتلون». ويعنـي بقـوله: إنْ مَكّنّـاهُمْ فِـي الأرْضِ إن وَطّنّـا لهـم فـي البلاد, فقهـروا الـمشركين وغلبوهم علـيها, وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. يقـول: إن نصـرناهم علـى أعـدائهم وقهـروا مشـركي مكـة, أطـاعوا اللـه, فأقاموا الصلاة بحدودها وآتَوُا الزّكَاةَ يقول: وأعطوا زكاة أموالهم مَنْ جعلهـا الله له. وأمَرُوا بـالـمَعْرُوفِ يقول: ودعـوا النـاس إلـى توحيـد اللـه والعمـل بطاعته وما يعرفه أهل الإيـمان بـالله. وَنَهَوْا عَنِ الـمُنْكَرِ يقـول: ونهـوا عـن الشرك بـالله والعمل بـمعاصيه, الذي ينكـره أهَـل الـحقّ والإيـمان بـالله. ولِلّهِ عاقِبَةُ الأُمُورِ يقول: ولله آخر أمـور الـخـلق, يعنـي: أنّ إلـيه مصـيرها فـي الثواب علـيها والعقاب فـي الدار الآخرة.

وبنـحو الذي قلنا فـي تأويـل ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
19133ـ حدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسين الأشيب, قال: حدثنا أبـو جعفر عيسى بن ماهان, الذي يقال له الـرازيّ, عـن الربـيـع بـن أنـس, عـن أبـي العالـية, فـي قوله: الّذِينَ إنْ مَكّنّاهُمْ فِـ ي الأرْضِ أقـ امُوا الصّـلاةَ وآتَـوُا الزّكاةَ وأمَرُوا بـالـمَعْرُوف ونَهَوْا عَنِ الـمُنْكَرِ قال: كـانَ أمرهـم بـالـمعروف أنهم دعوا إلـى الإخلاص لله وحده لا شريك له ونهيهم عن الـمنكر أنهـم نهـوا عن عبـادة الأوثان وعبـادة الشيطان. قال: فمن دعـا إلـى اللـه مـن النـاس كلهم فقد أمر بـالـمعروف, ومن نهى عن عبـادة الأوثـان وعبـادة الشـيطان فقد نهى عن الـمنكر.

الآية : 42 -44

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ * وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ * وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ }.

يقول تعالى ذكره مسليا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عما يناله من أذى المشركين بالله, وحاضّا له على الصبر على ما يلحقه منهم من السبّ والتكذيب. وإن يكذّبك يا محمد هؤلاء المشركون بالله على ما أتيتهم به من الحقّ والبرهان, وما تَعِدُهم من العذاب على كفرهم بالله, فذلك سنة إخوانهم من الأمم الخالية المكذّبة رسل الله المشركة بالله ومنهاجهم مِن قبلهم, فلا يصدّنك ذلك, فإن العذاب المهين من ورائهم ونصري إياك وأتباعك عليهم آتيهم من وراء ذلك, كما أتى عذابي على أسلافهم من الأمم الذين من قبلهم بعد الإمهال إلى بلوغ الآجال. فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ يعني مشركي قريش قوم نوح, وقوم عاد وثمود, وقوم إبراهيم, وقوم لوط, وأصحاب مدين, وهم قوم شعيب. يقول: كذب كلّ هؤلاء رسلهم. وكُذِّبَ مُوسَى فقيل: وكذب موسى ولم يقل: «وقوم موسى», لأن قوم موسى بنو إسرائيل, وكانت قد استجابت له ولم تكذّبه, وإنما كذّبه فرعون وقومه من القبط. وقد قيل: إنما قيل ذلك كذلك لأنه ولد فيهم كما ولد في أهل مكة.

وقوله: فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ يقول: فأمهلت لأهل الكفر بـ الله م ن هذه الأمم, فلم أعاجلهم بالنقمة والعذاب. ثُمّ أَخَذْتُهُمْ يقول: ثم أحللت بهم العقاب بعد الإملاء فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ يقول: فانظر يا محمد كيف كان تغييري ما كان بهم من نعمة وتنكري لهم عما كنت عليه من الإحسان إليهم, ألم أبدلهم بالكثرة قلة وبالحياة موتا وهلاكا وبالعمارة خرابا؟ يقول: فكذلك فعلي بمكذّبيك من قريش, وإن أمليت لهم إلى آجالهم, فإني مُنْجزك وعدي فيهم كما أنجزت غيرك من رسلي وعدي في أممهم, فأهلكناهم وأنجيتهم من بين أظهرهم.

الآية : 45

القول في تأويل قوله تعالى: {فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ }.

يقول تعالى ذكره: وكم يا محمد من قرية أهلكت أهلها وهم ظالمون يقول: وهم يعبدون غير من ينبغ ي أن يعبد, ويعصون م ن لا ينبغي لهم أن يعصوه. وقوله: فَهِيَ خاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِها يقول: فباد أهلها وخلت, وخوت من سكانها, فخربت وتداعت, وتساقطت على عروشها يعني على بنائها وسقوفها. كما:

19134ـ حدثنا أبو هشام الرفاعيّ, قال: حدثنا أبو خالد, عن جويبر, عن الضحاك: فَهِيَ خاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِها قال: خَواؤها: خرابها, وعروشها: سقوفها.

19135ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة: خاوِيَةٌ قال: خربة ليس فيها أحد.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة. مثله.

وقوله: وَبِئْرٍ مُعَطّلَةٍ يقول تعالى: فكأين من قرية أهلكناها, ومن بئر عطلناها, بإفناء أهلها وهلاك وارديها, فاندفنت وتعطلت, فلا واردة لها ولا شارية منها. وَمِنْ قَصْرٍ مَشِيدٍ رفيع بالصخور والجصّ, قد خلا من سكانه, بما أذقنا أهله من عذابنا بسوء فعالهم, فبادوا وبقي قصورهم المشيدة خالية منهم. والبئر والقصر مخفوضان بالعطف على «القرية». وكان بعض نحويّي الكوفة يقول: هما معطوفان على «العروش» بالعطف عليها خفضا, وإن لم يحسن فيهما, على أن العروش أعالي البيوت والبئر في الأرض, وكذلك القصر لأن القرية لم تخو على القصر, ولكنه أتبع بعضه بعضا كما قال: وَحُورٌ عِينٌ كأمْثالِ اللّؤْلُؤِ فمعنى الكلام على ما قال هذا الذي ذكرنا قوله في ذلك: فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة, فهي خاوية على عروشها, ولها بئر معطلة وقصر مشيد ولكن لما لم يكن مع البئر رافع ولا عامل فيها, أتبعها في الإعراب «العروش», والمعنى ما وصفتُ.

وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: وَبِئْرٍ مُعَطّلَةٍ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19136ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن عطاء الخُراسانيّ, عن ابن عباس: وَبِئْرٍ مُعَطّلَةٍ قال: التي قد تُركت. وقال غيره: لا أهل لها.

19137ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة: وَبِئْرٍ مُعَطّلَةٍ قال: عطلها أهلها, تركوها.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, مثله.

19138ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَبِئْرٍ مُعَطّلَةٍ قال: لا أهل لها.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: وَقَصْرٍ مَشِيدٍ فقال بعضهم: معناه: وقصر مُجَصّص. ذكر من قال ذلك:

19139ـ حدثني مطر بن محمد الضبي, قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهديّ, قال: حدثنا سفيان, عن هلال بن خَبّاب عن عكرِمة, في قوله: وَقَصْرٍ مَشِيدٍ قال: مجصّص.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا يحيى بن يمان, عن سفيان, عن هلال بن خباب, عن عكرِمة, مثله.

حدثني محمد بن إسماعيل الأحمسي, قال: ثني غالب بن فائد, قال: حدثنا سفيان, عن هلال بن خباب عن عكرِمة, مثله.

حدثني الحسين بن محمد العنقزي, قال: ثني أبي, عن أسباط, عن السديّ, عن عكرمة, في قوله: وَقَصْرٍ مَشِيدٍ قال: مجصص.

19140ـ حدثني مطر بن محمد, قال: حدثنا كثير بن هشام, قال: حدثنا جعفر بن برقان, قال: كنت أمشي مع عكرِمة, فرأى حائط آجرّ مُصَهْرج, فوضع يده عليه وقال: هذا المشيد الذي قال الله.

19141ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا عباد بن العوامّ, عن هلال بن خباب, عن عكرمة: وَقَصْرٍ مَشِيدٍ قال: المجصص. قال عكرِمة: والجصّ بالمدينة يسمى الشيّد.

19142ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَقَصْرٍ مَشِيدٍ قال: بالقِصّة أو الفضة.
19143ـ حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَقَصْرٍ مَشِيدٍ قال: بالقصّة يعني بالجصّ.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.
19144ـ حدثنا الحسن, أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا ابن جُرَيج, عن عطاء, في قوله: وَقَصْرٍ مَشِيدٍ قال: مجصص.
19145ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن الثوريّ, عن هلال بن خباب, عن سعيد بن جُبير, في قوله: وَقَصْرٍ مَشِيدٍ قال: مُجَصّص. هكذا هو في كتابي عن سعيد بن جُبير.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: وقصر رفيع طويل. ذكر من قال ذلك:
19146ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قَتادة: وَقَصْرٍ مَشِيدٍ قال: كان أهله شيّدوه وحصّنوه, فهلكوا وتركوه.
حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, مثله.
19147ـ حدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عُبيد, قال: سمعت الضحاك يقول, في قوله: وَقَصْرٍ مَشِيدٍ يقول: طويل.
وأولى القولين في ذلك بالصواب: قول من قال: عني بالمشيد المجصّص, وذلك أن الشيّد في كلام العرب هو الجصّ بعينه ومنه قول الراجز:
كحَبّةِ المَاءِ بينَ الطيّ والشّيدِ
فالمشيد: إنما هو مفعول من الشّيد ومنه قول امرىء القيس:
وتَيْماءَ لَمْ يَتْرُكْ بِها جِذْعَ نَخْلَةٍوَلا أُطُما إلاّ مَشِيدا بِجَنْدَلِ
يعني بذلك: إلا بالبناء بالشيد والجندل. وقد يجوز أن يكون معنيّا بالمشيد: المرفوع بناؤه بالشّيدِ, فيكون الذين قالوا: عني بالمشيد الطويل نَحَوْا بذلك إلى هذا التأويل ومنه قول عديّ بن زيد:
شادَهُ مَرْمَرا وَجَلّلَهُ كِلْسا فللطّيْرِ فِي ذُرَاهُ وُكُورُ
وقد تأوّله بعض أهل العلم بلغات العرب بمعنى المزين بالشيد من شدته أشيده: إذا زيّنته به, وذلك شبيه بمعنى من قال مُجَصّص.

الآية : 46

القول في تأويل قوله تعالى: {أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَـكِن تَعْمَىَ الْقُلُوبُ الّتِي فِي الصّدُورِ }.
يقول تعالى ذكره: أفلم يسيروا هؤلاء المكذّبون بآيات الله والجاحدون قدرته في البلاد, فينظروا إلى مصارع ضربائهم من مكذّبي رسل الله الذين خلوْا من قبلهم, كعاد وثمود وقوم لوط وشعيب, وأوطانهم ومساكنهم, فيتفكرّوا فيها ويعتبروا بها ويعلموا بتدبرهم أمرها وأمر أهلها سنةَ الله فيمن كفر وعبد غيره وكذّب رسله, فينيبوا من عتوّهم وكفرهم, ويكون لهم إذا تدبروا ذلك واعتبروا به وأنابوا إلى الحقّ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِها

حجج الله على خلقه وقدرته على ما بيّنا, أو آذانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا يقول: أو آذان تصغي لسماع الحقّ فتعي ذلك وتميز بينه وبين الباطل. وقوله: فإنّها لا تَعْمَى الأبْصارُ يقول: فإنها لا تعمى أبصارهم أن يبصروا بها الأشخاص ويروها, بل يبصرون ذلك بأبصارهم ولكن تعمى قلوبهم التي في صدورهم عن أنصار الحقّ ومعرفته. والهاء في قوله: فإنّها لا تَعْمَى هاء عماد, كقول القائل: إنه عبد الله قائم. وقد ذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله: «فإنّه لا تَعْمَى الأبْصَارُ». وقيل: وَلَكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ التي فِي الصّدُورِ والقلوب لا تكون إلا في الصدور, توكيدا للكلام, كما قيل: يَقُولُون بأفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ.

الآية : 47

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللّهُ وَعْدَهُ وَإِنّ يَوْماً عِندَ رَبّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مّمّا تَعُدّونَ }.

يقول تعالى ذكره: ويستعجلونك يا محمد مشركو قومك بما تَعِدهم من عذاب الله على شركهم به وتكذيبهم إياك فيما أتيتهم به من عند الله في الدنيا, ولن يخلف الله وعده الذي وعدك فيهم من إحلال عذابه ونقمته بهم في عاجل الدنيا. ففعل ذلك, ووفى لهم بما وعدهم, فقتلهم يوم بدر.

واختلف أهل التأويل في اليوم الذي قال جلّ ثناؤه: وَإنّ يَوْما عِنْدَ رَبّكَ كألْفِ سَنَةٍ مِمّا تَعُدّونَ أيّ يوم هو؟ فقال بعضهم: هو من الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض. ذكر من قال ذلك:

19148ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا إسرائيل, عن سِماك, عن عكرِمة, عن ابن عباس: وَإنّ يَوْما عِنْدَ رَبّكَ كألْفِ سَنَةٍ مِمّا تَعُدّونَ قال: من الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض.

19149ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, في قوله: وَإنّ يَوْما عِنْدَ رَبّكَ... الآية, قال: هي مثل قوله في «الم تَنْزِيلُ» سواء, هو هو الآية.

وقال آخرون: بل هو من أيام الآخرة. ذكر من قال ذلك:

19150ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن سماك, عن عكرِمة, عن ابن عباس, قال: مقدار الحساب يوم القيامة ألف سنة.

19151ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, قال: حدثنا سعيد الجريريّ, عن أبي نَضْرة عن سمير بن نهار, قال: قال أبو هريرة: يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بمقدار نصف يوم. قلت: وما نصف يوم؟ قال: أو ما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى. قال: وَإنّ يَوْما عِنْدَ رَبّكَ كألْفِ سَنَةٍ مِمّا تَعُدّونَ.

19152ـ حدثنا ابن بشار, قال: ثني عبد الرحمن, قال: حدثنا أبو عوانة, عن أبي بشر, عن مجاهد: وَإنّ يَوْما عِنْدَ رَبّكَ كألْفِ سَنَة قال: من أيام الآخرة.

19153ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن سماك, عن عكرمة, أنه قال في هذه الآية: وَإنّ يَوْما عِنْدَ رَبّكَ كألْفِ سَنَةٍ مِمّا تَعُدّونَ قال: هذه أيام الآخرة. وفي قوله: ثُمّ يَعْرُجُ إلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدَارُهُ ألْفَ سَنَة مِمّا تَعُدّونَ قال: يوم القيامة وقرأ: إنّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدا وَنَرَاهُ قَرِيبا.

وقد اختلف في وجه صرف الكلام من الخبر عن استعجال الذين استعجلوا العذاب إلى الخبر عن طول اليوم عند الله, فقال بعضهم: إن القوم استعجلوا العذاب في الدنيا, فأنزل الله: وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ في أن ينزل ما وعدهم من العذاب في الدنيا, وإن يوما عند ربك من عذابهم في الدنيا والآخرة كألف سنة مما تعدّون في الدنيا.

وقال آخرون: قيل ذلك كذلك إعلاما من الله مستعجليه العذاب أنه لا يعجل, ولكنه يُمْهل إلى أجل أجّله, وأن البطيء عندهم قريب عنده, فقال لهم: مقدار اليوم عندي ألف سنة مما تعدّونه أنتم أيها القوم من أيامكم, وهو عندكم بطيء وهو عندي قريب.

وقال آخرون: معنى ذلك: وإن يوما من الثقل وما يخاف كألف سنة.

والقول الثاني عندي أشبه بالحقّ في ذلك وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن استعجال المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعذاب, ثم أخبر عن مبلغ قدر اليوم عنده, ثم أتبع ذلك قوله: وكأيّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظالِمَةٌ فأخبر عن إملائه أهل القرية الظالمة وتركه معاجلتهم بالعذاب, فبين بذلك أنه عنى بقوله: وَإنّ يَوْما عِنْدَ رَبّكَ كألْفِ سَنَةٍ مِمّا تَعُدّونَ نفي العجلة عن نفسه ووصفها بالأناة والانتظار. وإذ كان ذلك كذلك, كان تأويل الكلام: وإن يوما من الأيام التي عند الله يوم القيامة, يوم واحد كألف سنة من عددكم, وليس ذلك عنده ببعيد وهو عندكم بعيد فلذلك لا يعجل بعقوبة من أراد عقوبته حتى يبلغ غاية مدّته.

الآية : 48

القول في تأويل قوله تعالى: {وَكَأَيّن مّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيّ الْمَصِيرُ }.

يقول تعالى ذكره: وكأيّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أمْلَيْتُ لَهَا يقول: أمهلتهم وأخّرت عذابهم, وهم بالله مشركون ولأمره مخالفون وذلك كان ظلمهم الذي وصفهم الله به جلّ ثناؤه فلم أعجَلْ بعذابهم. ثُمّ أخَذْتُها يقول: ثم أخذتها بالعذاب, فعذّبتها في الدنيا بإحلال عقوبتنا بهم. وإليّ المَصِيرُ يقول: وإليّ مصيرهم أيضا بعد هلاكهم, فيلقون من العذاب حينئذ ما لا انقطاع له يقول تعالى ذكره: فكذلك حال مستعجليك بالعذاب من مشركي قومك, وإن أمليت لهم إلى آجالهم التي أجلتها لهم, فإني آخِذُهم بالعذاب فقاتِلُهم بالسيف ثم إليّ مصيرهم بعد ذلك فموجعهم إذن عقوبة على ما قدّموا من آثامهم.

الآية : 49 -51

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ يَأَيّهَا النّاسُ إِنّمَآ أَنَاْ لَكُمْ نَـذِيرٌ مّبِينٌ * فَالّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصّالِحَاتِ لَهُمْ مّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * وَالّذِينَ سَعَوْاْ فِيَ آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لمشركي قومك الذين يجادلونك في الله بغير علم, اتباعا منهم لكل شيطان مريد: يا أيها النّاسُ إنّمَا أنا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أنذركم عقاب الله أن ينزل بكم في الدنيا وعذابه في الآخرة أن تَصْلَوْه مُبِينٌ يقول: أبين لكم إنذاري ذلك وأظهره لتنيبوا من شرككم وتحذروا ما أنذركم من ذلك لا أملك لكم غير ذلك, فأما تعجيل العقاب وتأخيره الذي تستعجلونني به فإلى الله, ليس ذلك إليّ ولا أقدر عليه. ثم وصف نذارته وبشارته, ولم

يجر للبشارة ذكر, ولما ذُكِرت النذارة على عمل عُلم أن البشارة على خلافه, فقال: والّذِينَ آمَنُوا بالله ورسوله وعَمِلُوا الصّالِحَاتِ منكم أيها الناس ومن غيركم, لَهُمْ مَغْفِرَةٌ يقول: لهم من الله ستر ذنوبهم التي سلفت منهم في الدنيا عليهم في الآخرة. وَرِزْقٌ كَرِيمٌ يقول: ورزق حسن في الجنة كما:

19154ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جُرَيج, قوله: فالّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ قال: الجنة.

وقوله: وَالّذِينَ سَعَوْا فِي آياتِنا مُعاجِزِينَ يقول: والذين عملوا في حججنا فصدّوا عن اتباع رسولنا والإقرار بكتابنا الذي أنزلناه. وقال في آياتِنا فأدخلت فيه «في» كما يقال: سعى فلان في أمر فلان.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: مُعاجِزِينَ فقال بعضهم: معناه: مُشَاقّين. ذكر من قال ذلك:

19155ـ حدثنا أحمد بن يوسف, قال: حدثنا القاسم, قال: حدثنا حجاج, عن عثمان بن عطاء, عن أبيه, عن ابن عباس, أنه قرأها: مُعاجِزِينَ في كلّ القرآن, يعني بألف, وقال: مشاقّين.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنهم ظنوا أنهم يعجزون الله فلا يقدر عليهم. ذكر من قال ذلك:

19156ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة: في آياتِنا مُعاجِزِينَ قال: كذّبوا بآيات الله فظنوا أنهم يُعْجزون الله, ولن يعجزوه.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, مثله.

وهذان الوجهان من التأويل في ذلك على قراءة من قرأه: فِي آياتِنا مُعاجِزِينَ بالألف, وهي قراءة عامة قرّاء المدينة والكوفة. وأما بعض قرّاء أهل مكة والبصرة فإنه قرأه: «مُعَجِّزِينَ» بتشديد الجيم, بغير ألف, بمعنى أنهم عجّزوا الناس وثبّطوهم عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم والإيمان بالقرآن. ذكر من قال ذلك كذلك من قراءته:

19157ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: مُعَجِّزِينَ قال: مُبَطّئين, يبطّئون الناس عن اتباع النبيّ صلى الله عليه وسلم.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جَرَيج, عن مجاهد, مثله.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان, قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء, متقاربتا المعنى وذلك أن من عجز عن آيات الله فقد عاجز الله, ومن معاجزة الله التعجيز عن آيات الله والعمل بمعاصيه وخلاف أمره. وكان من صفة القوم الذين أنزل الله هذه الآيات فيهم أنهم كانوا يبطئون الناس عن الإيمان بالله واتباع رسوله ويغالبون رسول الله صلى الله عليه وسلم, يحسبون أنهم يُعْجزونه ويغلبونه, وقد ضمن الله له نصره عليهم, فكان ذلك معاجزتهم الله. فإذ كان ذلك كذلك, فبأيّ القراءتين قرأ القارىء فمصيب الصواب في ذلك.

وأما الـمعاجزة فإنها الـمفـاعلة من العجز, ومعناه: مغالبة اثنـين أحـدهما صاحبه أيهما يعجزه فـيغلبه الآخر ويقهره.
وأما التعجيـز: فـإنه التضـعيف وهـو التفعيــل م ن العجـز. وقـوله: أُولَئِـكَ أصْحابُ الـجَحِيـم يقول: هؤلاء الـذين هـذه صـفتهم هـم سـكان جهنــم يـوم القـيامة وأهلها الذين هم أهلها.

الآية : 52

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رّسُـولٍ وَلاَ نَبِـيّ إِلاّ إِذَا تَمَنّىَ أَلْقَى الشّيْطَانُ فِيَ أُمْنِيّتِـهِ فَيَنسَـخُ اللّـهُ مَـا يُلْقِـي الشّـيْطَانُ ثُـمّ يُحْكِمُ اللّهُ آيَاتِهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }.
قـيـل: إن السبب الذي من أجله أنزلت هذه الآية علـى رسول الله صلى الله عليه وسلم, أن الشيطان كان ألقـى علـى لسـانه فــي بعـض مـا يتلـوه مـما أنزل الله علـيه من القرآن ما لـم ينزله الله علـيه, فــاشتدّ ذلـك علــى رسول الله صلى الله عليه وسلم واغتـمّ به, فسـلاّه اللـه مــما بـه م ن ذلـك بهذه الآيات. ذكر من قال ذلك:
19158ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: حدثنا حجاج, عن أبـي معشر, عن مـحمد بن كعب القُرَظيّ ومـحمد بن قـيس قـالا: جلـس رسـول الله صلى الله عليه وسلم فـي ناد من أندية قريش كثـير أهله, فتـمنى يومئذ أن لا يأتـيه من الله شيء فـينفروا عنه, فأنزل الله علـيه: والنّــجْمِ إذَا هَـوَى ما ضَلّ صَاحِبُكُمْ وَما غَوَى فقرأها رسول الله صلى الله عليـه وسـلم, حتــى إذا بلغ: أفَرأيْتُـمُ اللاّتَ والعُزّى وَمَناةَ الثالِثَةَ الأُخْـرَى ألقــى علــيه الشيطان كلـمتـين: «تلك الغرانقة العُلَـى, وإن شفـاعتهنّ لتُرْجَـى», فتكلــم بهـا. ثـم مضى فقرأ السورة كلها. فسجد فـي آخر السورة, وسجد القوم جميعا معه, ورفع الوليـد بن الـمغيرة ترابـا إلـى جبهته فسجد علـيه, وكان شيخا كبـيرا لا يقدر علـى السجود. فرضُوا بـما تكلـم به وقـالوا: قـد عرفنـا أن اللـه يحيــي ويـميت وهو الذي يخـلق ويرزق, ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنـده, إذ جعلـت لها نصيبـا, فنـحن معـك قـالا: فلــما أمسـى أتـاه جبرائيــل علــيهما السـلام فعرض علـيه السورة فلـما بلـغ الكلـمتــين اللتــين ألقــى الشيطان علــيه قال: ما جئتك بهاتـين فقال رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «افْتَرَيْـتُ عَلـى اللّـهِ وقُلْـتُ عَلــى اللّـهِ مـا لَـمْ يَقُـلْ» فـأوحى اللـه إلــيه: وَإنْ كـادُوا لَـيَفْتِنُونَكَ عَنِ الّذِي أوْحَيْنا إلَـيْكَ, لِتَفْتَرِيَ عَلَـيْنا غَيْرَهُ... إلـى قوله: ثُمّ لا تَـجِدُ لَكَ عَلَـيْنا نَصِيرا. فما زال مغموما مهموما حتـى نزلت علـيه: وَما أرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِـيَ إلاّ إذَا تَـمَنّى ألْقَـى الشّيْطانُ فِـي أُمْنِــيّتِهِ فَــيَنْسَخُ اللّهُ ما يُـلْقِـي الشّيْطانُ ثُمّ يُحْكِمُ اللّهُ آياتِهِ وَاللّهُ عَلـيـمٌ حَكِيـمٌ. قال: فسـمع من كان من الـمهاجرين بـأرض الــحبشة أن أهـل مكـة قـد أسلــموا كلهـم, فرجعوا إلـى عشائرهم وقالوا: هم أحبّ إلــينا فوجـدوا القـوم قـد ارتكسـوا حين نسخ الله ما ألقـى الشيطان.
19159ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, عن يزيد بن زياد الـمدنـيّ, عن مـحمد بن كعب القُرظيّ قال: لـما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تولّـيَ قومه عنه, وشـقّ علــيه مـا يـرى مـن مبــاعدتهم مـا جاءهم به من عند الله, تـمنى فـي نفسه أن يأتـيه من الله ما يقارب به بـينه وبـين قومه. وكان يسرّه, مع حبه وحرصـه علــيهم, أن يلــين لـه بعـض مـا

غلُظَ عليه من أمرهم, حين حدّث بذلك نفسه وتمنى وأحبه, فأنزل الله: والنّجْمِ إذَا هَوَى ما ضَلّ صَاحبُكُمْ وَما غَوَى فلما انتهى إلى قول الله: أَفَرأيْتُمُ اللاّتَ والعُزّى وَمَناةَ الثّالِثَةَ الأُخْرَى ألقى الشيطان على لسانه, لما كان يحدّث به نفسه ويتمنى أن يأتي به قومه: «تلك الغرانيق العلَى, وإن شفاعتهن تُرْتَضى». فلما سمعت قريش ذلك فرحوا وسرّهم, وأعجبهم ما ذكر به آلهتهم, فأصاخوا له, والمؤمنون مصدّقون نبيهم فيما جاءهم به عن ربهم, ولا يتهمونه على خط ولا وَهَم ولا زلل. فلما انتهى إلى السجدة منها وختم السورة, سجد فيها, فسجد المسلمون بسجود نبيهم, تصديقا لما جاء به واتباعا لأمره, وسجد من في المسجد من المشركين من قريش وغيرهم لما سمعوا من ذكر آلهتهم, فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد إلا الوليد بن المغيرة, فإنه كان شيخا كبيرا فلم يستطع, فأخذ بيده حفنة من البطحاء فسجد عليها. ثم تفرّق الناس من المسجد, وخرجت قريش وقد سرّهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم, يقولون: قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر, وقد زعم فيما يتلو أنها الغرانيق العُلَي وأن شفاعتهنّ ترتضى وبلغت السجدة من بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم, وقيل: أسلمت قريش. فنهضت منهم رجال, وتخلّف آخرون. وأتى جبرائيل النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقال: يا محمد ماذا صنعت؟ لقد تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله, وقلت ما لم يُقَلْ لك فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك, وخاف من الله خوفا كبيرا, فأنزل الله تبارك وتعالى عليه وكانَ بِهِ رَحِيما يعزّيه ويخفّض عليه الأمر ويخبره أنه لم يكن قبله رسول ولا نبيّ تمنى كما تمنى ولا أحبّ كما أحبّ إلا والشيطان قد ألقى في أمنيته كما ألقى على لسانه صلى الله عليه وسلم, فنسخ الله ما ألقى الشيطان وأحكم آياته, أي فأنت كبعض الأنبياء والرسل فأنزل الله: وَما أرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نِبَيّ إلاّ إذَا تَمَنّى ألْقَى الشّيْطانُ فِي أُمِنيّتِهِ... الآية. فأذهب الله عن نبيه الحزن, وأمنه من الذي كان يخاف, ونسخ ما ألقى الشيطان على لسانه من ذكر آلهتهم أنهّا الغرانيق العُلَى وأن شفاعتهنّ ترتضى. يقول الله حين ذكر اللات والعُزّى ومناة الثالثة الأخرى, إلى قوله: وكَمْ منْ مَلَكٍ فِي السّمَوَاتِ لا تُغْنى شَفاعَتُهُمْ شَيْئا إلاّ مِنْ بَعْدِ أنْ يَأذَنَ اللّهِ لِمَنْ يَشاءُ وَيَرْضَى, أي فكيف تنفع شفاعة آلهتكم عنده. فلما جاءه من الله ما نسخ ما كان الشيطان ألقى على لسان نبيه, قالت قريش: ندم محمد على ما كان من منزلة آلهتكم عند الله, فغير ذلك وجاء بغيره وكان ذلك الحرفان اللذان ألقى الشيطان على لسان رسوله قد وقعا في فم كل مشرك, فازدادوا شرّا إلى ما كانوا عليه.

19160ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا المعتمر, قال: سمعت داود, عن أبي العالية, قال: قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما جلساؤك عبد بني فلان ومولى بني فلان, فلو ذكرت آلهتنا بشيء جالسناك, فإنه يأتيك أشراف العرب فإذا رأوا جلساءك أشراف قومك كان أرغب لهم فيك قال: فألقى الشيطان في أمنيته, فنزلت هذه الآية: أفَرأيْتُمُ اللاّتَ والعُزّى وَمَناةَ الثّالِثَةَ الأُخْرَى قال: فأجرى الشيطان على لسانه: «تلك الغرانيق العُلَى, وشفاعتهن ترجى, مثلهن لا يُنسى». قال: فسجد النبيّ صلى الله عليه وسلم حين قرأها, وسجد معه المسلمون

والـمشركون. فلـما علـم الذي أُجْرِي على لسانه, كـبر ذلـك علـيه, فـأنزل الله: وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نِبَـيّ إلاّ إذَا تَـمَنّى أَلْقَـى الشّـيْطانُ فِـي أُمْنِـيّتِهِ... إلـى قوله: وَاللّهُ عَلِـيـمٌ حَكِيـمٌ.

حدثنا ابن الـمثنى, قال: حدثنا أبو الوليد, قال: حدثنا حماد بن سلـمة, عن داود بن أبـي هند, عـن أبــي العالــية قـال: قـالت قريـش: يـا مــحمد إنــما يجالسـك الفقـراء والــمساكين وضعفــاء النـاس, فلـو ذكـرت آلهتنـا بخيـر لـجالسناك فإن الناس يأتونك من الآفـاق فقرأ رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم سورة النـجم فلـما انتهـى علــى هـذه الآيـة: أَفَرأيْتُــمُ اللاّتَ والعُـزّى وَمَناةَ الثّالِثَةَ الأُخْرَى فألقـى الشيطان علـى لسانه: «وهي الغرانقة العلــى, وشفـاعتهن ترتـجى». فلـما فرغ منهـا سـجد رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم والـمسلـمون والـمشركون, إلا أبـا أُحَيحة سعيد بن العاص, أخذ كفّــا من تراب وسجد عليه وقال: قد آن لابـن أبــي كبشـة أن يـذكر آلهتنـا بخيـر حتـى بلغ الذين بـالـحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مـن الـمسلـمين أن قريشا قد أسلـمت, فــاشتدّ علــى رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم ما ألقـى الشيطان علـى لسـانه, فـأنزل اللـه: وَمـا أَرْسَـلْنا مِـنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نِبَـيّ... إلـى آخر الآية.

19161ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا مـحمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبـي بشر, عن سعيد بن جُبــير, قـال: لــما نزلـت هـذه الآيـة: أفَرأيْتُــمُ اللاّتَ والعُـزّى قرأهـا رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم, فقـال: «تلـك الغرانـيق العلـى, وإن شفـاعتهنّ لترتـجى». فسجد رسول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم. فقال الـمشركون: إنه لـم يذكر آلهتكم قبل الـيوم بخير فسـجد الـمشركون معه, فأنزل الله: وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِـنْ رَسُـولٍ وَلا نِبَــيّ إلاّ إذَا تَـمَنّى أَلْقَـى الشّيْطانُ فِـي أُمْنِـيّتِهِ... إلـى قوله: عَذَابَ يَوْمٍ عَقِـيـم.

حدثنا ابن الـمثنى, قال: ثنـي عبد الصمد, قال: حدثنا شعبة, قال: حدثنا أبو بشر, عن سعيد بن جُبـير قال: لــما نزلـت: أفَرأيْتُــمُ اللاّتَ والعُـزّى, ثـم ذكر نـحوه.

19162ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قولـه: وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نِبَـيّ إلاّ إذَا تَـمَنّى أَلْقَـى الشّيْطانُ فِـي أُمْنِـيّتِهِ إلــى قـوله: وَاللّـهُ عَلِـيــمٌ حَكِيـمٌ وذلك أن نبـيّ الله صلى الله عليه وسلم بـينـما هـو يصلــي, إذ نزلـت علـيه قصة آلهة العرب, فجعل يتلوها فسمعه الـمشركون فقالوا: إنا نسمعه يذكر آلهتنا بخير فدنَوا منـه, فبـينــما هـو يتلوهـا وهـو يقـول: أفَرأيْتُــمُ اللاّتَ والعُزّى وَمَناةَ الثّالِثَةَ الأُخْرَى ألقـى الشـيطان: «إن تلـك الغرانــيق العلــى, منهـا الشفــاعة ترتــجى». فجعـل يتلوهـا, فنـزل جبرائيــل علــيه السـلام فنسخها, ثم قال له: وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُـولٍ وَلا نِبَــيّ إلاّ إذَا تَــمَنّى أَلْقَـى الشّيْطانُ فِـي أُمْنِـيّتِهِ... إلـى قوله: وَاللّهُ عَلِـيـمٌ حَكِيـمٌ.

19163ـ حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: أخبرنا عبـيد, قال: سمعت الضحاك يقول فـي قوله: وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِـنْ رَسُـولٍ وَلا نِبَـيّ... الآية أن نبـيّ الله صلى الله عليه وسلم وهو بـمكة, أنزل اللـه علَــيه فـي آلهة العرب, فجعل يتلو اللات والعزّى ويكثر ترديدها. فسمع أهـل مكـة نبـيّ الله يذكر آلهتهم, ففرحوا بـذلك, ودنـوا يستــمعون, فألقـى الشيطان فــي تلاوة النبــيّ صـلى اللـه عليـه وسـلم: «تلـك الغرانــيق العلــى, منهـا

الشفاعة ترتجى». فقرأها النبيّ صلى الله عليه وسلم كذلك, فأنزل الله عليه: وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ... إلى: وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ.

19164ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني يونس, عن ابن شهاب, أنه سئل عن قوله: وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيّ... الآية, قال ابن شهاب: ثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث. أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قرأ عليهم: والنّجْمِ إذَا هَوَى, فلما بلغ: أفَرأيْتُمُ اللاّتَ والعُزّى وَمَناةَ الثّالِثَةَ الأُخْرَى قال: «إن شفاعتهن ترتجَى». وسها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلقيه المشركون الذين في قلوبهم مرض, فسلموا عليه, وفرحوا بذلك, فقال لهم: «إنّمَا ذلكَ مِنَ الشّيْطانِ». فأنزل الله: وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبَيّ... حتى بلغ: فَيَنْسَخُ اللّهُ ما يُلْقِي الشّيْطانُ.

فتأويل الكلام: ولم يرسل يا محمد مَنْ قَبْلك من رسول إلى أمة من الأمم ولا نبيّ محدّث ليس بمرسل, إلا إذا تمنى.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله «تمنى» في هذا الموضع, وقد ذكرت قول جماعة ممن قال: ذلك التمني من النبيّ صلى الله عليه وسلم ما حدثته نفسه من محبته مقاربة قومه في ذكر آلهتهم ببعض ما يحبون, ومن قال ذلك محبة منه في بعض الأحوال أن لا تذكر بسوء.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إذا قرأ وتلا أو حدّث. ذكر من قال ذلك:

19165ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: إذَا تَمنّى ألْقَى الشّيْطانُ فِي أُمْنِيّتِهِ يقول: إذا حدّث ألقى الشيطان في حديثه.

19166ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: إذَا تَمَنّى قال: إذا قال.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.

19167ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: إلاّ إذَا تَمَنّى يعني بالتمني: التلاوة والقراءة.

وهذا القول أشبه بتأويل الكلام, بدلالة قوله: فَيَنْسَخُ اللّهُ ما يُلْقي الشّيْطانُ ثُمّ يُحْكِمُ اللّهُ آياتِهِ على ذلك لأن الآيات التي أخبر الله جلّ ثناؤه أنه يحكمها, لا شك أنها آيات تنزيله, فمعلوم أن الذي ألقي فيه الشيطان هو ما أخبر الله تعالى ذكره أنه نسخ ذلك منه وأبطله ثم أحكمه بنسخه ذلك منه.

فتأويل الكلام إذن: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيّ إلا إذا تلا كتاب الله, وقرأ, أو حدّث وتكلم, وألقى الشيطان في كتاب الله الذي تلاه وقرأه أو في حديثه الذي حدث وتكلم. فَيَنْسَخُ اللّهُ ما يُلْقِي الشّيْطانُ يقول: تعالى فيذهب الله ما يلقي الشيطان من ذلك على لسان نبيه ويبطله. كما:

19168ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: فَيَنْسَخُ اللّهُ ما يُلْقِي الشّيْطانُ فيبطل الله ما ألقى الشيطان.

19169ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: فَيَنْسَخُ اللّهُ ما يُلْقِي الشّيْطانُ نسخ جبريل بأمر الله ما ألقى الشيطان على لسان النبيّ صلى الله عليه وسلم, وأحكم الله آياته.

وقوله: ثُمّ يُحْكِمُ اللّهُ آياتِهِ يقول: ثم يخلص الله آيات كتابه من الباطل الذي ألقى الشيطان على لسان نبيه. وَاللّهُ عَلِيمٌ بما يحدث في خلقه من حدث, لا يخفى عليه منه شيء. حَكِيمٌ في تدبيره إياهم وصرفه لهم فيما شاء وأحَبّ.

الآية : 53

القول في تأويل قوله تعالى: {لّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشّيْطَانُ فِتْنَةً لّلّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنّ الظّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ }.

يقول تعالى ذكره: فينسخ الله ما يلقي الشيطان, ثُم يُحكم الله آياته, كي يجعل ما يلقي الشيطان في أمنية نبيه من الباطل, كقول النبيّ صلى الله عليه وسلم: «تلك الغرانيق العُلَى, وإن شفاعتهن لَتُرتَجَى». فِتْنَةً يقول: اختبارا يختبر به الذين في قلوبهم مرض من النفاق وذلك الشكّ في صد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقيقة ما يخبرهم به.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19170ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة: أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان يتمنى أن لا يعيب الله آلهة المشركين, فألقى الشيطان في أمنيته, فقال: «إن الآلهة التي تدعي أن شفاعتها لترتجى وإنها لَلْغرانيق العُلَى». فنسخ الله ذلك, وأحكم الله آياته: أفرأيتمُ اللاّتَ والعُزّى حتى بلغ: مِنْ سُلْطانٍ قال قتادة: لما ألقى الشيطان ما ألقى, قال المشركون: قد ذكر آلهتهم بخير ففرحوا بذلك, فذكر قوله: لِيَجْعَل ما يُلْقِي الشّيْطانُ فِتْنَةً لّلّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرّزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, بنحوه.

19171ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, في قوله: لِيَجْعَل ما يُلْقِي الشّيْطانُ فِتْنَةً لّلّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يقول: وللذين قست قلوبهم عن الإيمان بالله, فلا تلين ولا ترعوي, وهم المشركون بالله.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19172ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج: والقاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ قال: المشركون.

وقوله: وَإِنّ الظّالِمِينَ لَفِي شِقاقٍ بَعِيدٍ يقول تعالى ذكره: وإن مشركي قومك يا محمد لفي خلاف الله في أمره, بعيد من الحقّ.

الآية : 54

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلِيَعْلَمَ الّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ أَنّهُ الْحَقّ مِن رّبّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنّ اللّهَ لَهَادِ الّذِينَ آمَنُوَاْ إِلَىَ صِرَاطٍ مّسْتَقِيمٍ }.

يقول تعالى ذكره: وكي يعلم أهل العلم بالله أن الذي أنزله الله من آياته التي أحكمها لرسوله ونسخ ما ألقي الشيطان فيه, أنه الحقّ من

عند ربك يا محمد فُيؤْمِنُوا بِهِ يقول: فيصدّقوا به. فتُخْبِتَ له قُلُوبُهُمْ يقول: فتخضع للقرآن قلوبهم, وتذعن بالتصديق به والإقرار بما فيه. وَإنّ اللّهَ لَهَادِ الّذِينَ آمَنُوا إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وإن الله لمرشد الذين آمنوا بالله ورسوله إلى الحقّ القاصد والحقّ الواضح, بنسخ ما ألقي الشيطان في أمنية رسوله, فلا يضرّهم كيد الشيطان وإلقاؤه الباطل على لسان نبيهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19173ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج: وَلِيَعْلَمَ الّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ أنّهُ الحَقّ مِنْ رَبّكَ قال: يعني القرآن.

الآية : 55

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلاَ يَزَالُ الّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرْيَةٍ مّنْهُ حَتّىَ تَأْتِيَهُمُ السّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ }.

يقول تعالى ذكره: ولا يزال الذين كفَروا بالله في شكّ.

ثم اختلف أهل التأويل في الهاء التي في قوله: «منه» من ذكر ما هي؟ فقال بعضهم: هي من ذكر قول النبيّ صلى الله عليه وسلم: «تلك الغرانيق العُلَى, وإن شفاعتهن لترتجى». ذكر من قال ذلك:

19174ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا محمد, قال: حدثنا شعبة, عن أبي بشر, عن سعيد بن جُبير: وَلا يَزَالُ الّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ من قوله: «تلك الغرانيق العلى, وإن شفاعتهن ترتجى».

19175ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلا يَزَالُ الّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ قال: مما جاء به إبليس لا يخرج من قلوبهم زادهم ضلالة.

وقال آخرون: بل هي من ذكر سجود النبيّ صلى الله عليه وسلم في النجم. ذكر من قال ذلك:

19176ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا عبد الصمد, قال: حدثنا شعبة, قال: حدثنا أبو بشر, عن سعيد بن جُبير: وَلا يَزَالُ الّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ قال: في مِرْية من سجودك.

وقال آخرون: بل هي من ذكر القرآن. ذكر من قال ذلك:

19177ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج: وَلا يَزَالُ الّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ قال: من القرآن.

وأولى هذه الأقوال في ذلك بالصواب, قول من قال: هي كناية من ذكر القرآن الذي أحكم الله آياته وذلك أن ذلك من ذكر قوله: وَلِيَعْلَمَ الّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ أنّهُ الْحَقّ مِنْ رَبّكَ أقرب منه من ذكر قوله: فَيَنْسَخُ اللّهُ ما يُلْقي الشّيْطانُ والهاء من قوله «أنه» من ذكر القرآن, فإلحاق الهاء في قوله: فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ بالهاء من قوله: أنّهُ الحَقّ مِنْ رَبّكَ أولى من إلحاقها ب «ما» التي في قوله: ما يُلْقِي الشّيْطانُ مع بُعد ما بينهما.

وقوله: حتى تَأتيَهُمُ السّاعَةُ يقول: لا يزال هؤلاء الكفار في شك من أمر هذا القرآن إلى أن تأتيهم الساعة بَغْتَةً وهي ساعة حشر الناس لموقف الحساب بغتة, يقول: فجأة. أوْ يَأتيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ.

واختلف أهل التأويد في هذا اليوم أيّ يوم هو؟ فقال بعضهم: هو يوم القيامة. ذكر من قال ذلك:

19178ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: حدثنا شيخ من أهل خراسان من الأزد يكني أبا ساسان, قال: سألت الضحاك, عن قوله: عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ قال: عذاب يوم لا ليلة بعده.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبُو تَمَيلة, عن أبي حمزة, عن جابر, عن عكرِمة. أن يوم القيامة لا ليلة له.

وقال آخرون: بل عني به يوم بدر. وقالوا: إنما قيل له يوم عقيم, أنهم لم ينظروا إلى الليل, فكان لهم عقيما. ذكر من قال ذلك:

19179ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن ليث, عن مجاهد, قال: عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ يوم بدر.

19180ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج: أوْ يَأتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ قال ابن جُرَيج: يوم ليس فيه ليلة, لم يناظروا إلى الليل. قال مجاهد: عذاب يوم عظيم.

قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو ثُمَيلة, عن أبي حمزة, عن جابر, قال: قال مجاهد: يوم بدر.

19181ـ حدثني أبو السائب, قال: حدثنا أبو إدريس, قال: أخبرنا الأعمش, عن رجل, عن سعيد بن جُبير, في قوله: عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ قال: يوم بدر.

19182ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة, قوله: عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ قال: هو يوم بدر. ذكره عن أبيّ بن كعب.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرّزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, في قوله: عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ قال: هو يوم بدر. عن أبيّ بن كعب.

وهذا القول الثاني أولى بتأويل الآية لأنه لا وجه لأن يقال: لا يزالون في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة, أو تأتيهم الساعة وذلك أن الساعة هي يوم القيامة, فإن كان اليوم العقيم أيضا هو يوم القيامة فإنما معناه ما قلنا من تكرير ذكر الساعة مرّتين باختلاف الألفاظ, وذلك ما لا معنى له. فإذ كان ذلك كذلك, فأولى التأويلين به أصحهما معنى وأشبههما بالمعروف في الخطاب, وهو ما ذكرناه في معناه.

فتأويل الكلام إذن: ولا يزال الذين كفروا في مرية منه, حتى تأتيهم الساعة بغتة فيصيروا إلى العذاب الدائم, أو يأتيهم عذاب يوم عقيم له فلا ينظروا فيه إلى الليل ولا يؤخروا فيه إلى المساء, لكنهم يقتلون قبل المساء.

الآية : 56 - 57

القول في تأويل قوله تعالى: {الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ للّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصّالِحَاتِ فِي جَنّاتِ النّعِيمِ * وَالّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذّبُواْ بِآيَاتِنَا فَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مّهِينٌ }.

يقول تعالى ذكره: السلطان والمُلك إذا جاءت الساعة لله وحده لا شريك له ولا ينازعه يومئذ منازع وقد كان في الدنيا ملوك يُدعون بهذا الاسم ولا أحد يومئذ يدعي ملكا سواه. يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يقول: يفصل بين خلقه المشركين به والمؤمنين. فالّذين آمَنُوا بهذا القرآن, وبمن أنزله, ومن جاء به, وعملوا بما فيه من حلاله وحرامه وحدوده وفرائضه في جَنّاتِ النعيم يومئذ. والّذِينَ كَفَرُوا بالله ورسوله, وكَذّبُوا بآيَات كتابه

وتنزيله, وقالوا: ليس ذلك من عند الله, إنما هو إفك افتراه محمد وأعانه عليه قوم آخرون فأولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ يقول: فالذين هذه صفتهم لهم عند الله يوم القيامة عذاب مهين, يعني عذاب مذلّ في جهنم.

الآية : 58

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمّ قُتِلُوَاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنّهُمُ اللّهُ رِزْقاً حَسَناً وَإِنّ اللّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرّازِقِينَ }.

يقول تعالى ذكره: والذين فارقوا أوطانهم وعشائرهم فتركوا ذلك في رضا الله وطاعته وجهاد أعدائه ثم قتلوا أو ماتوا وهم كذلك, لَيَرْزُقَنّهُم الله يوم القيامة في جناته رِزْقا حَسَنَا يعني بالحسن: الكريم وإنما يعني بالرزق الحسن: الثواب الجزيل. وَإنّ اللّهَ لَهُوَ خَيرُ الرّازِقِينَ يقول: وإن الله لهو خير من بسط فضله على أهل طاعته وأكرمهم, وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا في حكم من مات في سبيل الله, فقال بعضهم: سواء المقتول منهم والميت, وقال آخرون: المقتول أفضل. فأنزل الله هذه الآية على نبيه صلى الله عليه وسلم, يعلمهم استواء أمر الميت في سبيله والمقتول فيها في الثواب عنده. وقد:

19183ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني عبد الرحمن بن شريح, عن سلامان بن عامر قال: كان فضالة برودس أميرا على الأرباع, فخرج بجنازتي رجلين, أحدهما قتيل والآخر متوفي فرأى ميل الناس مع جنازة القتيل إلى حفرته, فقال: أراكم أيها الناس تميلون مع القتيل وتفضلونه على أخيه المتوفي؟ (فقالوا: هذا القتيل في سبيل الله. فقال) فوالذي نفسي بيده ما أبالي من أيّ حفرتيهما بُعثت اقرءوا قول الله تعالى: وَالّذِينَ هاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ ثمّ قُتِلُوا أوْ ماتُوا... إلى قوله: وَإنّ اللّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ.

الآية : 59

القول في تأويل قوله تعالى: {لَيُدْخِلَنّهُمْ مّدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ وَإِنّ اللّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: ليدخلنّ الله المقتول في سبيله من المهاجرين والميت منهم مُدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ وذلك المدخل هو الجنة. وَإنّ اللّهَ لَعَلِيمٌ بمن يهاجر في سبيله ممن يخرج من داره طلب الغنيمة أو عَرَض من عروض الدنيا. حَلِيمٌ عن عصاة خلقه, بتركه معاجلتهم بالعقوبة والعذاب.

الآية : 60

القول في تأويل قوله تعالى: {ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنّهُ اللّهُ إِنّ اللّهَ لَعَفُوّ غَفُورٌ }.

يعني تعالى ذكره بقوله: ذلكَ لهذا لهؤلاء الذين هاجروا في سبيل الله, ثم قُتلوا أو ماتوا, ولهم مع ذلك أيضا أن الله يعدهم النصر على المشركين الذين بغوا عليهم فأخرجوهم من ديارهم. كما:

19184ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج: ذلكَ وَمَنْ عاقَبَ بِمِثْلِ ما عُوقِبَ بِهِ قال: هم المشركون بغَوْا على النبيّ صلى الله عليه وسلم, فوعده الله أن ينصره, وقال في القصاص أيضا.

وكان بعضهم يزعم أن هذه الآية نزلت في قوم من المشركين لقوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرّم, وكان المسلمون يكرهون القتال يومئذ في الأشهر الحرم, فسأل المسلمون المشركين أن يكفّوا عن قتالهم من أجل حرمة الشهر, فأبى المشركون ذلك, وقاتلوهم فبغَوْا عليهم, وثبت المسلمون لهم فنُصروا عليهم, فأنزل الله هذه الآية: ذلكَ وَمَنْ عاقَبَ بِمِثْلِ ما عُوقِبَ بِهِ ثُمّ بُغِيَ عَلَيْهِ بأن بدىء بالقتال وهو له كاره, لَيَنْصُرَنّهُ اللّهُ. (وقوله: إنّ اللّهَ لَعَفُوّ غَفُورٌ يقول تعالى ذكره: إن الله لذو عفو وصفح لمن انتصر ممن ظلمه من بعد ما ظلمه الظالم بحقّ, غفور لما فعل ببادئه بالظلم مثل الذي فعل به غير معاقبه عليه.

الآية : 61

القول في تأويل قوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنّ اللّهَ يُولِجُ اللّيْلَ فِي النّهَارِ وَيُولِجُ النّهَارَ فِي اللّيْلِ وَأَنّ اللّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ }.

يعني تعالى ذكره بقوله: ذلكَ هذا النصر الذي أنصره على من بغى عليه على الباغي, لأني القادر على ما أشاء. فمن قُدرته أن الله يُولِجُ اللّيْلَ في النّهارِ يقول: يدخل ما ينقص من ساعات الليل في ساعات النهار, فما نقص من هذا زاد في هذا. وَيُولِجُ النّهارَ فِي اللّيْلِ ويدخل ما انتقص من ساعات النهار في ساعات الليل, فما نقص من طول هذا زاد في طول هذا, وبالقُدرة التي يَفْعَلُ ذلك ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه على الذين بغوا عليهم فأخرجوهم من ديارهم وأموالهم. وأنّ اللّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ يقول: وفعل ذلك أيضا بأنه ذو سمع لما يقولون من قول لا يخفى عليه منه شيء, بصير بما يعملون, لا يغيب عنه منه شيء, كل ذلك منه بمرأى ومسمع, وهو الحافظ لكل ذلك, حتى يجازى جميعهم على ما قالوا وعملوا من قول وعمل جزاءه.

الآية : 62

القول في تأويل قوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنّ اللّهَ هُوَ الْحَقّ وَأَنّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنّ اللّهَ هُوَ الْعَلِيّ الْكَبِيرُ }.

يعني تعالى ذكره بقوله ذَلكَ هذا الفعل الذي فعلت من إيلاجي الليل في النهار وإيلاجي النهار في الليل لأني أنا الحقّ الذي لا مثل لي ولا شريك ولا ندّ, وأن الذي يدعوه هؤلاء المشركون إلها من دونه هو الباطل الذي لا يقدر على صنعة شيء, بل هو المصنوع يقول لهم تعالى ذكره: أفتتركون أيها الجهال عبادة من منه النفع وبيده الضر وهو القادر على كل شيء وكلّ شيء دونه, وتعبدون الباطل الذي لا تنفعكم عبادته. وقوله: وأنّ اللّهَ هُوَ العَلِيّ الكَبيرُ يعني بقوله: العَلِيّ ذو العلوّ على كل شيء, هو فوق كلّ شيء وكل شيء دونه. الكَبِيرُ يعني العظيم, الذي كل شيء دونه ولا شيء أعظم منه.

وكان ابن جُرَيج يقول في قوله: وأنّ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الباطلُ ما:

19185ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جُرَيج, في قوله: وأنّ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الباطِلُ قال: الشيطان.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: وأنّ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ فقرأته عامة قرّاء العراق والحجاز: تَدْعُونَ بالتاء على وجه الخطاب وقرأته عامة قرّاء العراق غير عاصم بالياء على وجه الخبر, والياء أعجب القراءتين إليّ, لأن ابتداء الخبر على وجه الخطاب.

الآية : 63

القول في تأويل قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنّ اللّهَ أَنزَلَ مِنَ السّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرّةً إِنّ اللّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ }.

يقول تعالى ذكره: أَلَمْ تَرَ يا محمد أنّ اللّهَ أنْزَلَ مِنَ السّماءِ ماءً يعني مطرا, فَتُصْبِحُ الأرْضُ مُخْضَرّةً بما ينبت فيها من النبات. إنّ اللّهَ لَطِيفٌ باستخراج النبات من الأرض بذلك الماء وغير ذلك من ابتداع ما شاء أن يبتدعه. خَبِيرٌ بما يحدث عن ذلك النبت من الحبّ وبه. قال: فَتُصْبِحُ الأرْضُ فرفع, وقد تقدمه قوله: أَلَمْ تَرَ وإنما قيل ذلك كذلك لأن معنى الكلام الخبر, كأنه قيل: أعلم يا محمد أن الله ينزل من السماء ماء فتصبح الأرض ونظير ذلك قول الشاعر:

أَلَمْ تَسْأَلِ الرّبْعَ القَدِيمَ فَيَنْطِقُوهلْ تُخْبِرَنْكَ اليوْمَ بَيْداءُ سَمْلَقُ

لأن معناه: قد سألته فنطق.

الآية : 64

القول في تأويل قوله تعالى: {لّهُ مَا فِي السّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ وَإِنّ اللّهَ لَهُوَ الْغَنِيّ الْحَمِيدُ }.

يقول تعالى ذكره: له مُلك ما في السموات وما في الأرض من شيء هم عبيده ومماليكه وخلقه, لا شريك له في ذلك ولا في شيء منه, وإن الله هو الغنيّ عن كل ما في السموات وما في الأرض من خلقه وهم المحتاجون إليه, الحميد عند عباده في إفضاله عليهم وأياديه عندهم.

الآية : 65

القول في تأويل قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنّ اللّهَ سَخّرَ لَكُم مّا فِي الأرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأرْضِ إِلاّ بِإِذْنِهِ إِنّ اللّهَ بِالنّاسِ لَرَءُوفٌ رّحِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: ألم تر أن الله سخر لكم أيها الناس ما في الأرض من الدّوابّ والبهائم, فذلك كله لكم تصرفونه فيما أردتم من حوائجكم. والفُلْكَ تَجْرِي في البَحْرِ بأمْرِهِ يقول: وسخر لكم السفن تجري في البحر بأمره, يعني بقُدرته, وتذليله إياها لكم كذلك.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: والفُلْكَ تَجْرِي فقرأته عامة قرّاء الأمصار: والفُلْكَ نصبا, بمعنى سخر لكم ما في الأرض, والفلك عطفا على «ما», وعلى تكرير «أن» وأن الفلك تجري. ورُوي عن الأعرج أنه قرأ ذلك رفعا على الابتداء. والنصب هو القراءة عندنا في ذلك لإجماع الحجة من القرّاء عليه. ويمْسِكُ السّماءَ أنْ تَقَعَ عَلى الأرْضِ يقول: ويمسك السماء بقَدرته كي لا تقع على الأرض إلا بأذنه. ومعنى قوله: أنْ تَقَعَ: أن لا تقع. إنّ اللّهَ بالنّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ بمعنى: أنه بهم لذو رأفة ورحمة فمن رأفته بهم ورحمته لهم أمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه, وسخر لكم ما وصف في هذه الآية تفضلاً منه عليكم بذلك.

الآية : 66 - 67

القول في تأويل قوله تعالى: {وَهُوَ الّذِيَ أَحْيَاكُمْ ثُمّ يُمِيتُكُمْ ثُمّ يُحْيِيكُمْ إِنّ الإِنْسَانَ لَكَفُورٌ * لّكُلّ أُمّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً هُمْ نَاسِكُوهُ فَلاَ يُنَازِعُنّكَ فِي الأَمْرِ وَادْعُ إِلَىَ رَبّكَ إِنّكَ لَعَلَىَ هُدًى مّسْتَقِيمٍ }.

يقول تعالى ذكره: والله الذي أنعم عليكم هذه النعم, هو الذي جعل لكم أجساما أحياء بحياة أحدثها فيكم, ولم تكونوا شيئا, ثم هو يميتكم من بعد حياتكم فيفنيكم عند مجيء آجالكم ثم يحييكم بعد مماتكم عند بعثكم لقيام الساعة. إنّ الإنْسانَ لَكَفُورٌ يقول: إن ابن آدم لجحود لنعم الله التي أنعم بها عليه من حُسن خلقه إياه, وتسخيره له ما سخر مما في الأرض والبرّ والبحر, وتركه إهلاكه بإمساكه السماء أن تقع على الأرض بعبادته غيره من الآلهة والأنداد, وتركه إفراده بالعبادة وإخلاص التوحيد له.

وقوله: لِكُلِّ أُمّةٍ جَعَلْنا مَنْسَكا يقول: لكل جماعة قوم هي خلت من قبلك, جعلنا مألفا يألفونه ومكانا يعتادونه لعبادتي فيه وقضاء فرائضي وعملاً يلزمونه. وأصل المنسك في كلام العرب الموضع المعتاد الذي يعتاده الرجل ويألفه لخير أو شرّ يقال: إن لفلان منسكا يعتاده: يراد مكانا يغشاه ويألفه لخير أو شرّ. وإنما سميت مناسك الحجّ بذلك, لتردّد الناس إلى الأماكن التي تعمل فيها أعمال الحجّ والعُمرة. وفيه لغتان: «مَنْسِك» بكسر السين وفتح الميم, وذلك من لغة أهل الحجاز, و «مَنْسَك» بفتح الميم والسين جميعا, وذلك من لغة أسد. وقد قرِئ باللغتين جميعا.

وقد اختلف أهل التأويل في المعنيّ بقوله: لِكُلِّ أُمةٍ جَعَلْنا مَنْسَكا: أيّ المناسك عني به؟ فقال بعضهم: عني به: عيدهم الذي يعتادونه. ذكر من قال ذلك:

19186ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: لِكُلّ أُمّةٍ جَعَلْنا مَنْسَكا هُمْ ناسِكُوهُ يقول: عيدا.

وقال آخرون: عني به ذبح يذبحونه ودم يهريقونه. ذكر من قال ذلك:

19187ـ حدثني أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, قال: حدثنا ابن جُرَيج, عن مجاهد, في قوله: لِكُلّ أُمّةٍ جَعَلْنا مَنْسَكا هُمْ ناسِكُوهُ قال: إراقة الدم بمكة.

حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: هُمْ ناسِكُوهُ قال: إهراق دماء الهدي.

19188ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة: مَنْسَكا قال: ذبحا وحجّا.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: عني بذلك إراقة الدم أيام النحر بمِنى لأن المناسك التي كان المشركون جادلوا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت إراقة الدم في هذه الأيام, على أنهم قد كانوا جادلوه في إراقة الدماء التي هي دماء ذبائح الأنعام بما قد أخبر الله عنهم في سورة الأنعام. غير أن تلك لم تكن مناسك, فأما التي هي مناسك فإنما هي هدايا أو ضحايا ولذلك قلنا: عني بالمنسك في هذا الموضع الذبح الذي هو بالصفة التي وصفنا.

وقوله: فَلا يُنازِعُنّكَ فِي الأَمْرِ يقول تعالى ذكره: فلا ينازعنك هؤلاء المشركون بالله يا محمد في ذبحك ومنسكك بقولهم: أتأكلون ما قتلتم, ولا تأكلون الميتة التي قتلها الله؟ فأنك أولى بالحقّ منهم, لأنك محقّ وهم مبطلون.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19189ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد: فَلا يُنازِعُنّكَ فِي الأمْرِ قال: الذبح.
19190ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة: فَلا يُنازِعُنّكَ فِي الأمْرِ فلا تتحام لحمك.
وقوله: وَادْعُ إلى رَبّكَ يقول تعالى ذكره: وادع يا محمد منازعيك من المشركين بالله في نسكك وذبحك إلى اتباع أمر ربك في ذلك بأن لا يأكلوا إلا ما ذبحوه بعد اتباعك وبعد التصديق بما جئتهم به من عند الله, وتجنبوا الذبح للآلهة والأوثان وتبرّءوا منها, إنك لعلى طريق مستقيم غير زائل عن محجة الحقّ والصواب في نسكك الذي جعله لك ولأمتك ربك, وهم الضلال على قصد السبيل, لمخالفتهم أمر الله في ذبائحهم ومطاعمهم وعبادتهم الآلهة.

الآية : 68 -69

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ * اللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ }.
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وإن جادلك يا محمد هؤلاء المشركون بالله في نسكك, فقيل: الله أعلم بما تعملون ونعمل. كما:
19191ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد: وَإنْ جادَلُوكَ قال: قول أهل الشرك: أما ما ذبح الله بيمينه. فَقُلِ اللّهُ أعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ لنا أعمالنا ولكم أعمالكم.
وقوله: اَللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ فِيما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ يقول تعالى ذكره: والله يقضي بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه من أمر دينكم تختلفون, فتعلمون حينئذ أيها المشركون المحقّ من المبطل.

الآية : 70

القول في تأويل قوله تعالى: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السّمَآءِ وَالأرْضِ إِنّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنّ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرٌ }.
يقول تعالى ذكره: ألم تعلم يا محمد أن الله يعلم كلّ ما في السموات السبع والأرضين السبع, لا يخفى عليه من ذلك شيء, وهو حاكم بين خلقه يوم القيامة, على علم منه بجميع ما عملوه في الدنيا, فمجازي المحسن منهم بإحسانه والمسيء بإساءته. إنّ ذَلِكَ في كِتَابٍ يقول تعالى ذكره: إن علمه بذلك في كتاب, وهو أمّ الكتاب الذي كتب فيه ربنا جلّ ثناؤه قبل أن يخلق خلقه ما هو كائن إلى يوم القيامة. إنّ ذلكَ عَلى اللّهِ يَسِيرٌ. كما:
19192ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا ميسر بن إسماعيل الحلبيّ, عن الأوزاعيّ, عن عبدة بن أبي لُبابة, قال: علم الله ما هو خالق وما الخلق عاملون, ثم كتبه, ثم قال لنبيه: أَلَمْ تَعْلَمْ أنّ اللّهَ يَعْلَمُ ما فِي السّماءِ والأرْضِ إنّ ذَلِكَ فِي كِتابٍ إنّ ذَلِكَ عَلى اللّهِ يَسِيرٌ.
19193ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني ميسر, عن أرطاة بن المنذر, قال: سمعت ضَمْرة بن حبيب يقول: إن الله كان على عرشه على الماء, وخلق السموات والأرض بالحقّ, وخلق القلم فكتب به ما

هو كائن من خلقه, ثم إن ذلك الكتاب سبح الله ومجّده ألف عام, قبل أن يبدأ شيئا من الخلق.

19194ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني معتمر بن سليمان, عن أبيه, عن سيار, عن ابن عباس, أنه سأل كعب الأحبار عن أمّ الكتاب, فقال: علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون, فقال لعلمه: كُنْ كتابا.

وكان ابن جُرَيج يقول في قوله: إنّ ذَلَكَ فِي كِتابٍ ما:

19195ـ حدثنا به القاسم, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج: إنّ ذَلِكَ فِي كِتابٍ قال: قوله: اللّهُ يَحْكُم بَيْنَكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ فِيما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ.

وإنما اخترنا القول الذي قلنا في ذلك, لأن قوله: إنّ ذلكَ إلى قوله: أَلَمْ تَعْلَمْ أنّ اللّهَ يَعْلَمُ ما فِي السّمآءِ والأرْضِ أقرب منه إلى قوله: اللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ فِيما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ, فكان إلحاق ذلك بما هو أقرب إليه أولى منه بما بعد.

وقوله: إنّ ذَلِكَ عَلى اللّهِ يَسِيرٌ اختلف في ذلك, فقال بعضهم: معناه: إن الحكم بين المختلفين في الدنيا يوم القيامة على الله يسير. ذكر من قال ذلك:

19196ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج: إنّ ذَلِكَ عَلى الله يَسِيرٌ قال: حكمه يوم القيامة, ثم قال بين ذلك: أَلَمْ تَعْلَمْ أنّ اللّهَ يَعْلَمُ ما فِي السّماءِ وَالأرض إنّ ذلكَ في كتابٍ.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أن كتاب القلم الذي أمره الله أن يكتب في اللوح المحفوظ ما هو كائن على الله يسير يعني هين. وهذا القول الثاني أولى بتأويل ذلك, وذلك أن قوله: إنّ ذلكَ عَلى اللّهَ يَسِيرٌ... إلى قوله: أَلَمْ تَعْلَمْ أنّ اللّهَ يَعْلَمُ ما فِي السّماءِ والأرْضِ بينهما فإلحاقه بما هو أقرب أولى ما وجد للكلام, وهو كذلك مخرج في التأويل صحيح.

الآية : 71

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لَمْ يُنَزّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظّالِمِينَ مِن نّصِيرٍ }.

يقول تعالى ذكره: ويعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه ما لم ينزل به جلّ ثناؤه لهم حجة من السماء في كتاب من كتبه التي أنزلها إلى رسله, بأنها آلهة تصلح عبادتها فيعبدوها, بأن الله أذن لهم في عبادتها, وما ليس لهم به علم أنها آلهة. وما للظّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ يقول: وما للكافرين بالله الذين يعبدون هذه الأوثان من ناصر ينصرهم يوم القيامة, فينقذهم من عذاب الله ويدفع عنهم عقابه إذا أراد عقابهم.

الآية : 72

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذَا تُتْلَىَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الّذِينَ كَفَرُواْ الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قُلْ أَفَأُنَبّئُكُم بِشَرّ مّن ذَلِكُمُ النّارُ وَعَدَهَا اللّهُ الّذِينَ كَفَرُواْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ }.

يقول تعالى ذكره: وإذا تُتلى على مشركي قريش العابدين من دون الله ما لم ينزل به سلطانا آياتُنا يعني: آيات القرآن, بَيّناتٍ يقول: واضحات حججها وأدلتها فيما أنزلت فيه. تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الّذِينَ كَفَرُوا المُنْكَرَ

يقـول: تتبـين فـي وجـوههم مـا ينكـره أهـل الإيـمان بـالله مـن تغيرهـا, لسماعهم بـالقرآن.
وقـوله: يَكـادُونَ يَسْـطُونَ بـالّذِينَ يَتْلُـونَ عَلَـيْهِمْ آياتِنـا يقـول: يكـادون يبطشون بـالذين يتلون علـيهم آيات كتاب الله من أصحاب النبـيّ صلى اللـه عليه وسلم, لشدّة تكرّههم أن يسمعوا القرآن ويُتْلـى علـيهم.
وبنـحو ما قلنا فـي تأويـل قوله يَسْطُونَ قال أهل التأويـل. ذكـر مـن قـال ذلك:
19197ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: يَكادُونَ يَسْطُونَ يقول: يبطشون.
19198ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: يَكادُونَ يَسْطُونَ يقـول: يقعـون بـمن ذكرهم.
19199ـ حدثنا مـحمد بن عمارة, قال: حدثنا عبد الله بـن موسـى, قـال: أخبرنا إسرائيـل, عن أبــي يحيـى, عـن مــجاهد: يَكـادُونَ يَسْـطُونَ بــالّذِينَ يَتْلُونَ عَلَـيْهِمْ آياتِنا قال: يكادون يقعون بهم.
19200ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الــحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء جميعـا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مــجاهد, قـوله: يَكـادُونَ يَسْـطُونَ قـال: يبطشـون كفـار قريش.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد, مثله.
19201ـ حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: أخبرنا عبـيد, قال: سمعت الضـحاك يقـول فــي قـوله: يَكـادُونَ يَسْـطُونَ بــالّذِينَ يَتْلُـونَ عَلَـيْهِمْ آياتنا يقول: يكادون يأخذونهم بأيديهم أخذا.
وقَوله: قُلْ أفأُنَبّئُكُمْ بِشَرّ مِنْ ذَلِكُم يقول: أفأنبئكم أيها الـمشركون بأكره إلـيكم من هؤلاء الذين تتكرّهون قراءتهم القرآن علـيكم, هـي النّـارُ وعـدها الله الذين كفروا. وقد ذُكر عن بعضهم أنه كان يقول: إن الــمشركين قـالوا: والله إن مـحمدا وأصحابه لشرّ خـلق الله فقال الله لهـم: قـل أفـأنبئكم أيهـا القائلون هذا القـول بشـرّ مـن مــحمد صـلى اللـه عليـه وسـلم؟ أنتــم أيهـا الـمشركون الذين وعدهم الله النار. ورفعت «النـار» علــى الابتـداء, ولأنهـا معرفة لا تصلـح أن ينعت بها الشرّ وهو نكـرة, كمـا يقـال: مـررت برجلــين: أخوك وأبوك, ولو كانت مخفوضة كان جائزا وكذلك لو كان نصبـا للعائـد مـن ذكرها فـي وعدها وأنت تنوي بها الاتصـال بــما قبلهـا. يقـول تعالــى ذكـره: فهؤلاء هم أشرار الـخـلق لا مـحمد وأصحابه.)
وقوله: وَبِئْسَ الـمَصِيرُ يقول: وبئـس الــمكان الـذي يصـير إلــيه هـؤلاء الـمشركون بـالله يوم القـيامة.

الآية : 73 -74

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {يَأَيّهَا النّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْـتَمِعُواْ لَـهُ إِنّ الّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ لَـن يَخْلُقُـواْ ذُبَابـاً وَلَـوِ اجْتَمَعُـواْ لَـهُ وَإِن يَسْـلُبْهُمُ الذّبَابُ شَيْئاً لاّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطّالِبُ وَالْمَطْلُـوبُ * مَـا قَـدَرُواْ اللّـهَ حَقّ قَدْرِهِ إِنّ اللّهَ لَقَوِيّ عَزِيزٌ }.

يقول تعالى ذكره: يا أيها الناس جعل لله مثل وذكر. ومعنى «ضرب» في هذا الموضع: «جعل» من قولهم: ضرب السلطان على الناس البعث, بمعنى: جعل عليهم. وضرب الجزية على النصارى, بمعنى جَعْل ذلك عليهم والمَثَل: الشبّهَ, يقول جلّ ثناؤه: جعل لي شبه أيها الناس, يعني بالشبّه والمَثَل: الآلهة, يقول: جعل لي المشركون والأصنام شبها, فعبدوها معي وأشركوها في عبادتي. فاسْتَمِعُوا له يقول: فاستمعوا حال ما مثلوه وجعلوه في عبادتهم إياه شبها وصفته. إنّ الّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبابا يقول: إن جميع ما تعبدون من دون الله من الآلهة والأصنام لو جمعت لم يخلقوا ذبابا في صغره وقلّته, لأنها لا تقدر على ذلك ولا تطيقه, ولو اجتمع لخلقه جميعها. والذباب واحِد, وجمعه في القلة أذبة وفي الكثير ذِبّان, نظير غُراب يجمع في القلة أَغْربة وفي الكثرة غِرْبان.

وقوله: وَإنْ يَسْلُبْهُمُ الذّبابُ شَيْئا يقول: وإن يسلب الآلهة والأوثان الذبابُ شيئا مما عليها من طيب وما أشبهه من شيء لا يستنقذوه منه: يقول: لا تقدر الآلهة أن تستنقذ ذلك منه.

واختلف في معنى قوله: ضَعُفَ الطّالِبُ وَالمَطْلُوبُ فقال بعضهم: عني بالطالب: الآلهة, وبالمطلوب: الذباب. ذكر من قال ذلك:

19202ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حجاج, عن ابن جُرَيج, قال ابن عباس, في قوله: ضَعُفَ الطّالِبُ قال: آلهتهم. وَالمَطْلُوبُ: الذباب.

وكان بعضهم يقول: معنى ذلك: ضَعُفَ الطّالِبُ من بني آدم إلى الصنم حاجته, والمَطْلُوبُ إليه الصنم أن يعطي سائله من بني آدم ما سأله, يقول: ضعف عن ذلك وعجز.

والصواب من القول في ذلك عندنا ما ذكرته عن ابن عباس من أن معناه: وعجز الطالب وهو الآلهة أن تستنقذ من الذباب ما سلبها إياه, وهو الطيب وما أشبهه والمطلوب: الذباب.

وإنما قلت هذا القول أولى بتأويل ذلك, لأن ذلك في سياق الخبر عن الآلهة والذباب فأن يكون ذلك خبرا عما هو به متصل أشبه من أن يكون خبرا عما هو عنه منقطع. وإنما أخبر جلّ ثناؤه عن الآلهة بما أخبر به عنها في هذه الآية من ضعفها ومهانتها, تقريعا منه بذلك عَبَدتها من مشركي قريش, يقول تعالى ذكره: كيف يجعل مثل في العبادة ويشرك فيها معي ما لا قدرة له على خلق ذباب, وإن أخذ له الذباب فسلبه شيئا عليه لم يقدر أن يمتنع منه ولا ينتصر, وأنا الخالق ما في السموات والأرض ومالكُ جميع ذلك, والمحيي من أردت والمميت ما أردت ومن أردت. إن فاعل ذلك لا شكّ أنه في غاية الجهل.

وقوله: ما قَدَرُوا اللّهَ حَقّ قَدْرِهِ يقول: ما عظم هؤلاء الذين جعلوا الآلهة لله شريكا في العبادة حقّ عظمته حين أشركوا به غيره, فلم يخلصوا له العبادة ولا عرفوه حقّ معرفته من قولهم: ما عرفت لفلان قدره إذا خاطبوا بذلك من قَصّر بحقه وهم يريدون تعظيمه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19203ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: وَإنْ يَسْلُبْهُمُ الذّبابُ شَيْئا... إلى آخر الآية, قال: هذا مثل ضربه الله

لآلهتهم. وقرأ: ضَعُفَ الطّالِبُ وَالـمَطْلُوبُ ما قَـدَرُوا اللّـهَ حَـقّ قَـدْرِهِ حيـن يعبدون مع الله ما لا ينتصف من الذبـاب ولا يـمتنع منه.

وقوله: إنّ اللّهَ لَقَوِيّ يقول: إن الله لقويّ علـى خـلق ما يشاء من صغير ما يشاء من خـلقه وكبـيره. عَزِيزٌ يقول: منـيع فـي مُلكه لا يقدر شيء دونـه أن يسلبه من ملكه شيئا, ولـيس كآلهتكم أيها الـمشركون الذين تدعون مـن دونه الذين لا يقدرون علـى خـلق ذبـاب ولا علـى الامتنـاع مـن الذبـاب إذا استلبها شيئا ضعفـا ومهانة.

الآية : 75

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {اللّـهُ يَصْـطَفِي مِـنَ الْمَلاَئِكَـةِ رُسُـلاً وَمِـنَ النّاسِ إِنّ اللّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ }.

يقول تعالـى ذكره: الله يختار مـن الـملائكة رسـلاً كجبريـل وميكائيـل اللذين كانا يرسلهما إلـى أنبـيائه ومن شاء من عبـاده ومن النـاس, كأنبـيائه الذين أرسلهم إلـى عبـاده من بنـي آدم. ومعنى الكلام: اللـه يصطفـي مـن الـملائكة رسلاً, ومن الناس أيضا رسلاً. وقد قـيـل: إنـما أنزلـت هـذه الآيـة لـما قال الـمشركون: أنزل علـيه الذكر من بـيننا, فقال الله لهم: ذلك إلـيّ وبـيدي دون خـلقـي, أختار من شئت منهم للرسالة.

وقوله: إنّ اللّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ يقول: إن الله سميع لـما يقـول الـمشركون فـي مـحمد صلى الله عليه وسلم, ومـا جـاء بـه مـن عنـد ربـه, بصـير بـمن يختاره لرسالته من خـلقه.

الآية : 76

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَـى اللّـهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ }.

يقول تعالـى ذكره: الله يعلـم ما كان بـين أيدي ملائكته ورسله, من قبل أن يخـلقهم وما خـلفهم, يقول: ويعلـم ما هو كائن بعـد فنـائهم. وَإِلـى اللّـهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ يقول: إلـى الله فـي الآخرة تصير إلـيه أمور الدنـيا, وإلـيه تعـود كما كان منه البدء.

الآية : 77

القـول فـي تأويـل قـوله تعالـى: {يَأَيّهَـا الّـذِينَ آمَنُـواْ ارْكَعُـواْ وَاسْـجُدُواْ وَاعْبُدُواْ رَبّكُمْ وَافْعَلُواْ الْخَيْرَ لَعَلّكُمْ تُفْلِحُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: يا أيها الذين صـدّقوا اللـه ورسـوله ارْكَعُـوا للـه فـي صلاتكم وَاسْجُدُوا له فـيها وَاعْبُدُوا رَبّكُمْ يقـول: وذلـوا لربكـم, واخضـعوا لـه بـالطاعة, وَافْعَلُوا الـخَيْرَ الذي أمركـم ربكـم بفعلـه لَعَلّكُـمْ تُفْلِـحُونَ يقـول: لتفلـحوا بذلك, فتدركوا به طَلِبـاتكم عند ربكم.

الآية : 78

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَجَاهِدُوا فِي اللّهِ حَقّ جِهَادِهِ هُـوَ اجْتَبَـاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدّينِ مِنْ حَرَجٍ مّلّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَـذَا لِيَكُونَ الرّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى النّـاسِ فَأَقِيمُواْ الصّلاَةَ وَآتُواْ الزّكَـاةَ وَاعْتَصِمُواْ بِاللّهِ هُوَ مَوْلاَكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىَ وَنِعْـمَ النّصِيرُ }.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: وَجاهِدُوا فِي اللّهِ حَقّ جِهادِهِ فقال بعضهم: معناه: وجاهدوا المشركين في سبيل الله حقّ جهاده. ذكر من قال ذلك:

19204ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني سليمان بن بلال, عن ثور بن زيد, عن عبد الله بن عباس, في قوله: وَجاهِدُوا فِي اللّهِ حَقّ جِهادِهِ كما جاهدتم أوّل مرّة فقال عمر: من أمر بالجهاد؟ قال: قبيلتان من قريش مخزوم وعبد شمس. فقال عمر: صدقت.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: لا تخافوا في الله لومة لائم. قالوا: وذلك هو حقّ الجهاد. ذكر من قال ذلك:

19205ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قال ابن عباس, في قوله: وَجاهِدُوا في اللّهِ حَقّ جِهادِهِ لا تخافو في الله لومة لائم.

وقال آخرون: معنى ذلك: اعملوا بالحقّ حقّ عمله. وهذا قول ذكره عن الضحاك بعض من في روايته نظر.

والصواب من القول في ذلك: قول من قال: عُنى به الجهاد في سبيل الله لأن المعروف من الجهاد ذلك, وهو الأغلب على قول القائل: جاهدت في الله. وحقّ الجهاد: هو استفراغ الطاقة فيه.

وقوله: هُوَ اجْتَباكُمْ يقول: هو اختاركم لدينه, واصطفاكم لحرب أعدائه والجهاد في سبيله وقال ابن زيد في ذلك, ما:

19206ـ حدثني به يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: هُوَ اجْتَباكُمْ قال: هو هداكم.

وقوله: وما جَعَلَ عَلَيْكُمْ في الدّينِ مِنْ حَرَجٍ يقول تعالى ذكره: وما جعل عليكم ربكم في الدين الذي تعبدكم به من ضيق, لا مخرج لكم مما ابتليتم به فيه بل وسّع عليكم, فجعل التوبة من بعض مخرجا, والكفّارة من بعض, والقصاص من بعض, فلا ذنب يذنب المؤمن إلا وله منه في دين الإسلام مخرج.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19207ـ حدثني يونس بن عبد الأعلى, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني ابن زيد, عن ابن شهاب, قال: سأل عبد الملك بن مروان عليّ بن عبد الله بن عباس عن هذه الآية: ومَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الّدِين مِنْ حَرَجٍ فقال عليّ بن عبد الله: الحَرَج: الضيق, فجعل الله الكفارات مَخْرجا من ذلك, سمعت ابن عباس يقول ذلك.

19208ـ قال: أخربنا ابن وهب, قال: ثني سفيان بن عيينة, عن عبيد الله بن أبي يزيد, قال: سمعت ابن عباس يُسْأل عن: مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ في الّدهين مِنْ حَرَج, قال: ما ها هنا من هُذَيل أحد؟ فقال رجل: نعم, قال: ما تعدّون الحرجة فيكم؟ قال: الشيء الضيق. قال ابن عباس: فهو كذلك.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن ابن عيينة, عن عبيد الله بن أبي يزيد, قال: سمعت ابن عباس, وذكر نحوه, إلا أنه قال: فقال ابن عباس: أها هنا أحد من هذيل؟ فقال رجل: أنا, فقال أيضا: ما تعدّون الحرج؟ وسائر الحديث مثله.

19209ـ حدثني عمران بن بكار الكُلاعيّ, قال: حدثنا يحيى بن صالح, قال: حدثنا يحيى بن حمزة, عن الحكم بن عبد الله, قال: سمعت القاسم

بن محمد يحدّث, عن عائشة, قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية: ومَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدّينِ مِنْ حَرَجٍ قال: «هو الضّيقُ».

19210ـ حدثنا حميد بن مسعدة, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: حدثنا أبو خلدة, قال: قال لي أبو العالية: أتدري ما الحرج؟ قلت: لا أدري. قال: الضيق. وقرأ هذه الآية: ومَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدّينِ مِنْ حَرَجٍ.

19211ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا حماد بن مسعدة, عن عوف, عن الحسن, في قوله: ومَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ في الدّينِ مِنْ حَرَجٍ قال: من ضيق.

19212ـ حدثنا عمرو بن بندق, قال: حدثنا مروان بن معاوية, عن أبي خلدة, قال: قال لي أبو العالية: هل تدري ما الحَرَج؟ قلت لا, قال: الضيق, إن الله لم يضيق عليكم, لم يجعل عليكم في الدين من حرج.

19213ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن ابن عون, عن القاسم أنه تلا هذه الآية: ومَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدّينِ حَرَجٍ قال: تدرون ما الحرج؟ قال: الضيق.

19214ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن يونس بن أبي إسحاق, عن أبيه, عن سعيد بن جُبير, عن ابن عباس, قال: إذا تعاجم شيء من القرآن, فانظروا في الشعر, فإن الشعر عربيّ. ثم دعا ابن عباس أعرابيّا, فقال: ما الحَرَج؟ قال: الضيق. قال: صدقت

19215ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة: فِي الدّينِ مِنْ حَرَجٍ قال: من ضيق.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, مثله.

وقال آخرون: معنى ذلك: ما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدّينِ مِنْ حَرَجٍ من ضيق في أوقات فروضكم إذا التبست عليكم, ولكنه قد وسع عليكم حتى تَيَقّنوا محلها. ذكر من قال ذلك:

19216ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن مغيرة, عن عثمان بن بشار, عن ابن عباس, في قوله: وَما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدّينِ مِنْ حَرَجٍ قال: هذا في هلال شهر رمضان إذا شكّ فيه الناس, وفي الحجّ إذا شكوا في الهلال, وفي الفطر والأضحى إذا التبس عليهم, وأشباهه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ما جعل في الإسلام من ضيق, بل وسعه. ذكر من قال ذلك:

19217ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدّينِ مِنْ حَرَجٍ يقول: ما جعل عليكم في الإسلام من ضيق, هو واسع, وهو مثل قوله في الأنعام: فَمَنْ يُرِدِ اللّهُ أنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإسْلامِ وَمَنْ يُرِدِ أنْ يُضِلّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهْ ضَيّقا حَرَجا يقول: من أراد أن يضله يضيق عليه صدره, حتى يجعل عليه الإسلام ضيقا, والإسلامُ واسع.

19218ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدّينِ مِنْ حَرَجٍ يقول: من ضيق, يقول: جعل الدين واسعا ولم يجعله ضيّقا.

وقوله: مِلّةَ أبِـيكُمْ إبْرَاهِيـمَ نصب ملة بـمعنى: وما جعل علـيكم فـي الدين من حرج, بل وسـعه, كملّـة أبــيكم فلــما لــم يجعـل فــيها الكـاف اتصـلت بـالفعل الذي قبلها فنصبت. وقد يحتـمل نصبها أن تكون علـى وجه الأمر بها, لأن الكلام قبلـه أمـر, فكـأنه قـيــل: اركعـوا واسـجدوا والزمـوا ملَـة أبــيكم إبراهيـم.) وقوله: هُوَ سمّاكُمُ الـمُسْلِـمِينَ مِنْ قَبْلُ وفِـي هَـذَا يقـول تعالـ ى ذكره: سماكم يا معشر من آمن بـمـحمد صلى الله عليه وسلم الـمسلــمين من قبل.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

19219ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: هُوَ سَمّاكُمُ الـمُسْلِـمِينَ يقول: الله سماكم.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جُرَيـج, قال: أخبرنـي عطاء بن ابن أبـي ربـاح, أنـه سـمع ابـن عبــاس يقـول: اللـه سماكم الـمسلـمين من قبل.

19220ـ حدثنا ابن عبد الأعلـى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة, وحدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق جميعا, عن معمر, عـن قَتـادة: هُـوَ سَمّاكُمُ الـمُسْلِـمِينَ قال: الله سماكم الـمسلـمين من قبل.

19221ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, ق ال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الــحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء جميعـا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: هُوَ سـمّاكُمُ الـمُسْلــمِينَ قـال: اللـه سماكم.

حدثنا القاسم قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد, مثله.

19222ـ حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: أخبرنا عبـيد, قال: سمعت الضحاك يقول, فـي قوله: هُـوَ سَـمّاكُمُ الـمُسْلِــمِينَ مِـنْ قَبْـلُ يقول: الله سماكم الـمسلـمين.

وقال آخرون: بل معنا: إبراهيـم سماكم الـمسلـمين وقالوا هو كنايـة مـن ذكر إبراهيـم صلى الله عليه وسلم: ذكر من قال ذلك:

19223ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قـال: قـال ابـن زيـد هُـوَ سَمّاكُمُ الـمُسْلِـمِينَ قال: ألا ترى قول إبراهيـم وَاجْعَلْنا مُسْلِــمِينَ لَـكَ وَمِـنْ ذُرّيّتِنا أُمّةً مُسْلِـمَةً لَكَ قال: هذا قول إبراهيـم هُوَ سَمّاكُمُ الـمُسْلِــمِينَ ولــم يذكر الله بــالإسلام والإيــمان غيـر هـذه الأمـة, ذُكـرت بـالإيــمان والإسـلام جميعا, ولـم نسمع بأمة ذكرت إلا بـالإيـمان.

ولا وجه لـما قال ابن زيد من ذلك لأنه معلوم أن إبراهيــم لــم يسـمّ أمـة مـحمد مسلـمين فـي القرآن, لأن القرآن أنزل من بعده بدهر طويــل, وقـد قال الله تعالـى ذكره: هُوَ سَمّاكُمُ الـمُسْلِـمِينَ مِنْ قَبْلُ وفـي هَذَا ولكن الذي سمانا مسلـمين من قبل نزول القرآن وفـي القرآن اللـه الـذي لــم يـزل ولا يزال. وأما قوله: مِنْ قَبْلُ فإن معناه: من قبل نزول هذا القرآن فـي الكتــب التـي نزلت قبله. وفـي هَذَا يقول: وَفِـي هَذَا الكِتابِ.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

19224ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, ق ال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الــحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء جميعـا,

عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قـوله: هُـوَ سَـمّاكُمُ الـمُسْلِـمينَ مِـن قَبْـلُ وفـي هذا القرآن.

19225ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, قال: قال ابن جُرَيج, قال مـجاهد: مِنْ قَبْلُ قال: فـي الكتـب كلهـا والـذكر وفـي هَـذَا يعنـي القرآن.

وقوله: لِـيَكُونَ الرّسُولُ شَهِيدا عَلَـيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلـى النّاسِ يقول تعالـى ذكره: اجتبـاكم الله وسماكم أيها الـمؤمنون بـالله وآيـاته, مـن أمـة مـحمد صلى الله عليه وسلم مسلـمين, لـيكون مـحمد رسـول اللـه شـهيدا علـيكم يوم القـيامة بأنه قد بلغكم ما أرسل به إلـيكم, وتكونوا أنتـم شـهداء حينئذ علـى الرسل أجمعين أنهم قد بلّغوا أمـمهم ما أرسلوا به إلـيهم.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

19226ـ حدثنا ابن عبد الأعلـى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة: هُوَ سَمّاكُمُ الـمُسْلِـمِينَ مِنْ قَبْلُ قـال: اللـه سـماكم الـمسلـمين مـن قبـل. وَفِـي هَذَا لِـيَكُونَ الرّسُولُ شَهِيدا عَلَـيْكُمْ بأنه بلّغكم. وَتَكُونُـوا شُـهَدَاءَ عَلـى النّاس أنّ رسلهم قد بلغتهم.

19227ـ وبه عن قَتادة, قال: أعطيت هذه الأمة ما لـم يعطه إلا نبـيّ, كان يقال للنبـيّ: اذهب فلـيس علـيك حرج وقـال اللـه: ومَـا جَعَـلَ عَلَـيْكُمْ فـي الدّينِ مِنْ حَرَجٍ, وكان يقال للنبـيّ صلى الله عليه وسلم: أنـت شـهيد علـى قومك وقال الله لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ علـى النّاسِ وكـان يقـال للنبـيّ صـلى اللـه عليه وسلم: سَلْ تُعْطَهْ وقال الله: ادْعُونِـي أسْتَـجِبْ لَكُمْ.

حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عـن قَتـادة, قال: أعطيت هذه الأمة ثلاثا لـم يعطها إلا نبـيّ, كان يقال للنبـيّ صـلى اللـه عليه وسلم: اذهب فلـيس علـيك حَرَج فقـال اللـه: ومـا جَعَـلَ عَلَـيْكُمْ فِـي الدّينِ مِنْ حَرَجٍ قال: وكان يقال للنبـيّ صلى اللـه عليـه وسـلم: أنـت شـهيد علـى قومك وقال الله: لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلـى النّاسِ وكان يقال للنبـيّ صـلى الله عليه وسلم: سَلْ تُعْطَهْ وقال الله اُدْعُونِـي أسْتَـجِبْ لَكُمْ.